

د. هشام الساموني

# الجيل الذي واجه عبد الناصر والسادات



وثائقية للحركة الطلابية ١٩٦٨ - ١٩٧٧

مركز البحوث والدراسات  
السياسية والاجتماعية  
مصر





الجيل الذى واجه  
عبد الناصر والمسادات



# الجيل الذى واجه عبد الناصر والسادات

الدكتور هشام السلامونى

الناشر

مارقهباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عممه غروب

الكاتب : الجيل الذى ولجّه عبد الناصر والمبادئ

المؤلف : د. هشام السلاّمونى

تاريخ النشر : ١٩٩٩م

حقوق الطبع والترجمة والاهتمام محفوظة

الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبدّه غريب

شركة معالجة بحرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ت : ٢٤٠١٧٤٣ ، ٢٤٧٤٠٣٨

فكس : ٢٤٠١٧٤٤

التوزيع : ١٠ شارع كامل صدقى القفلة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص.ب : ١٢٢ (القفلة)

المركز الرئيسي : مدينة العنابر من رمضان

المنطقة الصناعية (C1)

ت : ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

رقم الإيداع : ٩٨/٩٨٠٢

التراقيم الدولي : ISBN

977 303 041-5

## إهداء

إلى الطالب العادي ...

إلى كل الزملاء الذين تواجدوا طلاباً في الجامعات المصرية (وفي المدارس الثانوية.. بل والاعدادية) على اتساع الوطن في الفترة من ١٩٦٨ إلى ١٩٧٧.. كلهم بلا استثناء.. فهم مفجروا الحركة الحقيقين، وهم مصاييحها الهادية، وهم أصحاب برنامجها، وهم الذين ضغطوا ليحققوا لمصر أمرين على أكبر جانب من الأهمية والعظمة، عبور أكتوبر الخالد، وقد كان إنجاز صيحاتهم المؤثرة التي انطلقت من الجامعة، وإنجاز دمائهم أيضاً التي بُذلت في سبيل الوطن بين صفوف المجندين وضباط الاحتياط، الذين حققوا نقلة كيفية متقدمة للقوات المسلحة، مكنتها من الانتصار، وقطع يد إسرائيل الطويلة، وتتمير نظرية أمنها التي لن تقوم لها قائمة.

أما إنجازهم الثاني العظيم فكان فتح باب الديمقراطية، صحيح أن الألاعيب التي لا تنتهي تضغط باستمرار لكي يظل الباب موارباً، لكن أحداً لن يستطيع إقفاله بعد أن فتحوه، بل أنهم — فاتحوه — هم الذين سيوسعون فرجته التي ستدخل منها آمال هذا الشعب العظيم.

اليهم جميعاً... تعبيراً عن إنجازهم الضخم .. هذا الكتاب.

د. هشام السلاموني







---

**قبل أن تقرأ ..**  
**محاولة لفهم ..**

---



### للكتاب قصة..

أو لنكن أكثر دقة ، ولنقل أن المقالات التى نشرتها " روز اليوسف " فى الفترة من ١٧ فبراير إلى ١٢ مايو ١٩٩٧ ، (والتي أجمعها فى هذا الكتاب بإضافات ضرورية..) لنكن أكثر دقة .. ولنقل .. إنه كانت لتلك المقالات قصة..

ولعل من المفيد، قبل أن أروى تلك القصة، أن أعترف — من أولها — بأن .بدلية قصة تلك المقالات، وهذا الكتاب، قد تأخرت عشرين سنة كاملة!

عشرون سنة مضت بين البداية الحقيقية ( الطبيعية ) لتلك المقالات، وبين البداية الفعلية !!! ( وضعت علامات التعجب على أساس أننا نهتم بالزمن!!).

وباعترا فى هذا.. تكون لدينا بدلية فعلية.. وبدلية حقيقية.. وقصة .. فلتبدأ ..

★ ★ ★

للبدلية الفعلية، جاءت — مباشرة — بعد صدور العدد ٣٥٨٢ من " روز اليوسف " فى ٣ فبراير ١٩٩٧ .

فى ذلك العدد قرأت مقالين ممتازين ..

كان أولهما لعادل حمودة [ الصحفي القدير، (ابن جيلنا)، الذى جعل روز اليوسف واقعاً مقروءاً ومؤثراً فى كل بيت مصرى، وخلص بها وفيها صراعاً ناجحاً ضد كل التلويحات ( الممنوعات .. المحرمات )، التى لم يكن يُسمح لأحد بالاقتراب منها، وهى السلطة المطلقة ( التى تتجمل تجملاً مفضوحاً )، وقداسة رجال الدين، التى يحرص عليها البعض ربما أكثر من حرصهم على مصالح الناس.. بل وعلى الدين نفسه. ( القداسة للدين.. وليس للدين رجال.. الدين لكل

لرجال.. لكل البشر).. وثالث الممنوعات.. الأسس الاقتصادية والاجتماعية والميدانية للممارسات الجنسية (سوية كانت أو غير سوية).. ولقد أصاب عادل حمودة كثيراً . وكانت المحصلة في صالحه..وصلحنا بدون شك.

ثاني المقالات، كان عنوانه " الانفجار .. عملية احتلال ميدان التحرير " كتبه عبد الله كمال [ صحفي شاب، يملأ قلبه بماء النار، ويحترق للكتابة به عن المحظورات بحروف مشتعلة، كاوية، تخترق في الجسد العربي.. الذي يظنه الواهمون قد أثر الدعة..].

#### قرأت المقالين .. ولنبداً بثنائيهما

المقال الثاني "عملية احتلال ميدان التحرير" ، كان تلخيصاً واثقاً، وواقعياً لحدث مرت عليه خمس وعشرون سنة، هو حركة الطلبة في يناير ١٩٧٢، تلك الحركة (العظيمة) التي بدلت بمجالات حائط اعقبتها مؤتمرات في كل الكليات — كانت الأكثر سخونة بينهما مؤتمرات كلية الهندسة جامعة القاهرة، فلا عجب أن تحول واحد منها من مؤتمرات كلية الهندسة إلى مؤتمر علم لطلاب جامعة القاهرة — لنقل بعد ذلك إلى قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة ( كانت في عين شمس نفس الخطوات، وكان لجامعة عين شمس نفس التأثير، لكن اعتصاماً لم يجر في عين شمس إلا في ١٩٧٣)، وقد قرر المؤتمر العام الاعتصام حين جلاء الحقائق المتعلقة بصراعنا الأمني مع إسرائيل، مطالباً ( الاعتصام) بالديمقراطية، وبحق مشاركة الجماهير في تسيير أمورنا، حتى تستطيع الجماهير أن تكون رقيبة على تحقيق أمانها، وحتى تضمن ألا نكرر السلطة نوعية المأسى التي وصلت إلى ذروة حقيقتها في نسمة يونيو ١٩٦٧، بعدها تدخلت الحكومة.. ولتحتج الجامعة فجراً ( عودتنا السلطة العسكرية في مصر الانتفاض في الفجر، والانتفاض على الفجر!) وقبضت على المعتصمين، لتفاجأ — السلطة — والشمس في كبد السماء — في ظهيرة نفس اليوم — بأن عشرين ألفاً من طلاب جامعة القاهرة، وأعداداً هائلة من طلاب جامعة عين شمس، يحتشدون في ميدان التحرير،

ويحولونه لمكان اعتصام جديد في حضان الحياة المصرية الصاخبة، ويكونون لجنّتهم الطلابية العليا الثاقبة، ويريدون الصوت الذي ظننت الحكومة أنها قد أخرجته في الفجر (في الجامعتين)، ويؤرقون انفرداها واستفرداها بالأمر كما لم يؤرق من قبل

كان المقال تلخيصاً وفتحاً للحدث.. تساعل كاتبه في آخره عن هؤلاء الذين فجّروا الحدث الكبير .. عن مصيرهم .. أين هم الآن؟ .. وماذا يفعلون؟! .. غائلاً:

"هؤلاء الطلاب الذين فجّروا تلك الأحداث، تنكروا الآن بعد ربع قرن ما حدث ( كان يقصد عزم جيل السبعينيات وقتها على الاحتفال بمرور خمسين وعشرين سنة على حركتهم العظيمة، والذي تم بعدها بأسبوعين).

واستورد:

"ونحن أيضاً نتذكر هذا معهم الآن، ونتساعل، أين عشرات منهم بعد كل هذه السنوات، وكيف صاروا؟!.. أين حسان الدين عبد الله، وهشام السلاّموني، وصالح يوسف، وهاني شكر الله، ونيل عتريس، وشوقي عقل، وعاصم الغولي، وهاني عنان، وأحمد بهاء الدين شعبان، وأحمد عبد الله، وفريد زهران، وعشرات غيرهم".

كان من الواضح أن كاتب المقال يبحث عن مصائر هؤلاء الذين تصورهم — مشكوراً — الذين فجّروا تلك الأحداث (الجيل كله فجّرها، وكانت الحركة العظيمة حركته، وكان بطلها، وليس في هذا افتعال للتواضع .. بل وضع للحقيقة في نصابها، وكان جهد المقالات التي ستقرأها ينصبّ في إرساء قواعد هذه الحقيقة ) وكلّوا وراء تلك الضربة (كلفت بالحق ضربة) التي قضت على أسطورة الدولة المنفردة المستردة بكل الأمور، وفتحت الباب للديمقراطية (الباب الذي لم يستطع أحد أغلقه بعدها، وإن نجحوا في جعل الجيل لا يبالي بها، بكثرة ما أفتطوه من الأعياب محبطة لا ينقطع لها مدد!! من عباقرة التحليل، وترزية القوانين وردلحي غرش الملاءة من الصحفيين وسائر الإعلاميين) ولرغبت

السادات .. وكان ذلك هو إنجازها الآتي العظيم الضخم — على ألا يتهرب من معركة مع إسرائيل، لم يكن يريد خوض غمارها ( وإن فكر بعد ذلك في أن يخوضها محدودة<sup>(١)</sup> ). وبقي على فكرته برغم الأداء بالغ العظمة للقوات المسلحة المصرية في حرب أكتوبر المجيدة — بجناحها النظامي والاحتياط !!! مضيقا للفرصة التي كانت متاحة أو مصوبة قطيا ، قبل أن يصل أي مدد عسكري لمريكي لإسرائيل ... كانت المدة المصوبة من ٨ ١١ يوما ).

كان ذلك هو المقال الثاني، وكان لكتبه " عبد الله كمال " فضل التذكر والتذكير " وأيضا ، فضله في أن ميغ علينا ما لا نستحقه..).

لما المقال الأول — التحليلي — الذي كتبه عادل حمودة، في نفس العدد فكلن بعنوان، " عبادة الشيطان وندابات المجتمع " ( قد كانت تلك الفترة — فبراير ١٩٧٧ والتي كتبت فيها المقالات — قمة للحوار الناشب في المجتمع، بين كافة التيارات وكل الاتجاهات، عن شباب حول العشرين سنة من أعمارهم، وأغلبهم دونها، ضابطوا — أو هكذا قيل — يعبدون الشيطان ) وقد شخص عادل حمودة الظاهرة — ظاهرة عبادة الشيطان — تشخيصا ( يحصد عليه! ) وألقى المسؤولية، كل المسؤولية، على المجتمع، نازعا الفتيل من يد حكومة تكينهم، ومفتي ( بعكس شيخ الأزهر الشيخ سيد طنطاوي ) ينادي بإقامة حد الإرتداد عليهم ( القتل .. لشباب دون العشرين! ) بحجة إرتدادهم عن الدين! أو بلبا المسيحين الذي استند على الكتاب المقدس لينزقوا نفس المصير، ورئيس تحرير الوفد (الحزب المطالب بالديمقراطية). الذي أورد تحويلهم إلى محكمة عسكرية حتى لا يستفيدوا بفرص النجاة التي يوفرها لهم قاضيهم الطبيعي ( لديمقراطيون يطالبون بمحاكم عسكرية!! ) وأيضا من يدي الكتب فهمي هويدي الذي راح يحكمم فيهم — كعادته دعاء الفكر الحر!!! (كأن الحرية هي التي تقود إلى عبادة الشيطان).

(١) فريد ظهران كان من جيل الحركة الثالث ٧٥ ٧٧ ولا لظنه كان في التحرير في ١٩٧٢.

راجع محمد حسنين هيكل ( لحد أبرز المخططين لمحوذيتها ) في كتابه خريف الغضب..).

قال عادل حمودة في مقاله:

" للحزن، للوجع، للفشل، للإحباط أبناء يكبرون "

" للخرافة التي تسكن العقول، للقوة المفقودة في المدارس والمنابر والبنوك،  
للفكر اللثام كقشرة موز في مناقشات ومشاجرات المتقنين، للتاريخ المشوه كممسحة  
لأخطاء الحكام .. أبناء يكبرون "

" للتطرف، للتعصب، للفساد، للتنجس، لعذاب القبر، وللشبح الأفرع .. أبناء  
يكبرون ."

وقال عادل حمودة:

" لم يسأل المحققون أين الشيطان في تصرفات الكبار! "

" إن الشيطان يسرب الامتحانات في الجامعات، ويمنح القروض بالمليارات  
في البنوك، ويزور الانتخابات في سيرك الديمقراطية، ويدعم الإرهاب في الصحف  
القومية، ويستخدم الفتاوى حسب هواه في البحث بقول الناس، فلماذا نلعن أبناءنا  
إذا لجأوا إليه؟ "

وأنهى عادل حمودة مقاله بالكلام عن مظاهرات الطلبة في عام ١٩٦٨،  
موضحاً أن كل جيل يبدأ بالرفض

أحسنت وأنا أقرأ لعادل حمودة مقاله أن جيلنا ( الذي يربط الظواهر  
للشاردة في سياق حقيقى، ربما يبدو للآخرين بعيداً عن التصور!) يتكلم

أحسنت أن جيلنا يتكلم، قررت أن أتكلم معه.. وأن أرد على " عبد الله  
كمال" ( وكان هو المفجر الحقيقى لقضية عبدة للشيطان) والذي - لعلك تتذكر -  
تسأل " أين هم الآن". وكان يقصدنا نحن ...

أعدت ردى.. وذهبت إليه

كان الرد بعنوان " لا تسألوا عنا سألوا عن ضريبوا فكرة المشاركة، وأوقعوا الوطن في برائن العنف، حتى عبد الشيطان في هذا البلد!!"

قلت في الرد:

" لقد حاول جيلنا المشاركة في صنع بلادة كما يحلم بها .. فضرب .. وشوه، بعد أن فشلوا في احتوائه على طريقهم، فكان الرد الطبيعي ممن هم أقل ثقافة في جيلنا، هو اندلاع العنف في المجتمع بأشكال مختلفة، وبالقعة يتم تبادلها عنف على الذات، وعنـف ضد الآخرين، وعنـف ضد المواطنة، وعنـف ضد الوطن .. بل وعنـف ضد الإنسانية.. عنـف يتخفى في صورة نقشى ظاهرة الإيمان .. (عنـف على الذات)، وفي الجرائم العنصرية ( زيادة عدد الطعنات حتى وصلت إلى سبعين في جثة واحدة، وقتل الأب والأم والأخوة بممارسات شرسـة، وحالات الاغتصاب التي يراد بها إذلال الضحية وخطيئها، وليس تصريف حاجة وقتية، وجرائم النصب الاقتصادية و . . و . وكلها عنـف على الآخرين). وقتة طائفية مصنوعة ومزعومة ومفتعلة، تخفى لتظهر، وتظهر لتختفى ( عنـف على المواطنة)، وعنـف على الوطن ( الانتماء ثقافيا لمجتمعات حولنا، أو بعيدة عنا، مع أننا الأطول قلـمة ثقافيا حتى لو سكنت عن ذلك أو اعترفت به تلك المجتمعات!!) وعنـف ضد الإنسانية نفسها (عبادة الشيطان) وكل ذلك فضلا عن العنف السياسي (الذي تنفض الحكومة عينها عن كل الأشكال عدا، خصوصا في تلك اللحظات التي يطول فيها – أو يكاد – لحمها الحي ) لجماعات أرادت – أن تستند على الأكرى (الله) في مواجهة قوى لا قبل لها بها هي قوى السلطة المطلقة الفاشية، وإن فعلت مالا يقبله الله.. وما لا يقبله الوطن!!!.

وقلت:

" لقد اغترب الإنسان المصري في بلاده.. وخارجها.. بعد أن مسدت في وجهه عدا وبالأعـب محكمة أبواب المشاركة، والمغترب، مستوحش، والمستوحش وحش!.



ولخذ عبد الله كمال الرد... ولأخني إلى عادل حمودة ( رفيق الكفاح القديم والجديد ) وقرأ عادل حمودة الرد... وغلب في سهوم ( اعتاده من يعرفه ) .. قال بعده:

— هشام .. لكتب عن جيلنا .. عن الحركة الطلابية .. لكتب تحقيقا سياسيا تأخر صدوره خمسا وعشرين سنة ( هكذا وضع عادل حموده العنوان بحسه الصحفي المذهل قبل أن لكتب!! )

وقال عادل حمودة ( الصديق ):

— خذ من الصفحات ما تشاء

لكن رئيس التحرير قفز بسرعة من داخله، فقال :

— أربع صفحات في كل عدد حتى ينتهي ما تريد قوله .. كريس؟

قلت:

— كريس جدا..

قال:

— اتفقا .. وضب صفحاتك كما تشاء، وملأها بما تشاء .. أنست تعرف كيف نكتب (كان يقصد كيف يكتب جيلنا) .. واعتبرني قارنا لمقالاتك بعد أن تصدر في المجلة

وكان عادل حمودة — صدقا — عند كلامه .. لم يتدخل مطلقا.. في المقالات .. وكانت تلك هي البداية " الفعلية " للمقالات التي صارت الآن كتبنا بين يديك.

★ ★ ★

لكننا قلنا إنه كانت هناك بداية " حقيقية " للمقالات.. وقلنا أن تلك البداية " الحقيقية"، تأخرت عشرين سنة.. لو كان المفترض أن تتم منذ عشرين سنة.. وهذا واقع.. وحقيقى..

كان المفترض أن تكون البداية الحقيقية لتلك المقالات وهذا الكتاب فى العام ١٩٧٧.

فى ذلك العام ١٩٧٧، فوجئت الأمة المصرية بحدثين مروعين مدويين !!!.

أول الحدثين ، كان تفجار مظاهرات الجوع فى يناير ١٩٧٧، وذلك الحجم الهائل من العنف الجموح لاذى صاحبها <sup>(١)</sup>. (تلك الانتفاضة التى أصبر الرئيس السادات على أن يسميها " انتفاضة الحرامية"، على عادة العسكريين فى تشوية كل مبادرة جماهيرية وجبهة الأسباب!).

ثانى الحدثين كان اغتيال "الشيخ الذهبى" على يد جماعة "شكرى مصطفى، جماعة المسلمين"، ( التى اسمتها المباحث العامة " للتفكير والهجرة")

الحدث الأول جاء فى يناير.

والحدث الثانى جاء فى يوليو

كنت وقتها مجتدا فى القوات المسلحة، ممنوعا من الاتصال بالصحف .. ورغم ذلك.. قررت أن أكتب لصباح الخير" ( كان الرئيس السادات، بعد انتفاضة الجوع قد أزاح عن " روز اليوسف" طاقمها الممتاز " عبد الرحمن الشرقاوى صلاح حافظ — فتحى غانم، وأتى بمن فترعوا أنياب المجلة الصحفية، فتهلوى توزيع المجلة لذى كان قد وصل وقتها إلى عنان السماء، وتهلوى تأثيرها! <sup>(٢)</sup>

فى مجلة " صباح الخير " ولم لكن أعرف من وقتها فيها أحدا — سلمت للمقال .. ( المقال الذى لم ينشر .. وكان المفترض أن يكون البداية الحقيقية لهذا الكتاب ).

كان عنوان المقال " العنف .. ينق أوبكم بمنتهى العنف !!!".

---

(٢) خسرت مصر فى تلك الانتفاضة ٩٠٠ فرد غال بين قتل وجريح، وقبض على ١٢٥٠، نجة كبيرة منهم من الطلبة

(٣) نفس الأمر الذى حدث لعادل حمودة منذ وقت قصير والمجلة " روز اليوسف" أيضا.

قلت في المقال " لا بد وأن تنتبه، وإن جاء انتباهنا متأخراً، إلى تغيير كيفية يحدث في الشخصية المصرية، إن لم يكن - حتى الآن - هو تصاقها بالعنف .. فإنه سيؤدنا إلى عنف قادم لئلا هو لا "

وربطت في ذلك المقال بين تصرفات الجموع العنيفة في مظاهرات الجوع (انتفاضة يناير ١٩٧٧). وبين ذلك المدد الكبير من الشباب، الذي استطاع "مكرى مصطفى" أن يحصل عليه، ليكون منه جماعة الشرسة، ثم ربطت بينهما وظواهر عنف مرت بنا دون أن نلاحظها الملاحظة الدقيقة الولوجية ( حادث الغنية العسكرية ١٩ أبريل ١٩٧٤، والذي قام به تنظيم صالح سرية المكون فقط من الشباب ومن الطلبة...، حادثة ضباط للاحتياط، التي نتجت عن مشاجرة في ميدان العتبة، اشتعل فيها الميدان والناس، وتحطم فيها قسم الشرطة، واعتدى على ضابطه، بل وجرت فيه محاولة - مبكرة لنهب السلاح، والتي ربما كانت السبب وراء إصرار السادات على تجويع الشباب المدرب على السلاح، وبعثته في بلاد الناس، بإعادة له ولخطره، الذي رأى بواكره) وبين ظواهر أخرى، لاجتماعية تتصف بالعنف.. وقلت: إن شيئاً لا يجمع هذه الظواهر كلها، إلا بذرة العنف التي مستورق في استمرار، ومستروعنا في السنوات القليلة، إذا ما بقي التجاهل السطوي للمشاكل الحقيقية للناس في مصر، ولحقهم في المشاركة الفاعلة في تسيير أمور الوطن ."

وشرحت [ إن اعتمادنا السخيف - الذي نركن إليه دائماً - على متعارفنا عليه بأنه " للشخصية المصرية" التي لا تميل إلى العنف .. هو تأكيد لأسلوب غير علمي ودفن للزؤوس في الرمال .. فالعلم يؤكد أن في الإنسان طاقة عدوان، إما أن توظف في التفوق ( وهو عدوان مشروع على الآخرين) أو تسعى جامحة إلى التحطيم (تحطيم الذات وتحطيم الآخرين )].

وقلت إن الإنسان المصري .. لا يختلف - في هذه - عن أي إنسان آخر في أي زمان ومكان .. وإذا ما كفت البيئة تشارك في صنع طبيعة الإنسان، فإن

التغيرات الحادثة فى البيئة، تساهم فى تغيير ما اعتدنا أن نسميه، طبعية الانسان المصرى .

وقلت إن البيئة قد تغيرت فى مصر

• **الإنتفاح** جاعنا بالتوحش المسعور من جانب الأقلية، وجاعنا بعجز السواد الأعظم عن تحقيق ما أصبح متاحا وميسورا - بدون مبرر - لتلك الأقلية .. جاء "بفتارينه" العربية فى المحلات، فى نفس الوقت الذى تتأكل فيه قدرة السواد الأعظم للشرائية، لقد أصبح السواد الأعظم وليس لديه الاستطاعة إلا فى أن يراقب ما يحدث فى بلاده .. وأن "يشلور عقله !!، فهناك ممن هم حوله ومنه - من انطلقوا بسرعة للصاروخ من تحت خط الفقر إلى آفاق "المليون"، دون سبب واضح، دون قوة حقيقية، إلا اقترايهم من أصحاب النفوذ .. (صغروا أصحاب النفوذ هؤلاء أو كبروا...) لقد كان الاقتراب من أصحاب النفوذ يعنى الاقتراب من التوكيلات الانتفاحية.

• **الحل الجمعى** يتم ضربة تحت لافتة الهجوم على جمال عبد الناصر وعصره "الانتفاخى" .. بينما الحل الجمعى هو مسؤولية المجتمع عن أفراد.. أو مسؤولية الأفراد عند الأفراد .. لقد ترك الباب مفتوحا للحل الفردي .. "أنت مسئول عن نفسك وحدها.. خذ فرصتك بيدك" .. (والذى سيأخذ فرصته بيديه، لو لم يجد فرصة.. فسوف يستعمل يديه فى شيء آخر .. العنف..)، إن الرئيس السادات عندما أطلق "بغرض التشويه" على انتفاضة يناير ١٩٧٧، أسما هو "انتفاضة الحرامية"، لم يتعامل ولم يسمح لأحد بأن يسأل.. لماذا يمد المصريون أيديهم ليلتقطوا فرصتهم مرسقة وهم يمارسون العنف فى عصره؟).

• **الحكومة تتراجع** عن مسؤولياتها (عن مسؤوليات كل حكومة فى أى مكان من العالم) بدعى مظلومة يروج لها، هى أن الحكومة لا تستطيع أن تفعل كل شيء.. [الحكومات فى العالم لا تترك أى شيء.. الحكومات تنظم كل شيء .. سواء قلمت به هى من مصادرها السيالية ومنها أموال دافعى الضرائب (يمكن

القول أن عصر الرئيس السادات، كان العصر الذهبي للتهرب الضريبى بل العصر لذهبي لتصلح الحكومة مع التهرب على حساب الشعب الفقير.. ولذى يتم لتفارق فقراته بمنتهى الضلوة، ودفع الطبقة الوسطى فيه إلى أسفل، الأمر الذى انعكس على القيم — والطبقة الوسطى خزنتها — فقهارت. وتغير وجه المجتمع الجميل إلى تلك الملاحق الشقية التى لم نعد نرى غيرها الآن.. أو قلم به الأفراد (لقطاع الخاص). إن الحكومة لا تتخلع يدها من الأمور.. وإلا فما هو الميرر لوجود أى حكومة؟.. على سبيل المثال فإن على الحكومة أن تضمن لشعبها رعاية صحية متكاملة.. سواء أقمتها بالمجانى، ولققت من مولدها المليارية، التى تستطيع زيادتها بالضرائب المباشرة وغير المباشرة، على الفقارين، لو لم تقدمها مجانية. وسمحت للقطاع الخاص بأن يشارك فى نسبة كبيرة من مؤسسات الرعاية الصحية، إن الحالتين لا تتغيا دور الحكومة فى ضمان وصول الخدمة الطبية إلى مستحقيها. وأن تجعل الدخول قلرة على ألا يحرم أحد من تلك الخدمة الضرورية مثما نقر حقوق الإنسان.. هذا مثال يمكن القياس عليه فى كل الأمور، وإلا — فمرة أخرى — أى ميرر يجطنا نقبل بوجود حكومة!!! ولقد كان من أهم الأمور التى تراجعت عنها للحكومة.. وخلعت يدها منها.. فقد صارت عملية خلع اليد فلسفة من ذلك الوقت<sup>(٩)</sup>، هو لتزلم أى حكومة بأن تعطى موظفيها، وأن تضمن لغير موظفيها بالقلنون، مرتبأت — مقابل أعمالهم — تقى باحتياجاتهم الحياتية للكرامة، وأن تقاوم بهم (باحتاجهم) ومعهم (بالأشراف) الارتقاع الزائف للأسعار، خلعت الحكومة يدها من الأمر بدعوى أن ليس لديها ما هو أكثر، وأنها تعطى ما

(٩) بدأ الترويج لها الأخوان على ومصطفى أمين — بمجرد إسقاط قضية التجسس عن الأخير، ولطافى سراحه، بزعم أن حالته الصحية لا تتناسب وسجنه، ثم حمل لواءها أفراد الكتيبة الصحية لثى كونها الأخوان — مصطفى وعلى — وآخرين بتمويل — رتبته فممن رتبوه عثمان أحمد عثمان والشيخ عبد الحليم محمود، حيث تم دفع مبالغ كبيرة فى مقابل أى كتاب — غث — يكتب لتشويه القلرة الناصرية، وقد يلاحظ القارئ — كما لاحظت — أن اغلفة تلك الكتب رسم معظمها القنان (!) مصطفى حسين، لقد كان هؤلاء الذين حصلوا على الثمن دعة خلع يد الحكومة من مسؤولياتها فى الصحف القومية.

فى يدها، وماتى إكفاتها (الحكومة مسؤولة عن أن تقى إكفاتها بالضرورى .. المطلوب)، وذلك فى نفس الوقت - الذى كانت تخطط فيه لانفتاح استهلاكى يقضم من الدخل القومى ولا يضيف إليه، (لكى ينقص ما فى يدها، وما فى إكفاتها!!) ضاربة كل فرصة لاستثمار لتلتجى (بتحويل المعنرات أى الإشباع الاستهلاكى) يوسع فرص العمل بنسبة مستقبلية مناسبة، ويوسع أيضا فرص العائد على العمل، أيضا فى نفس الوقت - الذى تسمح فيه (الحكومة) لموارد آتية من فروض أفتلتنا بها دون عقد منذ عام ١٩٧٤ (وزارة د. عبد العظيم حجازى) ولنهر موار من تحويلات المصريين من الخارج، أن يحتفيا فى غلاء مصطنع قائم على المضاربة (لا عقد من ورقه.. فهو مجرد بيع وشراء بقم مصطنعة) وفى جيوب البعض من الفاسدين ومن المستفيدين من لكونية الاستيراد "بدون تحويل عملة"، الذى التقط للعاملات الحرة من منابعها - فى الدول العربية من العاملين المصريين بها - وأخطها البلاد سلعا استهلاكية بأسعار شديدة الارتفاع، تملأ أسعارها فى الأسواق العربية المفتوحة، أسواق الوفرة التى لا ضابط ولا رابط بها، ثالثا - فى نفس الوقت - الذى لا تمل فيه الحكومة عن الإدعاء بضغف مولدها وبحاجتها الملحة للعاملات الحرة التى لا تجد رقتها (!!)، وتغض النظر عن المفسدين (حتى يصبح الولد منهم غولا لا يبقى ولا يثر) وتصلحهم ضريبييا - أيضا - على صلب مولدها المبادية!!!، أو تصلحهم عند المدعى الاشتراكى !!

• أسلوب "العقنة" فى التعامل مع الغرب .. وأسلوب العقنة، لم ولن يعنى أكثر من أن نرتضى نحن بما يرتضيه الغرب) فنحن لا نتشجع<sup>(٢)</sup>، ولا نضرب رأسنا بالحائط، ولا نطرح الصخر الأمريكى، وهكذا نكون عاقلين، عقلانيين، متعقلين، متعقلين، نفهم المتغيرات من حولنا كما يجب أن نفهم !!!، أسلوب العقنة هذا (الذى هو رضوخ كامل) ضرب العزة الوطنية والقومية [ طاقة العدول المشروعة فى معارها الصحيح (التفوق)، والتى لا تسمح فى نفس الآن بظلم الآخر والانتقاص من حقوقه]، ضرب العزة الوطنية فى مقتل

(٢) كلمة الرئيس السادات الأثيرة، لى كان يكثرها فارقا بينه وبين جمال (الله رحمه)

وقلت في المقال (ألا زلت تذكر؟): " إن رد السواد الأعظم الوحيد والممكن، على كل ما سبق، أن يكون إلا العنف، ذلك العنف الذي يتخفى تحت أُلُفَّة مختلفة، والذي سوف ينفجر — بعد ذلك — مفضوحا واضحا".

لم تنشر المقالة (وأنا أعز صباح الخير، فقد كانت حساسية الرئيس السادات، الذي قرر وقتها، التراجع عن الديمقراطية<sup>(\*)</sup>)، تزداد في مواجهة كل كلمة مكتوبة، وضد كل من يسمح بنشرها، كان السادات وقتها — بعد انتفاضة يناير ١٩٧٧ — قد كثر — تماما — عند أبواب ديمقراطيته!).

وهكذا وندت البداية الحقيقية " لهذا الكتاب، وتأجلت عشرين سنة كاملة!

★ ★ ★

تلك البداية المؤودة لهذا الكتاب، نشنت قصته

لم نقل منذ البدء، أن كانت للكتاب بداية حقيقية، وبداية فطولة.. وقصة.. الآن جاء دور القصة

منذ حجب المقال عن النشر.. لم يد لي هم .. إلا تعميق تلك الفكرة التي احتواها، والتي تؤكد أن بديل الديمقراطية (المشاركة الحقيقية للفعالة في تيسير أمور الوطن) عنف.

وإن بديل العدل الاجتماعي .. عنف!!

وبديل العزة الوطنية والقومية .. عنف..

وإن للعنف مظاهر لا تتم دراستها ولا الانتباه إليها.. وأن الحكومة لا تركز تفكيرها وقدراتها إلا على العنف السياسي الذي يطول لحما — هي — الحى، أما للمصري، وقيمه، ومستقبله — فموضوع لا يخطر على الأذهان!!!.

---

(\*) راجع "حريف الضحك" لمحمد حسين هيكل. ومذكرات صلاح حافظ "مايسترو الصحافة المصرية" لرشد كلل.

## ورحت لجمع مادة الكتاب

★ ★ ★

كان السادات وقتها قد أُنسكت الصحف القومية، وراح يتوعد الأحزاب وصحفها المعارضة .

— علنا — منهما ما نكتبه بأنه "جاولز وبذاءات"، مهددا بأن للديمقراطية أسنان .. وأنياب، لقد أرادها هي الأخرى. — الأحزاب وصحفها — أن تُنسكت..  
لما هو فلم يسكت..

كان قدره — وقتها — يقوده إلى نهايته.

كان في ورطة شديدة الغور — في عام ١٩٧٧ — لوصل نفسه، ولوصلنا إليها بمدينته التي يحلو للبعض أن يصفها بالعنصرية!!

وكلفت ورطته شديدة الغور تعبر عن نفسها دلخيا وخارجيا

• دلخيا، لم يكن يستطيع التراجع أو العمل لصالح الجموع الضخمة، تلك "الجموع الضخمة" (السواد الأعظم) التي روعته في يناير ١٩٧٧، ولرته نهايته، قبل النهاية الفعلية بأربعة أعوام، وشهور تسعة (نقل قليلا)، كان التراجع يعني أن يتخلى عن الطبقة الانتقالية "المسورة" التي أفرزها عصره، والتي أُنشبت أظفارها في كل شيء من حوله، حتى أصبحت (فعليا، وثقافيا) بممارسة الردح الاعلامي ضد مهاجميه) هي التي تحميه، فضلا عن أن أحلامه وأحلام أسرته الصغيرة والكبيرة، كانت ضمن أحلام تلك الطبقة، لقد تصور السادات أن عليه أن يرمخ قواعد تلك الطبقة المعروفة!!، كي تترسخ قواعد حكمه.. غير هذا، كانت صورته أيضا لدى الغرب وأمريكا بالذات (التي لم تحم أحدا من أنصارها من قبل!!!) على أنه المزيد للرسمية، تلك الصورة التي كانت تهم طموحاته كثيرا، ستهتر إذا ما تراجع، أيضا صورته في مرآته هو، التي رسمها لنفسه — خطأ — على أنه آخر للفراعين —



المؤمن .. الملهم .. و ... كانت سترتج، ولم يكن السادات مستعدا لاهتزاز صورته لدى طبقته ولدى الغرب أو فى مراقبه الخاصة.

• سبب آخر — مهم كان يمنع السادات من التراجع، هو أن الاتجاهات الدينية التى لم يتوان السادات عن النفخ فى قدراتها (كثت هناك اتجاهات دينية أخرى يعتبرها السادات من أعداء نظامه أو من نصائر العدالة الاجتماعية أو ووصف أعضائها فيما بعد بأنهم شيوعيون أطلقوا لحاهم) إذ رآها — الاتجاهات الدينية التى كان يؤيدها وتؤيده — طيفه طبقته الجديدة الوحيدة، فى مواجهة اليسار (من الشيوعيين والناصرين الذين راح يضربهم بعنف، بعد أن حملهم لثام ثورة الحرامية فى يناير ١٩٧٧ والتي كثت بحق انتفاضة ضد الحرامية وفى موجهتهم). وراح يصفهم بأنهم " المتاجرون بالأم للشعب " كثت تلك الاتجاهات الدينية، لن تقبل ترلجعه، فقد كثت ضد أى صيغة — ولو مهتره — للاشتراكية، لقد كثت تلك الاتجاهات فى حقيقة أمرها — تستخدم الفقراء لتحقيق مصالح طبقية، رأسمالية، بدعى أن الاشتراكية — بهتنا — هى الإلحاد، وهى الوقوف — لفتراء — ضد سنن الله فى عباده، وأن الزكاة — قصورا — هى المشروع الاقتصادى الإسلامى، القادر على حل مشاكل الفقراء، وأن الإسلام — ظلما — دين للتكافل الاجتماعى (فدعونا من العدل وسيرته .. للتكافل أحسن)!!!.

وهكذا ظن السادات أن ترلجعه يعنى انقلاب كل حلفائه — فى الداخل والخارج — عليه

• خارجيا، كان السادات فى ورطة رهيبة، فهو من باب " العقنة " وعدم التشنج ( الذين يعنيان ارتضاء ما يرتضيه الغرب لنا ) كان قد ضحى بالاتحاد السوفيتى — وقتها — كمصدر رئيسى لتمليح قواته المسلحة، (ظانا — وبعض الظن أثم — أن الغرب سيسلحه!)، وكان قد انغمس حتى أنفيه فى متاهة فض الاشتباك، على مراحل، مع العدو الصهيونى، برعية الولايات المتحدة الأمريكية .. الأمر الذى كان يتعثر تعثرا مخزيا .. لقد بات واضحا أن مصر التى انتقلت من صفر

الهزيمة وتحطيم أداتها العسكرية بالكامل، إلى الفعل الأكتوبرى المبهر (بكل المقاييس) في ست سنوات (كان من الممكن أن يقلوا عن ست)، مصر هذه .. التي خرجت من الحرب منتصرة ( رغم ألف المعتقلين) تتعثر أربعة أعوام .. كاملة .. في طريق فض الإشتباك الوعر، الذي صمم السادات - لستراتيجيا ولرضاء للغرب - على أن يخوضه.. وما هو ذا في ١٩٧٧ لا يرى له نهاية .. وما هو ذا يرى وقد ضحى بمصادر تسليحه (لقد كانت التضحية بالاتحاد السوفيتى كمصدر للتسلح خطيئة كبرى .. قد كان الاتحاد السوفيتى منذ النصف الثانى من المبعينات، مستعدا لبيع أى شىء.. ولا أظن أن الهند النووية، والباكستان النووية إلا نتاجا لاقتصاد تلك الفرصة) ها هو يرى وقد ضحى بمصادر تسليحه أن للتوازن التسليحى الذى اختل فى معارك أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة لصالح مصر (خرجنا من الحرب والميزان العسكرى يتراوح فى الطيران بين ٣ : ١ لصالح مصر وفى الدبابات ٤ : ١ لصالح مصر، ناهيك عن المدد البشرى الضخم فى مصر) قد تم تعويضه كاملا لصالح إسرائيل فى الفترة من ٧٣ - ١٩٧٧<sup>(٩)</sup>، وأن الأمريكيين الذين لا يكيلون أبدا بمكيال واحد، مصممين على تدعيم التفوق التسليحى لإسرائيل، وأن يكون الميزان ثقيلًا فى كفنها إذا وزنت مع كفة العرب مجتمعين .. (وبالطبع لم تكن طبقته الانتقالية وحلفاؤها من الاتجاهات الدينية .. يقولون عودته للاتحاد السوفيتى، ولو كمصدر تسليح، فضلا عن أنه كان قد قطع كل الجسور بينه وبين الروس).

كانت تلك ورطة السادات داخليا .. وخارجيا .. (التي لوصل نفسه وأوصلنا إليها بسياساته ) ونتيجة لتلك الورطة .. كان على السادات العاقل، المعتقلن أن يأتى بالفعل لم يكن من الممكن أن نتصف بالعتل!!!.

(٩) راجع لين هويدى. القمص الضائعة

• في مواجهة اليسار (المخامر، المتاجر بالآم الجماهير!) راح يتاجر هو بالرخاء العميم القادم.. (بينما ميسلته تفسر بتركيز الثروة في أيدي القلة من البعض، وسحق الجماهير العريضة).

• وفي مواجهة العنف الشعبي المتصاعد، راح يعد مساراً تمريسياً للعنف هو "الفتنة الطائفية" .. (راجع تصريحات السادات عن ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية على كل المصريين، وتصريحته ضد البابا للمسيحيين .. ووصول الأمر إلى نزوته بعزل الباب الذي التجأ إلى ديز وادي للنظرون).

• في مواجهة فضله سياسياً في تحقيق النتائج التي أسفرت عنها حرب أكتوبر الخالدة التي قلبت نظرية الأمن الإسرائيلية رأساً على عقب - حفاً وصدقاً - راح يعد للصلح مع إسرائيل، وإلى نزوله المينمائي في مطار تل أبيب (لتعبير لجولدا مائير، .. ووقوفه في الكنيسة الإسرائيلية بخطب السلام، وفوق رأسه حفر غائر على الحائط يقول إن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، زاعماً - وبعض الزعم إثم - أن المشكلة لا تزيد عن كونها مجرد حاجز نفسي بين العرب وإسرائيل، بينما يجب يتكلم عن يهودا والسامرة مملكتي إسرائيل اللتين أقامها داوود المحارب (صاحب النجمة المداسية) المملكتين اللتين تلتهمان مزيداً من الأرض العربية غير ما تسيطر عليه إسرائيل الآن بالفعل! .

اضطر السادات العبقري(!!) إلى تلك الأمور الثلاثة .. وكان في تلك الأمور للثلاثة مقتلة ..

لقد تصرف ويوحى عبقرته (التي روج لها أنصاره وجوقه الإعلامية) مضطراً فقتله اضطراباته .. وقتلته العبقرية المزعومة.

كان الرخاء الذي لم يأت، عاملاً مؤثراً في مقتله..

وكانت الفتنة الطائفية عاملاً

وكان صلحه مع إسرائيل قشة ضربت ظهر البعير فقصته

لقد كان القدر بعد لعبقريّة السادات منذ بداية العام ١٩٧٧ إلى نهاية السادات في ٦ أكتوبر ١٩٨١، ضربات متقود البطل التراجيدي إلى حافة المقدر.

فالمسادات الذي فرح بتخطيط حركة الصفار ( الطلاب ) واليساريين (شيوعيين ونصريين)، تلك التي واراها وراء قضبان ثخينة، من التنويه، والقمع، والتهديد، واستعداد التيارات الدينية الموالية لطبقته للحكمة عليها.. ووارى زعماءها في زنزين مظلة، السادات الذي فرح بذلك، طلعت له حركة معارضة من الكبار " المستقلين" تحت قبة البرلمان ( نجومها الأستاذ محمود القاضى، والأستاذ ممتاز نصر، والدكتور محمد حلمي مراد، والأستاذ علوى حافظ، والأستاذ عادل عيد، وآخرون) كانت محمية بالحصانة التي لم تكن للصفار ولليساريين، ولقد رأى السادات من تلك المعارضة، التي حل مجلس الشعب، وزور انتخابات البديل الجديد، ليتخلص منها بعد زيارته لثل أبيب [ لم يستطع للتخلص من الأستاذ ممتاز نصر، فقد وقف أنصاره في البدارى التابعة لأسبوط بالسلاح (العنف) في مواجهة التزوير..] رأى السادات من تلك المعارضة هؤلاء، إذ تركّزت ضد الفساد الذي استشرى في عصره، والفسولات (التي لم يبرأ هو منها)، وضد معاهدة الصلح مع إسرائيل.. وضد عدوانه السافر على الديمقراطية، وقوانينه العجيبة، من نوع "قانون العيب" وحماية الوحدة الوطنية"، التي هندسها الأستاذ أنور أبو سحلى . الذي بدأ بمصاراة صحف المعارضة في كرسى القضاء، ولتنتهى مفضلا للقوانين، القائلة للحريات في مقعد الوزارة ( وزارة العدل!!!) رأى السادات من رموز المعارضة هؤلاء مالم يكن يحب أن يراه، أو يتصور أنه سيراه، خصوصا عندما أفضمت له النقابات ( وأبرزها نقابة المحامين في ذلك الوقت).

والسادات الذي عمد إلى تسريب العنف في مظاهرات القنسة للطائفية، وراح ينفخ مزيدا من القوة في صدور الاتجاهات الدينية المناوئة لليسر في الجامعة حتى سيطروا على عدد ضخم من اتحادات الطلاب بعد أن خلت الساحة لهم (في ديسمبر ١٩٧٧).. وفي صعيد مصر (حيث الأقباط الأثرياء)، متمركزين بحركتهم حول أسبوط الجامعة تحت رعاية منشئهم، وراعهم محمد عثمان إسماعيل (ولقد وصل

الأمر بالمصادات في ١٥ مايو ١٩٨٠، إلى أن يتم الأفياط المصريين — علنا — بأنهم يحاربون في صفوف الميليشيات المارونية في لبنان، بالطبع ضد العروبة، والإسلام، وأن يتم البلبا شنودة للثالث نفسه بأنه يسعى إلى إنشاء دولة للافياط في صعيد مصر وأنه يرتب لأن يتخذ أسبوط عاصمة لها ( المصادات الذي فعل كل ذلك ( وأكثر) لتبهيح الفتنة الطائفية، وجد نفسه في "حيص بيص" مع الغول الذي صنعه ( الجماعات الدينية والفتيات الإسلامية الموالية له) عندما قرر أن يستضيف لشاء المخلوع بثورة إسلامية (!) في إيران (ربما ليقول لأمريكا .. لا يصح أن تخلي يدك هكذا من أنصارك!)، بل وعندما أراد أن يولج البلبا شنودة، فقال " لا ميلسة في الدين، ولا دين في الميلسة" فاعتبرها الأنصار موجهة لهم أيضا، وأيضاً حين سعى للصلح مع إسرائيل (اليهود الذين هم أشد الناس عدوة للمؤمنين).

ولوجه الحقيقة والتاريخ<sup>(٢)</sup>، فإن المصادات لم يفهم الجماعات الإسلامية في مصر، أما هم فقد تصوروا أنهم فهموه!!!، كان المصادات ينظر إليهم على أنهم "أداة" يستطيع — بل يسهل — عليه استخدامها (هذه النظرة اكتسبها قبل الثورة في علاقته بالأخوان المسلمين، وبعد الثورة كممثل لمصر في المؤتمرات الإسلامية، ومن علاقته بكمال أدهم. صهر الملك فيصل، ومن علاقته بعثمان أحمد عثمان الذي أجاد اللعب على ذلك الوتر الديني خارج مصر في عهد عبد الناصر، وفي دخلها في عصر صهره وصديقه ورفيقه أنور السادات) وكانوا — الجماعات الإسلامية — هم ينظرون إليه على أنه فرصتهم التاريخية .. أما الحقيقة فكانت عكس تصورات الطرفين.

للحقيقة، لم تكن للفتيات الدينية أداة في يد المصادات يسهل استخدامها.. فالفتيات الدينية في مصر لم تكن في أي وقت من الأوقات كما متجانسا .. فضلا عن أن للفتيات الدينية الناشئة بعد نكسة ١٩٦٧، كانت تختلف كيفاً عن سابقاتها

(٢) لي كتاب عن " الحلف القدام .. في مصر" سيصدر قريبا وسيوضح الصورة.

ثلاثي نشأت قبل ٦٧، وكان منشأ الاختلاف .. أن التيارات الإسلامية قبل ٦٧ فرحت بالنكسة، إذا كانت دليلاً على فشل النظام الذي كانت تولجه .. (تذكر قول الشيخ الشعراوي، لقد سجدت لله شكراً على نكسة ٦٧)، وكانت تؤذن — النكسة — بنهاية الجبار (جمال عبد الناصر) الذي روعهم في معتقلاته للرهيبة .. (نظر البوابة السوداء، أحمد رافع، الزهراء للإعلام العربي ١٩٨٥) أما التيارات الجديدة (بعد النكسة) فقد نشأت في مواجهة للنكسة وضد الهيمنة الغربية بمحاولة الاستعلاء العرقي عليها .. صحيح أن الاثنين (تيارات ما قبل النكسة والتيارات بعدها) قد استخدموا النكسة في مواجهة للنظام.. لكن الفارق يكمن بين من فرح بها .. وكان يفكر أممياً وله تراث في استخدام علاقته بالغرب، وفي استعداده أيضاً على مناولته في الداخل، وبين من أغضبته النكسة ففكر وطنياً (تكلم هنا عن التيارات الإسلامية حتى مقتل السادات، وليس عن التيارات الأحدث بعد ١٩٨٤)، وصحيح أيضاً أن الأميين والوطنيين (لا أفي صفة الوطنية عن الأميين — تكلم هنا عن أسلوب تفكير) كانوا يرون في السادات فرصتهم التاريخية، لكن الأميين كانوا أكثر استعداداً للمهادنة، إن لم يكن للقبول به .. (وصحيح أيضاً أن كل التيارات الإسلامية، أممية ووطنية، كانت ضد الصلح مع إسرائيل من موقف ديني)، والسادات عندما صنع تياراً دينياً إرهابياً يمسك سلطته، لم ينظر إلى وجود تيارات دينية تخالفه نظرة فيها تعمق، ولم ينظر أيضاً إلى أن محاولات في ضربها لاستحداث تياره الديني الخاص، أن تمر بسهولة .. ولهذا بقيت التيارات الدينية المعارضة للسادات تحت الأرض مستترة في حركتها من حركة "المساح" للوسعة التي لولاها السادات لتياره الخاص.. وعندما اختلف السادات مع التيارات الدينية كلها حين قال "الإسلام في الدين ولا دين في السياسة"، اختفى التيار المصنوع (وهذه طبيعة الانتهازية فيمن يتم صنعهم) ونشقت الأرض عن التيارات المعارضة له .. في وقت كانت التيارات الدينية الأممية (الاخوان المسلمين ومن خرجوا من عبادتهم، وليس من خرجوا عليهم كصالح سرية وشكري مصطفى) يمسكون بالعصا من منتصفها، السنتهم ضد الخوارج وقلوبهم معهم...

ذلك التقصيم (بين غير المتجانسين) لم يفهمه السادات، وأيضاً لم ينتبه إليه المحللون الذين يتكلمون عن التيارات الدينية (كمم متجانس .. وتيار واحد صنعه السادات ثم انقلب كل منهما على الآخر).

هكذا بدت وقائع ثلاث مستحصية على التفسير، ضمن كثير غيرها.. (وقد حدث خلل كبير في تفسيرها).

**الواقعة الأولى:** حدثت بينما كان للقاضي يعان الحكم بإعدام شكرى مصطفى (عام ١٩٧٨).

**الواقعة الثانية:** حدثت في جامع صلاح الدين عند كوبرى الجامعة عام ١٩٨٠).

**الواقعة الثالثة:** حدثت والرصاص ينهمر على أنور السادات فى المنصة (عام ١٩٨١).

كان شكرى مصطفى "ثناء إلقاء للقاضي الحكم بإعدامه" يطوش "صالحاً، يا عملاء الصهيونية، يا أصدقاء بيجن وشامير، يا عبيد الأمريكان"، ولم ينكر غضبته الدينية فى "غلوته" لولا مجال للظن — طبعاً — بأنه كان، يريد أن يؤلب الناس ضدهم بما يكرهه الناس لا بما يكرهه هو .. لقد كان يعلم أنه مشنوق! وكان يعلم أن الجلسة سرية، ثم أنه لو كان يريد أن يؤلب الناس على مشنوقه، لاختار أن يؤلبهم بالدين.

**الواقعة الرابعة:** حدثت عندما أرادت بعض الجماعات الدينية بالجامعة (وعلى رأسها الجماعة الإسلامية) أن تقيم مسكراً داخل حرم جامعة القاهرة (١٩٨٠)، ورفض التصريح لها، فصممت على إقامته دون تصريح.. فواجهتهم قوات الشرطة وفتحت الجامعة وأخرجتهم منها (الناس تتصور أن السادات أفتح للجامعة مرة واحدة فى يناير ١٩٧٢)، فاندفعوا إلى جامع صلاح الدين عند نهاية كوبرى الجامعة أو بدايته القريبة من قصر العبنى واحتلوه، وفتحوا مكبرات الصوت فيه، وهاجموا الساد، والصالح مع إسرائيل و "قتلوا الجند" الذين

يتظاهرون بالإسلام، بينما أفعالهم بعيدة عن تعاليمه.. (لأن لم يكن الأمر أمر دين فقط لكن للتدين كان تعبيراً عن غضبة مياعية علومة).

**الواقعة الثالثة:** حدثت أثناء تنفيذ اغتيال الرئيس السادات، إذ تصالح الذين هاجموا ليقولوه "تحيا مصر" (II) وكفوا أعضاء في تنظيم الجهاد! [حدث هذا بينما المصريون جميعاً مسلمين وأقبلوا كفوا يصيحون "الله أكبر" في لحظة العبور للعتيم].

هذه الأحداث الثلاثة، تظهر أن تيارات ما بعد ١٩٦٧ الدينية، قد اختلطت لديها الوطنية التي سفح دمها على رمال سيناء ١٩٦٧، وفي محادثات فض الاشتباك على مراحل والرضاء، المتعان بما يريده للغرب لنا ومنا، والصالح مع إسرائيل. مع محاولة الاستعلاء العرقي على الغرب واليهود المهمين علينا رغم قدرتنا عليهم التي أظهرتها معارك أكتوبر المجيدة ١٩٧٣ (استعلاء تعريضاً، في مواجهة الاستحقاق القومي الذي جاءت به الهزيمة للشهداء، والعقولة الانهزامية، وللأسف الشديد إن أحداً لم يتتبع ولا يريد أن ينتبه إلى القضية القومية والقضية الاجتماعية لهؤلاء الذين اتخذوا الاستعلاء العرقي - الديني - وسيلة لمجابهة سلطة غاشمة كانت دوماً (أسداً علينا وفي الحروب نعمة) برغم دمائنا المسفوحة المنتصرة في مواجهتنا مع الغرب، (وضمن الغرب اشكيناز إسرائيل وهم اليهود الغربيون)، مستندين على "الله" الذي لا يمكن أن يخذلهم مثلما خذلهم قادة ثورة يوليو ١٩٥٢، في مرحلتها الثورية والترجيحية). وهكذا أضاعت القوى الوطنية فرصة عظيمة للتحالف والوفاق من أجل انتصار قضايا مشتركة، وعلى رأس تلك القوى الوطنية التي أضاعت الفرصة تلك الجماعات الإسلامية الوطنية نفسها، ذلك أن قياداتها كانت في أغلبها مخدوعة بالسلطة المشتبهة لرجال الدين

لهم الآن.. اختلف السادات مع حلفائه في الاتجاهات الدينية، فتويت مسوكة غير المؤيدين لمبادئه من هذه الاتجاهات، وتصدوا للسلطة، بعد أن مهد "هر" لهم الأرضية بنفسه، وعندما صمم على تكليهم "واجهوه، ولما شموا راحة رغبته في القضاء عليهم .. قتلوه



لقد قتل الرئيس السادات، وكل الاتجاهات في مصر تعارضه (عدا طبقته الانتقالية الشرسة التي لم ينفعه ربحها الإعلامي) من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. وفي تلك اللحظة كان العنف قد استفرد بالصورة واضحا جليا بلا أنفة ولا تزويق.

★ ★ ★

بمقتل السادات واستفرد العنف بالصورة، كانت مرحلة أخرى من قصة هذا الكتاب على وشك أن تبدأ

كنت قد نشرت قصيدة عامية " في صباح الخير (حملها إليهم شاعر مصر العظيم فؤاد حداد الذي شرفت بصدافته في منى حياته الأخيرة، وهي منى مجده الشعري الطاغى الذي لن يموت) بعدها طلب الأستاذ لويس جريس (الذي أدين له بفضل كبير ولكن له احتراماً كبير) أن يقلبني، كانت القصيدة قد نشرت في عدد صباح الخير الذي صدر يوم الثلاثاء ٦ أكتوبر ١٩٨١، يوم مقتل السادات، (كانت صباح الخير منذ تولى رئاسة تحريرها الأستاذ لويس جريس تصدر يوم الثلاثاء بدلا من الخميس، وإن ظلت تحمل تاريخ الأخير، تجنبنا للخميس الذي تتكرر فيه المجلات الصادرة المناقصة)

ذهبت للأستاذ لويس في مكتبة لا تعرف عليه، ( لم يمنعني قتل السادات والاضطراب القائم بعد الحادثة من أن أذهب .. بل وأعترف بأنني ذهبت متحينا فرصة الاضطراب لغرض في نفس يعقوب!)، وعندما قابلني الأستاذ لويس مقابلة تليق بأخلاقه الرفيعة الرقيقة، تشجعت وفتحت معه موضوع العنف، وموضوع تلك المقالة التي ذهبت بها إلى صباح الخير عام ١٩٧٧، ولم تتشعر .. ( وكان من المفترض أن تكون البداية الحقيقية لهذا الكتاب) وقلت للأستاذ لويس، إن تلك المقالة كانت تحذر مما نحن بصدده الآن..

انقسم الأستاذ لويس.. وبعد تفكير قال:

— أظن أننا الآن نستطيع أن ننشر هذا الكلام

لحظتها بدأت كتابة المقال الثاني، وذهبت به إلى "صباح الخير"، ليكون على أن أنتظر أكثر من شهر حتى أراه في المجلة (فهمت من الأستاذ لويس وقتها أن فترة التأخير تلك، كان يتم فيها تبادل الآراء، مدولة بينه وبين الأستاذ المرحوم صلاح حافظ، عن تحين الفرصة الملائمة لنشر المقال) صدر المقال بعنوان (على غلاف العدد ١٣٥٣ الصادر بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٨١) "جامعى يكشف حقيقة الإرهاب: للكبار مسئولون عن غرس الإرهاب بين الطلبة"، وكان العنوان للدخلى على الصفحة السابعة (المقال نشر فى فى الصفحات ٧-١٣) "شاب مصرى يقلب المائدة: الإرهاب مسئولية الكبار"، وبمقدمة كتبها الأستاذ لويس جريس تسببت فى رعبى وفى "موقف شديد الغرابة..".

كتب الأستاذ لويس جريس فى المقدمة:

قرر شاب مصرى أن يقلب المائدة، لزعجة تهلم للشباب بالمسئولية عن حركات الإرهاب الدينى (ثم خل بالك من هذه) التى كان عضواً فيها (كتب الأستاذ لويس هذا فى وقت كان يقض فيه على من تكامل فى حلاقة لحيته فى الصباح!!) بينما الحقيقة أن الكبار كانوا وراءها.

الحقيقة أن أنزعجا (بل رعبا!) شديدا أصابنى من جراء "التى كان عضوا فيها" هذه (والذى دخل المعتقلات والسجون، يعرف خطورة ما يحدث لواحد لا ينتمى للاتجاه وأصائله المنظمة، وغير معروف لأحد منهم، عندما يجثونه بينهم فى السجن!!).

فى الصباح وجنى الأستاذ لويس جريس أنخل عليه، ولابد أن وجهى كان مصطبغا بما هو فى الدخلى.. فهو ما أن رأتى دلخلا، حتى انتابته موجة ضحك طويلة مقهقهة، وقال دون أن أتيس بكلمة:

— ما تخافش ياسيدى، احنا كتبتنا إنك عضو فى الجماعات الدينية الإرهابية،  
بس المباحث صححت لنا المعلومة، وقالت لنا.. المنكور شيوعى  
وهكذا تآرجحت فى ليلة واحدة وصباحها بين أقصى اليمين وأقصى اليسار!  
والحقيقة أن تلك الأرجحة، كان لها ما يبررها

افهمنى — وقتها — الأستاذ لويس جريس "بدمائته المعروفة"، إن المداولات  
للتى طال أمدها وسبقت نشر المقال، قد استقرت على تنفيذ نصيحة قدمها الأستاذ  
صلاح حافظ بأن المبرر الوحيد الممكن لنشر مثل تلك المقالة، هو نشر تلك المقدمة  
(بالجزء الذى أوردته من قبل) لكى يجيء — فى المقدمة — ما يلى.

"وفى رسالة بالغة الصراحة، طلب الشاب من صباح الخير " أن تنشر  
شهادته، وقد لا تؤيد صباح الخير ( هنا مربوط للفرس) كثيرا من وجهات نظره،  
ولكن الوقائع التى يستند إليها لا يمكن إغفالها . خلاصة وهى منشورة ومعلنة على  
الملا، وتحت نفس العنوان — أسرار الحركة الطلابية — " (٥)

وضحك الأستاذ لويس جريس مردفا :

— لم يكن من الممكن أن نقول: إليكم شيوعى يدافع عى الاتجاهات الدينية،  
أو إليكم كتّاب محايدين يدافع عن القتل ويتهم القتل .. الذى هو رئيس الجمهورية!!  
ثم اكتست ملامح الأستاذ لويس بالجدية وقال:

— للممكن الوحيد، كان أن نصور الأمر على أننا ننشر آراءهم، وعلى  
اسمائهم، لكى نبرر النشر.. فأرلؤهم ليست أرأنا بالتاكيد

---

(٥) كان ضمن ما اعتمدت عليه المقالة، كتب المهتمس وائل عثمان لمن أطلب الاتجاه الدينى فى  
جامعة القاهرة "شباب الإسلام" فى الأعوام ٦٨ ٧٤، وهو كتب أسرار الحركة الطلابية. القاهرة  
١٩٧٦ وقد تميز كتبه بالصدق الشديد فيما أوردته وفى شرح وجهة نظره المعارضة للشيوعيين  
الذين رأهم بسيطرون على الحركة.

والحقيقة أنني لم يكن شيوعيا يدافع عن الاتجاهات الدينية. (برغم أن الأستاذ لويس أكد لي في هذه الجلسة، بحصة الصحفي الذي يستشرف ما سيكون، أن المحامين أن يجدوا شيئا أكثر من كلمتي، ومن منهجي، ليدافعوا به عن قلة السادات وقد حدث ما توقعه الأستاذ).

والحقيقة أيضا . أنني لم تكن كاتباً محايداً يدافع عن القلة ويتهمل القليل

الحقيقة.. كل الحقيقة .. أنني كنت كاتباً يتهمل القليل

لقد كنت تهمل السادات بشيء أكبر بكثير من كونه تسبب في مقتله

ولابد الآن أن أكتب أجزاء من المقال، لعل هذه الأجزاء توضح ما كنت

أرمى إليه ... قلت في المقال:

"لم يعد على السطح الآن إلا غول الإرهاب البشع، وقد أصبحت القضية الآتية، هي محاربة هذا الإرهاب، هذا الغول، والقضاء عليه تحقيقاً للأمن"

"ولخاف أن نقضى على طليعة إرهابية، وبلا رغبة نحول البعض منهم إلى شهداء، ينسى لهم من يجيئون بعدهم كل شيء إلا الاتيها بالشهادة، ولا يرون فيهم إلا للهالة التي تحيط بالشهداء والنور الذي يتضوع منهم" (أظن أن تلك النبوءة قد تحققت!)

وقلت:

لا نستطيع الآن أن نجزم بأن "العنف فوق المنصة" سوف يكون آخر محطات القطار المخيف، قد تكون محطات أخرى في انتظارنا، وفيها هول تضاعف منه أبدان وتتخط في دماغها منه أبدان" (أظن أيضاً أن تلك المخاوف قد تحققت).

قلت أيضاً :

"إن فلذات كبدا تضع، فلذات كبدا تتحول ملامحهم الرائعة البهيبة، إلى ملامح قاسية، تضمر الشر، فلذات كبدا نكرهم وكفوا جديرين بالحب، لولا أن شامت ملامحهم الجميلة، نكرهم، لكن حشرتنا عليهم تبقى أكبر بكثير من كراهيتنا

لهم، إنهم — من قبل ومن بعد — فلذات لكباد \* [ وآه كم ضاع من فلذات لكبادنا بعد ذلك! ] .

وقلت:

\* إن رحلة طويلة قضاها الشباب المصري في دروب الضياع (والقطار الذي يروعنا ليس قطار العنف .. انه قطار — الضياع، يعبر عن غضبه بالعنف) رحلة كانت نكسة ٦٧ أولى خطواتها.

ولوضحت [في المقال] أن بنكسة ٦٧ ضاع الحلم، وقد كان على المجتمع أن يتغير إلى الأفضل لكي يعيد ما ضاع، أو يضيع المجتمع في متاهات العنف ويقع في براثنه، من أجل هذا طالب جيلنا بالتغيير، وعندما لم تبد فسى الأفق ملامح التغيير المطلوب، خلع الشباب ثوب الانتظار، وارتدى ثوب الغضب، والحق لم يكن غضبه عشوائيا، كان دعوة للتغيير، التغيير إلى الأفضل. وكان — الغضب — دعوة لمشاركة ( بل فرضا لها) يريد لها للشباب بالديمقراطية، وحرية الرأي وحرية الصحافة، وحرية وجود تنظيماته المستقلة، في تسيير أمور بلاده، حتى لا يفاجأ بأن أحد أنصاع البلاد، وأن السلطة عندما حرمت الشباب من المشاركة " ليست للمشاركة ثوب الغضب".

وتساءلت: ماذا تريدون من شباب "يطالب .. يضيع صوته، يشارك .. لا يجد مكانا.. أكثر من هذا يشوه ويدفن دون نذب جناه؟"، وقلت: "إننا نتساءل الآن، لماذا شوهوا الصوت البريء؟، لماذا دفعوه دفعا إلى المعارضة للغضبية؟، ولماذا يفزع المشوهون ( بكسر الواو) من وجه الغول المخيف وكفيه الداميتين، ألم يكونوا يعلمون أنهم يخلقونه؟".

كنت أقصد ( وقد وضحت قصدي ذلك) بالغضب.. وبالمعارضة بالغضب،

حركة الطلاب للصاخبة من ٦٨ ١٩٧٧

ثم عرضت لكتاب المهندس وقتل عثمان، أحد زعماء الاتجاه الدينى الشوفى (وأشد الناس عدوة للتبلاذ الذى انتمى إليه)، لأوضح وأنا اطل كلماته الصداقة، كيف عمل السادات على تكوين جماعات دينية عفوية بغرض القضاء على الشيوعيين (كفت تلك هى المرة الأولى التى يعلن فيها ذلك الأمر)، وكيف توصل للكتب الشريف إلى ما يكمن وراء الستار قتلا: "لركنا أن هناك من يعمل على ضرب الشيوعيين وشباب الإسلام (الجماعة الشريفة الدينية فى الجامعة التى كان ينتمى إليها) فى نفس الوقت، وأن التعليمات كانت تصدر لهذه المجموعة (التى ترفع شعارات دينية وتستخدم العنف والمطوى ضد خصوم السادات اليساريين) من مكتب أمين التنظيم فى الاتحاد الاشتراكي محمد عثمان إسماعيل".

ثم قلت أن حرب ٧٣ هدفتنا، لكن بعدها "المشاكل التى لم تحل .. تزايدت.. الأزواج أصبح مستحيلا، التعليم لا يجلب شيئا من همه، فئات طفيلية تكون ثروات خيالية ( يظهرون للشباب أن الفلوة أجدى، ومن يرفض الفلوة، فلينزل .. وليفتن، وليتجه به غضبه إلى العنف".

وقلت مدينا السادات. وخلق له اختلافه، لجماعات الارهاب المتخفية فى مسوح الدين، على حساب جماعات دينية شريفة وطنية تعارضه، الأمر الذى هو الأرض لمعارضيه المتسمين بالعنف والذين كان خطابهم، نفس خطاب الجماعات المصطنعة، فلم ينطق لهم بينهم، قلت "هوجتنا بهم، نفس خطاب الجماعات المصطنعة، فلم يفتن لهم بينهم، قلت "هوجتنا بهم وقد طالت لحامهم، يشبهون الشيوعيين (كل من يعارض السادات شيوعى وعيل فى نظره)، ويقولون نفس كلامهم (يعارضون الفقر، والفساد، والفضل الإدارى المعهود فى حل مشاكل الناس، والاستسلام للغرب بدوى العقل والعقلانية والصلح مع إسرائيل) فقال السادات "إن الشيوعيين تخفوا داخلهم (وكان هذا أغرب تطيل للأمر تفقت عنه عبقرية السادات وردنته جوفته من محترقى الرذخ الإعلامى.. لم نقل إن السادات لم يفهمهم) وتعامل البعض كيف لجمع الشملى والمزبى؟".

وقلت عن تلك الجماعات " قيل لهم أنتم المخلصون، واحتسروا، ولأنهم كانوا يلبسون ملابس فضفاضة، كانوا يستغزون من كل من يرى أنهم ليسوا فسى حجم ثيابهم .. ولأنهم كانوا يتكلمون بالقرآن والحديث ولبن قتيبة ولبن حزم ولبن كثير، وأحاديث آخر الزمان وغيرها، لم يستطع أحد أن يقف أمامهم، واتجهوا للعنف ( ) وهم يحملون غيظا من المشاكل الاجتماعية وكلهم من أبناء الطبقة الفقيرة والطبقة المتوسطة التي جعلتها الأسعار تتدفع منحطرة إلى دفاع المجتمع".

" ليس الأمر شيوعيين أو فتنة طائفية".

" الأمر غضب شريف للشباب، يشوه ويقع فينحرف إلى ساحات العنف"

وقلت:

أن يكون العنف فوق المنصة آخر الخطوات أو آخر المحطات لقطار الضياع" إلا إذا استطعنا أن نوقف القطار نهائيا، وهذا يستلزم منا الكثير، إلى جانب التقبض على البعض، والمحكمة، والجزاء.

كان هذا بعض ما كتبت في المقال، ودم السادات لم يجف بعد!!.

وبدون إدعاء زائف للتواضع، فقلت المائدة!! ( كما جاء في وصف الأستاذ لويس جريس لما كتبت) وتحول الأمر من مجرد مهاجمة للتيارات الدينية الضعيفة إلى محكمة "بالرأى" للمسؤولين عن أزمة الشباب، وعن زرع بذرة العنف(وعلى رأسهم السادات بالطبع) وكان ذلك ما قصدت إليه تماما

أيضا، وبدون ادعاء زائف للتواضع، أصبح قاموس المقال (العنف، غياب الحلم، حللنة المنصة، عزلة الشباب، الغضب للشريف، وغيرها..و) مدبرا (بل وعناوين) لكتب كبيرة فيما بعد، كتبها كتاب كبار للغاية .. (\*\*).

(\*\*) وإن كان الأستاذ محمد حسين هيكل قد قصر وصف الغضب على ذلك الخريف الذي اغتيل فيه السادات.. ولم يكن قد مضت على بدليته غير خمسة عشر يوما!!! - قصد الخريف.

وبرغم أن صباح الخير (معذرة) لم تستطع وقتها - أن تسبح لى مساحات أخرى لاستكمال تلك البداية الثانية، بعد البداية الحقيقية المرودة (أيضا اغرها فى ذلك) إلا أن ما حدث كرد فعل للمقال شجنى على أن أعد كتابى هذا "الجيل الذى ولجه عبد الناصر والسادات"، ومن الجيل تلك الجماعات الدينية التى مارست العنف وكتبا آخر .. أرجو أن يظهر قريبا عن "العنف القلام فى مصر!"

★ ★ ★

فى الفترة من أكتوبر ١٩٨١ وحتى منتصف علم ١٩٨٤، كان العنف قد بدأ ثامنا واختفت الفتنة الطائفية كأن لم تكن، برغم هذا لم أتصور اللحظة واحدة أن للعنف أن يندلع مرة أخرى .. وبصورة أخرى ذلك أن أسبابه كانت متزال سارية - وبالطبع لم تكن الصحافة مستعدة لفتح السيرة "مرة أخرى!!"، حتى بدأت شواهد جديدة لعنف أت تظهر حول المساجد أو الزوايا فى مناطق الفقراء العشوائية فى الغيوم، ومدن أخرى من مدن الصعيد، حتى وقد بدأت الجرائم ضد ممتلكات الأقباط وفى كتائبهم فى الوجهين البحرى والقلى والقاهرة، تلك الجرائم التى تقوم على مبدأ "الاستحلال"، ولا يكون الهدف منها كما عودنا لبطالها، إلا تمويل موجة عنف قادمة .. برغم كل هذا لم تكن هناك أن تريد أن نسمع شيئا عن العنف!!! (بدأت الشواهد الجديدة فى العلم ١٩٨٤). إلى أن صحت الإذنان جميعا على صوت انفجاراته المدوية، ومنظر نزيفه الهادر.

حاولت ولم أستطع

إلى أن أقتنى صديقى الشاعر الجميل جمال بخيت وأقتذ هولجسى التى لا تريد أن تتركنى، والتى كان من الواضح لنى أن أتخلص من تأثيرها المنمو إلا إذا كتبت عن الموضوع.

أقتنى جمال بخيت وأقتذ هولجسى وأقتنى منها

كان ذلك فى فبراير ١٩٨٥.



في ذلك الوقت أُنذرت سلسلة من جرائم الاغتصاب .. ( فتاة المعادي وخمس حالات أخرى) ... وكتب جمال بخيت عن المسئلة الأثمة متهمًا الكبت الجنسي الذي يعاني منه الشباب، الشباب الذي أطلعت الظروف الاقتصادية - بعيدا عنه - بسن للزواج...

قال جمال بخيت في نهاية مقاله "صباح الخير":

أخبروا الظن بي ...

لنا لا أخرف "

" وفأني على استعداد لأن أترك هذا الموضوع إلى الأبد، وعندي من الحملة ما يكفي لحملة صحفية تتناول محاكمة الكبت وإثارة هذا الموضوع مع رجال الدين والتربية والأطباء والمسؤولين عن الإسكان".

كان من الواضح أن جمال بخيت يتوقع أن تفتح عليه فرقة "الردح الإعلامي" - الجاهزة أبدا - نيران أبواقها.. لتتهمه هو، وتطوش على الموضوع.. كان يتوقع ذلك وإلا لما قال إنه على استعداد لأن يترك هذا الموضوع إلى الأبد!!!.

أخذتها فرصة وقررت أن أكتب مرة ثالثة - عن الطف !!! وأيضا في صباح الخير" وقلت في المقال:

تعرض جمال بخيت لقضية خطيرة في مقاله "حكموا الكبت أولا" هي قضية الكبت الجنسي الذي يعاني منه الشباب والذي يكمن وراء حوادث الاختطاف والاغتصاب وأشار ككاتب واع إلى الأزمة الاقتصادية بأصبع الإتهام - تلك الأزمة التي تهددنا بأن "جيلا كاملا لم يوفر له المجتمع فرصة ممارسة الجنس بالطريقة المشروعة التي حددها له الدين، وتحددها القيم عن طريق الزواج، فلا عمل مناسب، ولا شقة تسمح له ببدء حياة زوجية شريفة في من مناسبة..."

وقلت إن جمال بخيت "على حق فيما وصل إليه.. ولكن ! .. هل المشكلة

كبت جنسي فقط!؟

وقلت:

إن هناك كبتا (أكبر بكثير من أن يكون جنسيا فقط) يعبر عن نفسه بالرغبة في العنف .. وإن اتخذ شكل الممارسة الجنسية، وهذا الكبت ليس جنسيا، لأنه لن يحل ظاهرة العنف تحليلا كاملا.

ذلك أنني كنت قد لاحظت، شيئا وراء جرائم الاغتصاب، هو نفس الشيء الكامن في تغيير نوعية الجرائم العنابية .. فقلت.

لولا : تعالوا نفرق بين ممارسة الجنس الامشروع، وبين تلك الطقوس المربعة لممارسته بكل هذا العنف .. إقهر الخطيب (فهم كانوا يختطفون للبيت وخطيبها!!!) وإيلام الضحية جسديا ونفسيا إلى لبشع حد..].

إن ما يخيفني حقا في الصورة هو هذا العنف البشع.

"في حالة الغيوم مثلا .. طلبوا من الضحية، بعد أن نالوا ما يبتغون، أن تأتي في اليوم التالي من أجل المزيد، لم يكن الدافع إذن تصريف حالة وقتية.. (المكبوت جنسيا يصرف كبته محافرا أن تتعرف عليه الضحية.. لكننا في مثل هذه الحالة أمام أفراد قرروا إذلال من اغتصبوها وإذلال خطيبها أثناء الاغتصاب ويعدده إن هذا بوضوح شيء أكبر من الكبت الجنسي الذي كان قد استراح بعد ممارستهم الأتمة).

ثانيا : تعالوا نثبت أن هناك كبتا أعم هو ما وراء حوادث الاغتصاب، والخطف، لماذا؟ حتى لا تنفصل تلك الجرائم عن صور العنف الأخرى.. العنف السياسي.. زيادة عدد الطعنات في الجرائم العنابية .. سبعون طعنة !!! ( راجعوا صفحات الحوادث) مرفة شقة بعد قتل خادم ضعيفة لا تستطيع المقاومة لولا تستطيع أن تكل على الفاعلين لأنها لم تكن قد رأتهم من قبل!، قتل الأمهات بعدد كبير من الطعنات! قتل عمة أو خالة، وطفلتين كبيرتهما في الثالثة (!!) والصغرى رضيع !!، انتشار أقراس الهلوسة إلى حد يدعو للباحثين إلى الهلوسة! و ..

"لا رابط بين كل هذه الجرائم غير العنف، عنف على الآخرين وعنف على النفس، عدوانية ضد الآخرين وعدوانية ضد النفس".

"هناك عنف .. عنف .. عنف ..، والاعتصاب لأحد صوره (وما لا ينشر أكثر مما ينشر بالطبع)

ثالثاً: هل الفقر وحده وراء جرائم الاعتصاب العنيف وأشكال العنف الأخرى في الجرائم؟ .. الفقر دفع خطير لا نستطيع تجاهله كما وضع جمال بخيت ولكن ليس في ممارسي الاعتصاب (حرفي) يكسب الكثير ولا يعرف كيف يحسن اتفاق الكثير الذي يكسبه؟، ليس فيهم (ممارسي الاعتصاب) مثلما في الجرائم العنيفة واحد من ثرياء الطبقة الطغرافية .. لو ابتغها؟، إن الأمر احتاج إلى "عربة" ونقود، وغطاء بالتنفيذ في إحدى الجرائم أو بعضها .. المشكلة أن فيهم من لديهم المال والامكانيات والنقد أيضاً .. إذن ليس الفقر وحده وراء هذه الجرائم العنيفة !!".

"إن ما وراء هذه الجرائم هي الأزمة الاقتصادية، تلك الأزمة التي تعبر عن نفسها، بأن هناك فقر بلا داع وغنى بلا أساس".

"المتعلمون أغلبهم فقراء وكانوا يحلمون بحياة أخرى يوفرها لهم علمهم، أي خيبة أمل؟، وبعضهم خدم تكنوقراطى لأصحاب الثراء من أمثال "شبال المنياء" .. أي مهانة !!! والبعض صار مضطراً للخدمة بطمه في بلاد أخرى، تمتص أعمارهم، ليعودوا ويفاجأوا وبأن التجار والسلمسة وأصحاب العقارات (الناطحة للبيش!!) يمتصون بعد أعمارهم ما أضاعوا أعمارهم من أجله .. أي غيظ!!.. هؤلاء ألا تمكن فيهم بذرة عنف!!".

ثم (بالطبعة) .. صلبوا أغنياء .. قلب ميت وتجارة في الممنوع وتحاليل جرى على القانون أو بالقانون، ثم ثروات مفاجئة يتم الإعلان عنها تليفزيونياً ... إذا تكلم الناس فإنه الحد!!، وإذا تكلم المدعى الاشتراكي، فحسن تخيف رؤوس الأموال!! وإذا تكلم الناس فإنه الحد!!، وإذا تكلم المثقون، فهم يتلجرون بالأم

لشعب الكادح!!، ويشوهون الحقائق، ويبلبون، ليصرفوا مسيرة الإصلاح (...) وإذا فاض الكيل، فهي انتفاضة حرامية\*.

"لذي باع نفسه بسهولة، ليحصل على ثروة لا تستطيع شراء نفسه مرة أخرى (...) ألا يجد لذة في تعذيب الآخرين، من يمتن بنفسه، يمتن بالغير .. وابنه .. ابنه الذي حصل على كل شيء بينما الجميع من حوله يتهامسون بحقارة أبيه (...) ماذا يحوى دخله غير البذرة العنيفة؟".

"والحرفيون .. (إني لست ضد ثرائهم). هؤلاء بدلا من أن يغيدهم بـ "التعاونيات" ونستفيد بهم نتركهم للمخدرات، التي لا تكفي فيضاف إليها الخمر، فلا يكتفون فيضاف إليهما "المكس فورت" ونحرقهم ونلعن ثرائهم، كأن نذبهم أن المتطمين قراء بعلمهم!!، وأن هناك من المتطمين من يعلمهم كيفية التهرب من الضرائب صلبا، ويرص لهم "الحمص الملتهب" في الليل طمعا في "نفس" ينسبه هم، ينسبه أنه يضطر للعمل في خدمة الجهل، وكل ذلك ليحل المتعلم (!!) مشكلته فرديا بعد أن نتفنا ريش الحل الجماعي، وضحكنا إذا رأيناه عاريا بيننا بلا ريش!!".

"ليس الفقر وحده متهما، لكن الثراء بلا أساس متهم .. أي أن الاتهام يوجه للخلل ... للتوازن .. وفي الخلل تترعرع بذرة غضب يعبر عن نفسه بالعنف".

"هناك عنف .. عنف .. عنف ..".

"عنف رغم وضوحه، نراه متخفيا في صورة جرائم فردية!".

"وقلت :

لا تعودوا إلى الكلام عن فئة ضالاه، وإفراد منحرفين ... و... و... وتكفوا للرووس في الرمال".

"هل سيظل العنف معبرا عن نفسه بالجرائم الفردية!!، لا أظن ..."

وقلت أيضا:

لقد كتبت في هذه المجلة (صباح الخير)\* بعد حادثة المنصة ما أخصه في  
جمال قصيرة الآن.

— قلت "إن ضياع الجيل هو سبب العنف، وليس العنف هو ضياع الجيل".

— قلت "إن علينا بالمبادرة بحل المشكلة الاقتصادية (فقر بلا داع وغنى بلا  
أساس) .. وحل مشكلة التعبير الديمقراطي التي تجنبنا ليلس الذي سيروعا بالعنف  
بين الحين والحين".

— قلت: "إن علينا ألا نندفع بالقصور، فلا فتة طاقية هناك، ولا تيارات  
خارجية تتحكم في شبائنا، ولكنه الغضب، الغضب الشريف".

"وأى جديد جد؟"

"قولها بصراحة والأرزاق على الله — يوجد من يحاولون دائما عرقلة  
مسيرة الإصلاح.... "عندما حانت الفرصة لمشاركة الشباب في الإصلاح، كان  
هناك البعض الذين يحاولون اقناع البلد بقانون الانتخابات (الجديد)، هذا القانون  
الذي جعل للشباب يحجم عن المشاركة متصورا أن لا فائدة، ثم كتبت هناك شبهة  
التزوير"، وكان هناك من يجمعون بالجرعة الزائدة من الديمقراطية التي لن  
تحتلها معدة الشعب الطفل، وكان الديمقراطية — حقا — من الممكن أن تسحب  
منا بسهولة!، وكان هناك من يتغاضون عن تعذيب المسجونين السياسيين الذي ثبته  
القضاء، وكان هناك أيضا ونحن نؤكد قدرتنا الذاتية وفتماطنا العربي، وعدم  
انحيازنا، من لا يتوانون يوما عن تأكيد الحقيقة الوهمية، بأن ٩٩٪ من أوراق  
اللعبة في يد أمريكا (...) ومن أسموا محاولة الإصلاح الإقصائي الأخيرة للتي  
تتخس خطاها بأنها عودة للانغلاق الأسود، صائحين بأن القرش الأبيض لا يعمل  
في الانغلاق الأسود".

وقلت في نهاية المقال:

(\*) كتبت لثوري مقال في ١٠ / ديسمبر ١٩٨١، ولقي جاء ذكرها من قبل في هذه المقدمة.

"حكموا العقل .. وإلا سيبقى العنف عدوا مختفيا تحت الرماد، أو عدوا رغم وضوحه، يتخفى في صورة جرائم فردية..."

وبعد ..

قلل القارئ قد لاحظ (أو هو لابد فعل) أن المقالة الأخيرة .. قد حذرت ولم يكن على السطح وقتها إلا بولدر شاردة تومئ إلى أن العنف لن يبقى متخفيا في صورة جرائم فردية (وهذا ما حدث) وحذرت من عنف سيصنعه الفقراء ولم تمض غير سنة بالضبط - من فبراير ١٩٨٥ إلى فبراير ١٩٨٦ - حتى لتندلع أحداث الأمن المركزي لو كانت احتجاجا عنيفا للارعاع ... إني لا أقصد هنا بالطبع أن أهين جنود الأمن المركزي، ولكنني أقصد إدانة الحريصين على انتقامهم ممن لا يعرفون شيئا على الإطلاق .. ليزيدوا ما من تجهيلهم بدعاية قائلتهم المفرضة، علمدين إلى إذلالهم لإطلاق الوحشية دلتهم، ثم بعد ذلك يقودونهم في حملات بربرية لا تحلم بيوت الناس في الصعيد، مشيرين عليهم وسامحين لهم باعتبار ما يجنونونه من ممتلكات الناس غنيمة يحل لهم أن يحصلوا عليها .. (ولو لم يكن كل ما أقوله صحيحا، لما عدت الحكومة إلى إخفاء أوراق القضية واعتبارها نسيا(!!))، منسيا وكان شيئا لم يحدث وكان ممتلكات الشعب لم تهدد وتحرق!!، وكان فوضى لم نعم، وترويعا لم يحدث بنفس الطريقة التي تعدها الحكومة لخصوصها ... لقد كتبت الحكومة على الأمر "مأجورا" ولم تنتبه، إلى أن لفارين منهم .. فروا بألوات وكيمالويات الإحراق ... وأن هذه الكيمالويات ظهرت بعد ذلك في أيدي أنصار العنف الديني في موجة حرق نوادي القديرو .. لقد اتحد الهاربون مع الهاربين من أعضاء الجماعات، واختفوا جميعا في المحاجر .. وعادوا لنا ليروعونا بمواد حارقة نتعجب لماذا وضد من كانت تمتلكها للدولة(!!؟)!!

أيضا .. للقارئ لابد لاحظ أن المقالة حذرت من تصاعد العنف اجتماعيا وسط طوائف المتعلمين ومشراتهم للطبقة .. (وأننا شاهدنا بعدها، المدرس،

والمحامي، والطبيب، والتاجر بين صفوف جماعات لم تكن تضم إلا الطلبة صغار الحرفيين...).

ثالثا: لابد وأن القارئ قد لاحظ تحذير المقالة من البطلجة المستشرية، لإطلاعه الآن يذكر .. أحداث جمهورية إمبابة الإسلامية التي قادها طبال، صار بلطجيا، ثم داعية إسلاميا يجهل كل شيء عن الاسلام، ويعرف كل شيء عن العنف .. تلك الجمهورية التي قامت الحكومة بحمله عسكرية من قوات الأمن وقوات مقاومة الارهاب للقضاء عليها، وكان على الحملة أولا أن تزيح لكرول للقمامة لتصل إلى حكام جمهورية إمبابة (التي لا تشبه جمهورية زفتى إلا فى المعنى المتداول للاسم...) ولعل القارئ يذكر أيضا احتياج الشعب والحكومة مؤخرا إلى إصدار قانون ضد البطلجة المستشرية من مجلس الشعب.

رابعا: وأظن أن القارئ قد لاحظ، إنه لم تمض سنوات حتى عرفنا أن من أبناء الطبقة الجديدة من يمولون العنف الدينى (رغبة فى التطهر بالدين، ورغبة أشد فى العنف) دون معرفة من آباؤهم، ثم عرفنا أن آباءهم يمولون العنف الدينى دون معرفة من أبنائهم إنَّك أن العنف الدينى السيلفى، يشل يد الحكومة، ويشغل وزارة داخليتها، وأن استقراءه خير وسيلة لقمع جميع المواطنين، وتأجيل الكلام عن أى إصلاح ديمقراطى، يفضح فسادهم، واستغلالهم لنفوذ البعض، ويكشف عملياتهم التي لا تمت إلى نزاهة رجال الأعمال بصلة، وتهريبهم للضريبى، وعنوانهم الاستهلاكى الفج على فرص الاستثمار، تاركين المغامرة - سواء تجارية أو صناعية - للأموال التي يقترضونها من البنوك - عارفين أن الهرب بعد تهريب الأموال ممكن، غير عابئين بالضحية المستنزفة، الدخيل القومى للمصرى .. فضلا عن أن الارهاب يقوى شوكة الأمريكيين (لاحظ أن أمريكا بسبل غير مباشرة تدعمه، وتدعم رموزه وتفسح لها مكانا عندها سواء كانوا من مصر أو من الجزائر ولا تفرنك المحاكمات السورية التي لا تبدأ إلا بعد عمليات إرهابية تمس اللحم والدم الأمريكى الغاليين) ومطالبتهن بمزيد من الخصخصة، إذ أن الإدارة فى مصر تثبت بفضلها الإدارى فى مكافحة الارهاب، إمكانية فشلها فى

إدارةمتلكات علمة نيابة عن الشعب (وهنا نحن ذا قد وصلنا إلى التخصصة، بعد اكتمال المصمصة!!).

والغريب .. أن بعض المتقين، ينادون الآن بضرورة تأجيل الإصلاح الديمقراطي ... بحجة أن المستفيد الوحيد من هذا الإصلاح هو الجماعات التي تستخدم الدين في سلطات العنف، ذلك أن المتقين يخافون على الحرية الموجودة!!! التي ستفقد هذه الجماعات.

أيضا فإن الحكومة "مبسوطة"، فقد وضعت الجميع في خندق، وهي تلوح دائما بأنها لن تحتمل أى تجلوز" (الحكومة تسمى دائما للمعارضة الجادة تجاوزا) بينما هي تحارب الارهاب، والحكومة مبسوطة أيضا لأن قانون الطوارئ (الذي تزعم أنه لا يستخدم ضد أصحاب الآراء، والذي استخدمته فعليا ضد أصحاب الرأي "حمدين صباحي، وكمال خليل، وعز الدين نجيب، وكلهم معارضون لا يعرف ليهم استخدام السلاح!!) الحكومة مبسوطة لأن قانون الطوارئ هذا يمد للعمل به قومانيكيا، بحجة طلال ننتظرنا عليها. هي مقاومتها للإرهاب، كل ذلك وهي تعرف أن الفساد الاستقرازي والفسل الإداري ولزديد إعداد الواقعين للراحين تحت "بلدوزر" البطالة .. عوامل كبيرة - تعنى فشلها - وتغذى مرجل الارهاب. بل وتعلم الحكومة أيضا أن ارهاب "الدلخية" أكبر مفجر للإرهاب الأهل.

ولعل القارئ قد لاحظ (وهو لابد فعل) أن ما حذرت منه المفلة، هو ما نعانیه الآن وكلنا جميعا نؤذن في مالطة!!.

لكن .. الآن .. ومن حق القارئ الذى لاحظ كل ذلك، أن يلاحظ ما فات على وقتها .. فمن حق أن اعترف له، بأنه لم يدر نجلدى أبدا، أن تسعى الحكومة، ويتمويل أمريكى - سعودى، إلى تسفير أعضاء الجماعات الاسلامية العنيفة إلى افغانستان، بحجة مقاومة المد الشيوعى (المازوم وقتها، والمعرض للانهيار!!!)، ليتم تدريبهم على أعلى مستوى فى مصكرات تشرف عليها وكالة المخابرات



للمركزية الامريكية، ولينحول التيار الوطني لهذه الجماعات (حتى وإن كان يمارس غفلا جموحا تسريبيبا شديد البشاعة) إلى تيار أعمى، تتلاعب به جهات التمويل الخارجية المريبة (ومن هنا إسرائيل بطريق غير مباشرة) تحت شعار للمساعدة الأممية، ليعودوا فوق بئر تمويلى معطاء، يروعوننا كما لم نروع من قبل، ولنجد أنفسنا فى مواجهة عمليات هى الفوضى وإسالة الدماء .. كل الدماء .. تؤدى بتقنيات جديدة، (الغريب أيضا، أن الحكومة التى أرسلتهم فى بعثة تعليمية تريببية تمويلية، لم تحتفظ بقوائم تضم أسماءهم، إذ تركت أمر التنفيذ والقوائم سرا لا يمتلكه إلا مشيخهم عمر عبد الرحمن الذى لجأت إليه للدخالية ليعطيها مددا من شبائنا تعطية للمخابرات الأمريكية لمحاربة الشيوعية!! (مرة أخرى التى كانت فى سبيلها إلى الأثير).

★ ★ ★

• والآن، من حق القارئ على أن يتساءل، ما كل هذه المقدمة الطويلة عن العنف — بكل صورة — لكتيب لكرسه عن حركة الطلبة ٦٨-١٩٧٧، ولماذا كل هذه الكتابة عن "السادات" فى جزء لخص به مولجة جيلنا لجمال عبد الناصر ٦٨-١٩٧٠ .

للحقيقة أن الدهشة كانت دهشنى أنا قبل أن تكون دهشة للقارئ بعد أن قطعت شوطا فى المقدمة، وعدت لأراجع ما كتبت. سألت نفسى نفس السؤالين. لكننى سرعان ما وجدت إجابة جعلتنى أستمّر فيما بدأت..

الإجابة، كانت، أننا خرجنا ضد جمال عبد الناصر فى أمر واحد، خرجنا ضده من أجل الديمقراطية، وكان خوفنا، أن لنكاسه كاتكاسة ٦٧ من الممكن أن تحدث إذا ما ظلت الديمقراطية غلبة، إذا ما احتمى بغياها الإنتهازيون، الذين يصورون كل معارضة على أنها تأمر لقلب نظام الحكم، وتأمر على جمال عبد الناصر شخصيا، وخلف الستار يفعلون ما يفعلون، وما ننفع نحن ثننه كلما صحونا على مصيبة من مصائبهم.. ولما لم يقبل عبد الناصر خروجنا عليه، .. وضربنا،

وأرهبنا، وشوهنا، وحلوا لحتواننا. ونجح في لحتواء البعض، ولم يحدث التغيير... وسكتنا لأن قولتنا المسلحة كانت تقوم بالعبور بين ليلة ولأخرى ولتروع اليهود على الضفة الأخرى الأمر الذي جعلنا نؤجل كل الأحلام لنؤتم الطم الأجل.

ولأن جمال عبد الناصر فعل هذا وسكتنا، صحننا على مصيبة جديدة.

وكانت المصيبة تراجع السادات عن الخط الثوري الذي دبر له تدبيرا محكما، وصنع له رجاله المستعدين، ليوافقا صحيفة، ولقلاما مغرضة، ورجالا للأعمال لا يعرفون غير البلطجية والسرقعة، والحدوثية على قوت الشعب للضرورة.

لقد سلمنا جمال عبد الناصر لأنور السادات.

سلمنا له صيدا سهلا ...

أما تنظيمات جمال عبد الناصر، التي تصورنا إنها ستدافع عن الشعب، فقد ظهرت مما فعله بها، نمورا من ورق، أسد "مخابراتيا" على، ولأمم السادات نعلما.

ولقد أستخدم السادات كل كلمات، جمال عبد الناصر، ليمشي في عكس الاتجاه، فالاشتركية التي ليست ماركسية كفرة ملحدة، استخدمها هو أيضا لضوب الأنصار، ولتراجع عن الاشتراكية ،

بل أن للتسمية الخاطئة لصراعنا الأمنى القومى مع إسرائيل والتي سماها جمال عبد الناصر "قضية فلسطين"، لكي تحتمل التأجيل إلى وقت يختاره هو، استخدمها السادات "قضية فلسطين" لكي يخلع يده منها، تحت شعار "فلسطينيون" يتكلمون عن أنفسهم، وكان قوله حقا أريد به باطل، فالقضية ليست قضية للفلسطينيين ، القضية قضية الأمن القومى المهدد برغبات سيطرة للأسمالية العالمية على مقدرات المنطقة، والطم الصهيونى الذى يخطط لا بتلاع الأرض العربية كلها بعد أن يحقق شعاره الذى لم يتنازل عنه "يرغم السلام!!" وهو أن "أرض إسرائيل الكبرى من النيل للفرات"، وأن الشرق الأوسطية سوف تتولى بعد

الجيل الذي ولجہ رصاص جمال عبد الناصر والسادات

ذلك السيطرة على الإنسان العربي في كل مكان بعد السيطرة اقتصاديا على العرب (المهرولين !!) كل العرب.

والديمقراطية، اضطر لها السادات ثم جعل لها إنبيبا..

و... و... و...

وكان أن ضرب السادات بنفس الطريقة التي مارسها عبد الناصر (ولكن لأسباب أخرى) كل معارضيه، بدلية من الضرب بعنف على يد كل حركة، إلى الترويع، إلى التشويه للمعارضين، إلى محاولة الاحتواء، بنفس التقنية الناصرية...

لو لم يفعل بنا جمال عبد الناصر ما فعله، لما استطاع السادات أن يلهو بنا ... وأن يجعلنا أوراق كوتشينته التي يقامر بها لمصلحته الشخصية، في مواقع ذيلية تابعة للأمريكان.

ولقد أخطأ جيانا، حين أصابة اليأس، وجمدته اللامبالاة، وشنت قواه بعثرته في بلاد النفط، والتي رآها "محتطمة إجبارية" بعد أن عمد السادات إلى تقار الطبقة الوسطى في الأساس، ليستغلها وتستطيع طبقته أن تكلل الفقراء والطبقة الوسطى معا.

أخطأنا ...

ولخطأ بعضنا حين تصور أن العنف القوضي هو بديل العمل الشعبي المنظم القادر على الضغط باستمرار لتحقيق أمانه ..

صدقا وحقا، كان العنف هو البديل، ولقد فرح الجيل بهذا العنف — بادئ الأمر — لكن سرعان ما تنبه وكان الفضل في تنبيهه، لتلك الجماعات التي خرجت من صلبه — غير المتقف — إذ رآها لا تستطيع أن تحدد أعداءها .. ولا تستطيع إلا أن تمارس العنف ضد الجميع، حتى ضد البسطاء أنفسهم.

إن سلسلة الأخطاء الناصرية، لا يمكن أن تلد إلا سلسلة من الأخطاء الساداتية والأخطاء الساداتية لا يمكن إلا أن تلد أخطاء الجيل ..

لهذا كله كتبت عن السادات والعنف مقدمة كتاب عن مواجهة جيلنا لجمال عبد الناصر، لأن مواجهتنا لجمال عبد الناصر، لم تكن إلا لتجنب ما سردهه المقدمة.

إن المقدمة هذه هي التي تعطي معنى واضحا لتصاعد فصول الكتاب إلى "غلطة عمر جمال عبد الناصر".

★ ★ ★

ويعد ...

• هل كنت فيما سطرته في هذا الكتاب، لكتب تاريخا .. هل كنت أقرأ تاريخا، لم كنت أقرأ للتاريخ ..

الحقيقة ليس الكتاب محاولة للتاريخ.

وليس قراءة في التاريخ ...

ولا هو أيضا.. قراءة للتاريخ ...

ليس كتابة تاريخ، لأنه — عوضا عن أن كتابة التاريخ ليست من اهتمامي، فإنها أيضا — قبل ذلك — ليست من استطاعتي. إن كتابة تاريخ فترة حافلة بالتفاصيل كتلك للفترة، كان يستلزم أشياء كثيرة — لم تكن متاحة لي — أبسطها، أن يقول أبطال تلك الحقبة آراءهم فيها ويروون بأنفسهم — كلهم — ما حدث منهم .. ولهم. وهذا ما لم يحدث إلى الآن ..، وأيضا أن تتاح وثائق للفترة — في بلد لا تعرف بإتاحة الوثائق — كلها، للدارسين، لكي يستطيعوا أن يكتبوا للتاريخ.

لما قراءة التاريخ — التي أنفعا هي الأخرى — عن مجهود الكتاب — فإنها فوق هذا وذلك، كانت تستلزم أن يكون هذا التاريخ مكتوبا بواسطة متخصصين في الكتابة التاريخية حتى أستطيع أن أمارس قراءته، والحقيقة أن هناك ما هو مكتوب لزملاء أعزاء، رماح أسعد، ولحمد عبد الله، وأهل عثمان، لأحمد بهاء الدين شعبان، فضلا عن كتابين عن الحركة الطلابية صدرتهما دار بن خلدون في لبنان، لكن من

قال أن هذه الكتب، إذا ما اضيف إليها كتابي تكفى، إن الحركة الطلابية لم تولد فى فراغ، ولم تنطلق دون أن يمهدها آخرون، ولم تستمر دون استمرار حركة المجتمع التى رأت فى حركة الطلاب مترجما صليقا عما يجيش فى قلوب أصحاب المصلحة فى التغيير ولكى تكتب الحركة، كان لابد أن ترسم صورة ما حولها وملاحق تفصيلية لأصحاب فضل علينا لا نستطيع نكراته.

ثم أن هذا الكتاب ليس أيضا قراءة فى أحداث تركها للتاريخ، لأن الأمر كان يشترط رؤية بانورامية أوسع.. أفضنا من قبل فى أنها لم تكن ولن تكون متاحة فى القريب العاجل.

لكن .. وبرغم اللامات الثلاثة تلك فإن هذا الكتاب حلول مخلصا أنجاز ما أظنه لا يقل أهمية عن كل ما سبق، بل وأقول ما هو أكثر أهمية من كل ما سبق.. أقول حلول، وهو ما استطعته، أما ما لا أستطيعه فهو إدراك الكمال..

إن رؤية هذا الكتاب الأهم.. كانت محاولة لإعادة تخليق للفترة، التى جرى منها الزمان، وفى محاولة إعادة التخليق هذه، يمكن لغيرى كما أمكن لى أن نرى فيها ما لم نره وقتها، وأن نستشف ما كان غائبا عن الأذهان.

إن للكتابة عند أرسطو، وهذا حق، وسيلة للمعرفة، وليست وسيلة لنقل المعرفة فقط ولأن من حق القارئ على أن اعترف له أنني عرفت بالكتابة لما لم أكن أعرف وأنا بدأتها.. حين تخلقت الفترة أمام عيونى، بدأت أرى فى بانوراميتها (التي حققتها على قدر جهدى) مالم لكن قد رأيت من قبل ... بل ومكنتنى من أن أخرج من الحدث الذى كنت جزءا فيه... ترسا صغيرا فى آتية الكبيرة الضخمة، لأعلن عن كتب بقية الأجزاء.

لقد اندش بعض الاصدقاء عندما أوصوا بأن الكتابة قد غيرت الكثير من أفكارى المسبقة... وللاصدقاء الأعزاء كنت أقول... لو تصورنا أن الحركة الطلابية كانت سيارة، وكنا نحن بعض تروسها.. سنؤكد، أن حركة السيارة محصلة لحركة تروسها، جميعا، وهى تختلف فى النهاية عن حركة بعض التروس

فى الإتجاه وأيضا فى القوة.. فالسيارة عند ما تتجه إلى اليسار، لا تعدم دأخلها تروما تتجه حركتها إلى اليمين لتنتقل الحركة فى تروس أخرى تتجه إلى اليسار، ولا تعدم أيضا تروما تتحرك فى وضع أفقى، وفى أوضاع رأسية، إلك لو سألت كل ترس لحظتها على حدة عن طبيعة حركته واتجاه هذه الحركة لحصلت على إجابات مختلفة، لكن السيارة — حركة الطلبة — لا تعرف إلا إجابة واحدة إذا سألت عن طبيعة الحركة وعن اتجاه السير ...

بل أحب أن أفضض للقارئ بأمر آخر شديد الأهمية، وهو أننى حين بدأت كنت أحب البعض، وكرهه البعض الآخر، وأوید ما جاء به البعض، وأرفض رفضا قاطعا اتجاهات البعض، (أو لنكن صرحاء أكثر) وتصرفات البعض، لكننى بالكتابة تصالحت مع نفسى، مع أخطئها، ومع أخطاء الآخرين، لقد كانت لنا أخطاء، لكن الجميل أن لم تكن للأغلبية الساحقة منا خطايا، والخطأ وارد لكن الخطيئة عار..

لقد خرجت من الكتابة بمشاعر جديدة دفعتى لاحتضان كل من رأيت من زملاء فى اعتقال جيل السبعينيات الذى أقيم فى فبراير ١٩٩٧ بحركتهم، وجعلنى أكثر شوقا لاحتضان من لم تقابل معهم بعد... من ذا الذى لا يشق صغارا (بين السابعة عشرة — وبعضهم أقل .. وبين الخامسة والعشرين على الأكثر .. حاولوا .. حتى ولو شابت محاولاتهم بعض الأخطاء، وبعض التصرفات التى لم نرها لائقة فى حينها.

لقد فعل للصغار عجا .. وها أنا أصرح للقارئ، بأننى أحب هؤلاء جميعا، ويشرفنى بأننى كنت واحدا منهم فى يوم من الأيام، وأنهم هم من أقالونى شرفا كان لبد من أن أقال بعضهم.. كلهم وأنا مصمم على أن أقول كلهم ..

★ ★ ★

• شئ آخر.. هل هذا الكتاب ضد جمال عبد الناصر، وأقول للقارئ صادقاً، إن منى ممن أحبوا جمال عبد الناصر أكثر من أنفسهم، وأقل قليلا من الوطن، لا يمكن أن يكتب كتابا ضد عبد الناصر... بما كان يمثل من استمساك بثوابت

الوطن فى التحرر والعدل الاجتماعى، والى انتماء العربى الذى هو املنا فى عالم  
الوحش الأمريكى الأسطورى للعولمى.

الحقيقة إن عبد الناصر عندى ثلاثة رجال ...

رجل لحيه.

ورجل لقره.

ورجل لا لطيقه.

الرجل الذى لحيه هو جمال عبد الناصر نظيف اليد، الوطنى الغيور،  
منصف الفقراء والبسطاء فى هذا الوطن. صاحب الكرامة التى هى جزء من  
كرامة الأرض التى أنبتته... الرجل الذى حول وأخطأ، ولم تكن فى محاولاته أى  
شبهة لمكسب شخصى، بالعكس لقد دفع من شبله ومن صحته ثمننا لمكسب  
اعطاهما للبسطاء. والذى أخطأ — دون عمد — ولم يتكسب من وراء أخطائه —  
كغيره — إلا حصرة عاناها ولم يحتملها قلبه فى منى عمره الأخيرة.

والرجل الذى لقره، هو عبد الناصر الفكر، وقد كان حرياً بأن أقول، أننى  
أحب عبد الناصر رجل الفكر، لولا غياب الديمقراطية فى عصره واعتماده على  
أنه سوف يحقق ما يريد من الناس — من فوق — دون أن يتكلم الناس عن حقوقهم.

أما الرجل الذى لكرهه فى عبد الناصر ولا لطيقه، فهو عبد الناصر السلطة،  
لقد أضاعت منطقة جمال عبد الناصر رجلاً تحبه فى جمال عبد الناصر ورجلاً  
نقده..

لقد ضرب عبد الناصر أعداءه، وأنصاره أيضاً الذين جرّوا على المعارضة  
إصالح خطه الثورى ... وهكذا عندما ركب السادات الموجه، استطاع أن يمشى  
على طريق عبد الناصر "بالاستيكة"، ولم يجد من يقف فى وجهة من ضحايا عبد  
الناصر، أنصار نظامه.

لولا غياب الديمقراطية، لقلت أن جمال عبد الناصر أحب خلق الله للذين عاصرتهم إلى قلبي "المعصور".

إن هذا الكتاب ليس أكثر من محاولة لاتصاف حركة طلابية واحدة في سلسلة من الحركات موزعة على قرن كامل، لاقت من الضرب والترويع والتنويه ومحاولات الاحتواء ما لاقتها غيرها ...

هذا كتاب يحاول أن يوضح الغربة في تصرفات سلطة ثورية، مارست ضد حركة الطلاب نص ما مارسته السلطة للتراجعية في السبعينيات، بل ومارست الاقتتان "الثورية والتراجعية" نص الأساليب التي مارستها السلطة القمعية قبل الثورة "الفرنكشي وصنقي"، ولثلاثة مارسوا ما مارسه الاحتلال بسلطته الغاشمة ضد حركة الطلبة عام ١٩٣٥، لا شيء إلا لأن الحركة رفضت أن تحوى، الأمر الذي قبله مصطفى كامل لبعض الوقت، لينفي متأخراً إلى أن حركته لم تخدم — أكثر ما خدمته — غير الخديوي عباس الثاني، الذي سرعان ما عمد إلى تقليصها حين بدأت تخدم للشعب مع نمو قدرات محمد فريد.

إن هذا الكتاب محاولة لفهم شيء غامض هو اجتماع المحتلين، والقمعيين والثوريين، والتراجعين على أمر واحد هو ضرب المبادرات الشعبية، ولعلنا كنا ومازلنا نتوقع هذا الأمر من المتسلطين، محتلين وقمعيين وتراجعين، لكن الدهشة تأتي من موقف السلطة الثورية، من خوف جمال عبد الناصر من الديمقراطية وهو الرجل الذي ملك لفظة للمصريين وليس لساتهم فقط.

لقد كنا نقول أن عبد الناصر كان يريد أن يبنى الاشتراكية بدون اشتراكيين ولصبحنا بهذا الكتاب أكثر اقتناعاً، بأنه كان يريد أن يقود ثورة بدون ثوريين...

وتعالوا تترى ....



(٨)

قالت أمي : عيناہ  
زائغتان .. سيعان  
مصيبة



لمرتى لم تكن تكره جمال عبد الناصر، كانت تحبه، وكانت معجبة بإنجازاته الحقيقية، لكنها لم تكن مقيمة به . ولا كانت تعشق ثورته عشقاً خالصاً .

لبي أ.د. محمد محمود السلاّمونى (استاذ اللغات الأوروبية القديمة، اللاتينية واليونانية السابق، بجامعة القاهرة، ومن قبلها بجامعة عين شمس، والإسكندرية) كان يرى أن الثورة أفسدت الجامعة، فمن جانب - تدخلت الثورة فى الجامعة مراً وعلائية . يذهب المعز وبسيفه أيضاً بتنظيماتها المختلفة وآخرها "الطليعى"؛ فأضاعت استقلالها كمؤسسة طالما حمت العلم. وحمت المتقين ، بل حمت حرية الفكر مساندة كل ما هو عقلانى، وعلمى، وعلمى. (ألسنا نعلم الآن فى المجتمع من كل ما هو ليس عقلانياً؟، ألسنا نعلم من تسلط سلفى فاشى؟، ألسنا نعلم من تراجع دور المتقين.. بل ومن محاولات قتلهم.. واين؟، فى مجتمع يحضنه دينه على التعلم، وعلى أن الناس أحرى بشئون دنياهم، ويؤكد بتعليمه أن لارهابية ولا سلطة لرجال الدين فى الإسلام؛ بل ألسنا نعلم الآن من رجعة الجامعة نفسها ومعاداتها للفكر بالتفكير، بدلاً من معارضتها الفكر بالفكر<sup>(\*)</sup> .

ومن جانب آخر كان لبي يرى أن الثورة أضاعت هبة الدرجات العلمية. إذ حرص الضباط الأحرار الذين لم يدخلوا الجامعة أصلاً فى سنى دراستهم، على أن يدخلوها ضباطاً أحراراً (!!!)، وأن يحصلوا منها على درجات علمية عليا (!)، ربما لتحقيق حلم قديم لم يستطيعوا تحقيقه فى الماضى. وربما - أيضاً - لإقناع عبد الناصر بأنهم قد غضوا الطرف نهائياً عن العودة إلى القوات

(\*) لعل القارئ يتذكر قضية نصر حامد أبو زيد وقضية الدكتور حسن حنفى

المسلحة، أو للتدخل في أمورها ، الأمر الذي لم يكن يسمح به جمال عبد الناصر، وكان المشير " المؤتمن " عبد الحكيم عامر، يرى دونه خروط القنادر هؤلاء الحريصون على دخول الجامعة ، حصل أغلبهم في رأى أبى على كتورتاهات وهمية ، استغلوا نفوذهم وريق البعض الملتب في للحصول عليها. ولتكر لأبى معارك كبيرة ضد هذا الاتجاه ، وأقول الآن ليته انتصر فيها. (ولكن من ذا الذي يقرر عليهم إذ أحول، لقد حاول أبى، ودفع ثمنا غاليا لمحاولاته - لكنه لم يستطع الانتصار).

وكانت لى - من المربيات الفضلات - وخالاتى يشقن محمد نجيب رمزا للتخلص من كابوس قديم، وربما لم يظن أبدا لجمال عبد الناصر الذى كان عن حق هو الثورة !! ما فعله في رأيهن باللواء المعزول ، وأيضا وهن المتكبرات، كان في قلوبهن شئ لما فعله بالإخوان المسلمين من تشريد، وسجن ، وتعذيب، وخراب بيوت ، ضم "العاطل والباطل" - في نظرهم - ومضى في العائلات حتى درجات القرابة البعيدة، مثلما تسرى النار في الهشيم.

لم يكن يشق عبد الناصر في بيتنا عشقا خالصا غير أخى الأكبر العاطلى . ولقد حاول ونجح في أن يجعلنى أعشقه مثله، إذ ربط بين شخصه في ذهنى وحدود الوطن، بل وخريطة أحلامه أيضا

والحقيقة أننى أحببت جمال عبد الناصر منتصرا في ٥٦، يفرض لإرادته - إرادتنا - على الأعداء، بعد أن ألم قناة السويس، أحببته زعما للقومية العربية يحمل لواء كرمة العرب في عالم الاستقطاب بين قوتين عظميين فخرجتا منتصرتين في الحرب العالمية الثانية، ثم لتكرتا الاحترام والسطوة، أحببته مثالا للزعة الوطنية، اشتراكيا بطريقته (فقد كنت غرا لحسن أن الاشتراكية هي العدل، وأصبحت شابا وأسيت شيخا أراها هي عين العدل).

#### • طفولة علاقة •

نحن جيل دخلت إليه السياسة - إعلاما صالحا - في البيوت ، ولم يسع إليها!!.

في المدرسة الابتدائية ، كنت أحب كزملاتى أن أكتب موضوعات إنشاء طويلة للغاية عن بور سعيد وعن وقفة الشعب المصرى العظيم فيها فى مواجهة العدوان الفارسي ، وانتصار إرادة الشعب على ، وهى حقيقة لا ينكرها إلا المرجفون ، ولول كلمات ألفتها وكلفت فى نظر أهلى شعراً ، كتبتها عن محاكم القدر العراقى ١٩٥٨م كما أسماها إعلامنا وهى التى سجل و صلب فيها عبد الكريم قاسم - فقد الثورة العراقية - الوطنيين وغير الوطنيين العراقيين ، كتبتها ضد الشيوعية ( إذ كنت مقتنعاً وقتها بإدانة جمال عبد الناصر المستمرة للشيوعية وفضحه لـ "حقيقة الشيوعية" ) ، بل كنت أحب للحظات إلى نفسى ، لحظة أمسك ميكرفون الإذاعة - بالمدرسة الابتدائية - متعباً على خطب جمال عبد الناصر ، مقتطفاً منها ما كنت أحب أن يطو به صوتى من كلمات الزعيم ، فتطلو حولى أهات الإعجاب وفرقعات التصفيق !! .

#### • سطوح المدرسة الإعدادية وجمال عبد الناصر!.

من سطوح مدرسة على عبد اللطيف الإعدادية ، (أمام غرفة الرسم ، هويتى فى تلك الأيام)، أطلت كثيراً ، من السور جميل التكوين ، لأرى جمال عبد الناصر الذى جاء - مرأواً - ليضيع جنازات المهمين ، من مسجد عمر مكرم ، المولجه للمدرسة ، لا أنسى أبداً جنازة أحمد لطفى السيد . أستاذ الجيل ، وحزنى الطفل على الرجل الذى لم يتم مائة سنة (!!) فقد مات قريباً منها ، دون أن يحقق معجزة الوصول إليها! أيضاً لا أنسى جنازة صلاح سالم ، التى أحسست فيها بعبد الناصر متأثراً للغاية وسط الجنازة الفخيم ، لكن أكثر ما أنكره من هذه الجنازات ، كان ولم يزل ملامح عبد الناصر الجميلة ، رأسه المائل إلى الأمام ، بزته الواسعة أبداً التى يتلاعب الهواء "ببطنونها" كما يتلاعب بالأميرة فى البحر ... وحضوره الصارخ .

ولقد حدث لى فى المدرسة الإعدادية أشياء لا يمكن نسيانها أيضاً .

ذات يوم زار المدرسة مفتش ليرى مدى استيعاب التلاميذ للميثاق الوطني، وعندما أراد أن يدخل فصل المتفوقين - وضع الناظر يده على قلبه، فقد كان عالماً بأن المتفوقين لا يعرفون شيئاً غير المقررات التي تدخل في مجموع نهائيات العام . . لكنني أطلقت رقيباً للناظر في هذا اليوم. رقيبته التي دخل بها فصلنا وهي "قد" السمسم، هذا اليوم أعطاني وضعاً خالصاً في المدرسة، إذ لم يعرف الناظر لبدأ، لأنني كنت أحب الميثاق للفصاحة وموسيقية تعبيراته.

يوم آخر لا أنساه ، يوم حصولي على المركز الأول في مسابقة عامة للمدرسة عن كتابة بحث عن معركة بور سعيد . . ففي هذا اليوم اضطر مدرس التاريخ أن يعترف أمام الناظر بأنه يظلمني في نمره الشهر لأنني على حد تعبيره طويل اللسان لا أملك الاعتراض . . فاضطره الناظر إلى تصحيح شهادتي عن ثلاثة شهور، هذا التصحيح الذي أعاد لي صورتى "المعجبة" في مرآة لبي .

#### • الإبراهيمية الثقوية وإصلاح الكون:

لا أدري لماذا اختارني حاتم قبيل (الآن أستاذ إدارة الأعمال بكلية للتجارة جامعة المنصورة ، وهو شخصية فريدة، ذات تجربة سياسية ، أجاد فيها أن يمسك بالعصا من طرفها القريب جداً من الوسط ، وكان ولم يزل أعقلنا في التعامل مع السلطة، خصوصاً إذا كان غاضباً من تصرفاتها) لا أعرف لماذا اختارني لدخول منظمة الشباب الاشتراكي، ولا كيف أكنّني بالانضمام إليها بعد أن كنت غاضباً من إعلان لجنّتها المركزية قبل تكوينها ، ومن تكوين لجنّتها المركزية . . أيضاً - بالاختيار وليس بالانتخاب . . وفكر أن دخولي منظمة الشباب كان عملاً فارقاً رسم خطواتي منذ دخلتها حتى اليوم .

هل اختارني لأنه كان زميلي في المدرسة الإعدادية ورأى في ما رأه الناظر ؟ (رأى فيّ خبيراً في الميثاق الوطني!)

هل اختارني لأنني كنت مثله في ثلوي صديقاً لمكتبة المدرسة الإبراهيمية (التي لم أر مكتبة أكثر منها ثراء حتى اليوم) ، لو لأنني أصدر مجلة حائط

فيها اهتمام كبير بالسياسة القومية ، كنت سعيداً بها لأنني أنيت فيها قدرتي على رسم جمال عبد الناصر ورسم الملك فيصل والملك حسين أيضاً عدوى عبد الناصر في ذلك الوقت ، لم لأنني كنت أفوز في مسابقات الشعر في المدرسة وعلى مستوى الجمهورية بقصائد سولمية عن فلسطين ، وعن الاشتراكية العربية ، وضد الإخوان المسلمين\* بعدما قبض جمال عبد الناصر على تنظيم سيد قطب وشهر به عام ١٩٦٥ . لا أعرف ، لكنه اختارني . . ولقنني ، ولوقنني في حيرة شديدة في البيت!

• أهوك لم جمال عبد الناصر؟!

عندما دخلت إلى أبي في مكتبه ، أطلب منه السماح بأن ألتحق بمسكرك المنظمة في حلوان ، تغيرت ملامحه . . سألتني :

— لماذا تريد الالتحاق بالمنظمة ؟

— لأنني أريد أن أكون ممن سيمسكون بدفة الأمور في هذا البلد ، مستمرين بها منتصرة .

بهذا أفتني حاتم قبيل . . ولا أبلغ لو قلت إنه أفتني بما هو أكثر .. بأننا سنصلح للكون !! .

وفاجأتني أبي بسؤال :

— لو أردوا منك أن تبلغ المبلعث عن ليك ، هل تبلغ عنه ؟

— إن يطلب مني أحد ذلك .

— أجب عن سؤالي . .

— لا ، طبعاً .

ابتسم أبي مستقلاً :

— هل تحب جمال عبد الناصر أكثر ، أم تحب ليك أكثر ؟!

(\*) أنكر واقعة طرقة حنفت في تلك المسابقة الشعرية التي لقيت فيها تصيدة تندد بالإخوان - المسلمين "أعداء الله والدين" (هكذا كنا مقتنعين في تلك الأيام) في تلك المسابقة لم فز (كمأنت في منى القنوى)، وفوجئت بنظر المدرسة الأستاذ الفاضل حسن السمرة، يصعد إلى المنصة، ويصمم على أن تعان اللجنة فوزى بالمركز الأول، وقد كان، بعدما قل لى الأستاذ الفاضل: "عد - والتهى - يقول لبتوع العربى والدين قسيدة ضد الإخوان المسلمين!!

قلت صادقاً :

- أحب لى أكثر . .

قال لى وهو يشيح بوجهه بعيداً عنى . .

— تذكر أنك قلت هذا ، ولذهب إلى المنظمة كما تريد .

ولذكر الآن لنى لم أفهم مغزى حديث لى - ذلك - إلا بعد شهر من التحاقى بالمنظمة !! .

● كانوا يعلموننا كيف نحمل النظام !!

لم يؤثر فى حياتى شئ أكثر من لى وللى ومنظمة الشباب ونكسة يونيو ١٩٦٧م !! لقد كانت تجربتى فى منظمة الشباب تجربة شديدة الثراء . . إن لم يكن بالفعل . . فبرد الفعل - أيضاً - !! .

دخلت المنظمة أصغر من أن أكون ناصرياً ، دخلتها معجباً بجمال عبد الناصر ، أحبه لدرجة العشق، وخرجت منها فى نفس العام عام ١٩٦٧م مقدراً لجمال عبد الناصر . عارفاً بفضل . . لكننى كما دخلتها خرجت منها، لم أكن ولم أصر ناصرياً !! .

والحقيقة - لنى لا أمارى فيها - أن المنظمة صنعت جيلنا، ولن البعض من جيلنا لم يسمح لها بأن تحطمه!

فى المنظمة تعلمنا الكثير . . على ليدى مناضلين عظماء ، ومناضلين (!!) لم يكونوا كذلك ، تعلمنا على يد الدكتور محمود الخفيف ، والدكتور إبراهيم سعد الدين ، الدكتور لييب شفيق ، وتعلمنا - أيضاً - على ليدى د. رفعت المحجوب ، د. طهمة الجرف ، (إذ كانت لهم أيد وقها!).

فى المرحلتين الأولى والثانية تعلمنا الاقتصاد كطلبة الجامعة المتخصصين وتوقنا فى الاقتصاد السياسى !! .



وفى المرحلتين الأولى والثالثة تعلمنا السياسة بسيطها ومعناها .

وفى الثالثة أيضاً - تعلمنا النظريات والأيديولوجيات الكبرى .

وفى الثالثة - فوق ذلك - (وبعضنا فى قبرص) تعلمنا كيف نحمل النظام ،  
إنهل دار فى خلد النظام الذى ربنا لحملته أننا سنريه للنجوم بعد ذلك فى عزم  
الظهر !! ] .

والشئ الطريف - سنأتى طرافته لو سألته فيما بعد - أننى فى المرحلة  
لثالثة حصلت على جائزة ( عدد كبير من الكتب ) لأننى نقضت ولم أكتفى بنقد  
نظرية كارل ماركس الفلسفية (ليست الاقتصادية بالطبع) المعروفة بالمادية الجدلية.  
• المبعوث.. ضاع منه الكلام ونسأه! .

وفى المنظمة بين المرحلتين الثانية والثالثة - فيما أنكر - حضرنا - بعض  
أعضاء المنظمة - مؤتمر المبعوثين كمعلمين لإعائتهم ، ورحلاتهم، أثناء انعقاد  
المؤتمر . وكماقشين سياسيين مزيين نحاول اقناعهم بانجازات النظام، ويكنذب  
هؤلاء الذين يتخرجون عليه . كنا متحمسين للنظام ولم يكن عدد منهم متحمساً له ،  
وفى هذا المؤتمر رأينا كيف أخرج غير المتحمسين للنظام لكتور لبسب شفير ،  
وكمال رفعت ، وعلى صبرى، ولم ننتبه - وقتها - لأن جمال عبد الناصر ، عندما  
جاء ليقابلهم قمعهم بالخوف .

رأينا منهم من فتح فمه فلم تخرج من فمه كلمات من فرط رعبه، لم يخرج  
غير هواء جوفه (كان إذا لم تضى ذكرتى رئيس وقد مبعوثى مصر إلى هولندا)،  
وعندما أصر عبد الناصر وقد حاصره بعينيه القويتين على أن يتكلم المبعوث  
وبسرعة. اختفت الكلمات كلها من عض لسان المبعوث الغارق فى عرقه .. فقال:

- سيادة السفير ييسلم على سعادتك (وكان يقصد سفير هولندا فيما أنكر)

وضحك عبد الناصر ، مما زاد فى لوتيك المبعوث .. ثم قال جمال عبد

الناصر :

— هل تحملت الدولة مصاريف سفرك وإقامتك ، لتقول لى هذا الكلام ؟!

وسمعا إذ نودى على واحد من وفد المبعوثين إلى ألمانيا الغربية، ولطى لا لكون قد نسيت ، فلن ما أنكره أن من نودى عليه ذلك كان خبيراً جيولوجياً ، تلجأ إليه ألمانيا — وهو المصرى — فى مفاوضاته التى تتعلق بهذه الأمور (الجيولوجية) فى نطاق السوق الأوروبية المشتركة، ولما وقف وكان قصيراً منكوكاً ذا صلعة تعد بأنها مستكمل مع الأيام . قال له جمال عبد الناصر :

— أنت الرجل الثانى بعد سعيد رمضان .

وسعيد رمضان كان إخوانياً (الإخوان وقتها فى مصر كانوا فى السجن) وكان قد غادر مصر فى الخمسينيات وترأس للتنظيم العالمى للإخوان الذى يحارب عبد الناصر .. وعندما ارتبكت القاعة واستشعرت خطراً قلاماً لا محالة مال جمال عبد الناصر على "على صبرى" قتلأ وهو يبتسم ابتسامته الساحرة المخيفة المقتضبة:

— برضه يسافر يا على .

وكان يقصد أنه إن يقتل .

لكن الحادث برغم العفو الثورى السامى — أن لسان المبعوثين هو الذى اعتقل داخل أفواههم من تلك اللحظة.

ثم تكلم عبد الناصر عن إنجازات الثورة، التى يجدها الغربيون، وقام الجميع لتأنيط لكل وفد على حده، صورة تذكارية مع الرئيس انتهى بعدها المؤتمر!.

ثم فهمت مغزى تحذيرات أبى:

وفى المنظمة بعد المرحلة الثالثة كنت أجلس فى فصلى ، وأعلنت معارضتى ورفضى لاستعمالنا قنابل الضغط فى اليمن التى عمدنا إليها لتطهير كهوف الجبال من المناوئين ، تلك القنابل التى تجر الدم من آذان وأفواه من تستعمل ضدهم.

بعدها بأيام طلبتني المباحث العامة بباب اللوق، ولتذكر أن أخذني إلى هناك لمتأخذ التاريخ في مدرستي (كنت أجهه حتى تلك اللحظة) وفي المباحث حضروني من التمداد بعد أن أخافوني بالطبع، لكني في الحقيقة (التي لا تصدق) كنت خائفاً من أبي، غير عارف ماذا سأقول له بعد أن تأخرت عن العودة إلى البيت فسي ميعاد انتهاء المدرسة (القريبة من بيتنا في جاردن سيتي في تلك الوقت!!) .

يومها عرفت أن زميلاً متوقفاً في فصلي ، "منظمواي" مثلي ، هو الذي أبلغ عني !! ولحظتها تذكرت وفهمت ما عناه أبي حين سألتني . .

— لو أزلوا منك أن تبليغ عن أبيك . . هل تبليغ عنه ؟!

لقد فعلها صديقي ، وأبلغ عن صديقه الأثير ! .

• رقلوا: أنت عضو في تنظيم ماركسي مري

وفي المنظمة أيضاً أصبحت مسؤولاً عن التوقيف في مدرستنا ، وفي المكتب التنفيذي لقصر النيل . . وأصبحت عضواً في لجنة العشرين بالاتحاد الاشتراكي عن المدرسة وكانت لجنة العشرين تجتمع بمكتب ناظر الإبراهيمية الأستاذ الجليل حسين المسمرة ، وكان يقدم لها كل التسهيلات . ورغم هذا هاجموا في المكتب التنفيذي لأنه رجعي، مضاد للثورة، يركب مرسيدس! ودافعت عنه لنا وحقم قائل على ما أفكر . . وتساعلت عن أبلغ عن الناظر ؟.

ساعتها أيضاً تؤكد فهمي لما عناه أبي بسؤاله.

وفي المنظمة أيضاً ، تعرفت في المرحلة الثالثة على إنسان جميل ، اسمه كاسمي "هشام" ، (الأسف نسيت بقية الاسم) ، كان يقابلني مراراً ، وكان يكلمني كثيراً في الفلسفة والاقتصاد والسياسة (كدينا جميعاً في هذا الوقت) ثم فوجئت بالمستدعائي للمباحث العامة — للمرة الثانية — بعد ذلك ، وفي المباحث عرفت أنهم قبضوا على أعضاء بارزين في المنظمة "وأعضاء عليين" بحجة أنهم شكلوا تنظيمًا ماركسياً داخل المنظمة (أحد المقبوض عليهم كان عضواً في اللجنة

المركزية للمنظمة) وكان "هشام" - صديقي - ضمن المقبوض عليهم، وجاءوا بي لأنتى صديقه، ولأنتى صديقه اتهمت بأنتى عضو فى التنظيم الشيوعى المقبوض عليه ولم يشفع لى أنتى حصلت على جائزة فى المرحلة الثالثة لأنتى نقضت الفلسفة والفكر "الماركسى"، ( هل ينكر القارئ أنتى قلت قبل ذلك أن طرافة الأمر أو سخافته ستجىء بعد ذلك .. هاهى ذى قد جاءت .. واتهموا بالماركسية من أعطوه جائزة لأنه فى نظرهم نقض الفكر الشيوعى للفلسفى!!!) يومها أصليقتى خضة من المنظمة لنتى بدأت تاكل لبناءها الذين سيستمرون بمصر منتصرة !! .

• ثم اتكلمت فى تقرير رأى علم !!.

وفى المنظمة أيضا جاعنى لوم لأنتى لا لكتب " تقرير رأى علم " وكلفت هذه التقارير تتضمن رأى الناس ، الشائعات ، النكت ، وغير ذلك، فكتبت تقريراً قلت فيه عندا إن الناس يرون أن السيد على صبرى (وكان أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكى ورئيساً للوزارة - وقتها -) مسيطر على البلد، أما للشاعة فكتبتها: (أن السيد على صبرى يضعف الجيش بتقوية الاتحاد الاشتراكى، بغرض عزل عبد الحكيم عامر الذى ينتويه جمال عبد الناصر (لم يكن الأمر يخلو من حقيقة)، أما النكتة فكتبتها أن السيد على صبرى اشترى للمكتب التنفيذية (النتى تدبر أمور الاتحاد الاشتراكى) لكى يذكر عليها أبنائه فى البيت . . أما الأكت فهو أن أحدا بعد هذا التقرير لم يطلب منى كتابة تقرير رأى علم أبدا !

• ليه فهم مقرئ السؤال !:

وفى المنظمة سألنا جمال عبد الناصر ، من الذى سيستمرون بالثورة بعده، فقال جمال عبد الناصر ردا على تسألنا:

- أتمت ، أتمت الذين سيستمرون بالثورة بعد جمال عبد الناصر .

إذ لم يكن جمال عبد الناصر وقتها يعلم ما يخبئه له ولنا أقور المبادئ ، أقور المبادئ الذى خياه لنا جمال عبد الناصر!

### • عند الامتحان .. اتكلم الوطن!

كان العلم الدراسي ٦٦-١٩٦٧ يوشك على الانتهاء وكنا نستعد مرتعدين لامتحان الثانوية العامة (تلك للبيع للشهير)، والذي كان سيبدأ في ١٠ يونيو ١٩٦٧م القاهرة كانت صاحبة أشهر طويل قبل تلك الوقت . والإذاعة والتلفزيون يصرخان، والناس لا وقت لديهم لأي شيء غير الكلام عن معركة التحرير المقبلة ، كان مذاق حفل لم كلثوم يوم الخميس ١ يونيو ١٩٦٧م مازال يسرى كالصل في حنايانا . . أغنيتهما الجميلة التي ألفها لها صلاح جاهين "راجعين بقوة السلاح / راجعين نحرر الحمى . . راجعين كما رجع الصباح / من بعد ليلة مظلمة"، أغنيتهما تلك كانت لا تتوقف عن الرنين في أذاننا وفي القلوب، جنباً إلى جنب - أو في عنق - مع لحى أداء قمته لم كلثوم في عمرها المديد الثرى لرقعة شوقي "ملوا قلبي"، القصيدة التي انتزعت التصفيق أكثر من مرة، والآلات عشرات المرات، والصرخات المدوية النارية عندما وصلت "الست" إلى البيت الشهير في القصيدة :

" وما نيل المطلب بالتمنى . . . . . ولكن تؤخذ الدنيا غلابا " .

أيضا كان الحديث الصحفي العالمي لجمال عبد الناصر، في ٢٨ مايو ١٩٦٧، والذي أذاعه التلفزيون، مازال - وقتها - يملونا بالنقمة، ويرعش جولتنا بفرحة تنتظر التحرير . . "أنا مش خزع زى مستر ليند " ، ... أين للكيمياء والفيزياء والرياضيات من كل هذا !!! .

كان خوفنا يندم في حنايانا من امتحان الثانوية العامة، ونحن ننهي استعدادنا له، وسط صخب مصرى وعالمى يقتحمان الحواظ بومستقران على مكاتبنا، فيخبران السطور.. وفجأة انقضت الطائرات الإسرائيلية في صباح اليوم الخامس من يونيو ١٩٦٧.

لم تصب الطائرات الإسرائيلية طائراتنا للربضة كبطات لا يعرفن أن صائدًا يتسلل من مكمنه - فصعب - إليهم أصابت الطائرات حلمنا .. أماننا ..

مستقبلنا .. نتيانا .. ولمكن غائرة في نفوسنا .. وألمت القلوب والعيون .. كانت  
نكسه !! (كما سماها محمد حسنين هيكل)

### • من التحتى إلى السفارة الأمريكية:

أيلم من النكسة لا وإن تمحي من ذكرتي ومن ذكررة الجيل .. الساعة  
الخامسة فجرا يوم ٨ يونيو ١٩٦٧م ، تم استدعائنا - أعضاء منظمة للشباب  
وأعضاء الاتحاد الاشتراكي .. ذهبا في غبشة الفجر إلى المدرسة الإبراهيمية  
، في الاجتماع قال لنا المسئولون عنا : إن قواتنا ترجعت تكتيكا إلى خط الدفاع  
الثاني عند الممرات وهي تستعد لانقضاضة كبرى !! استسعرنا للخطر الشديد ..  
كيف ؟! لم يكن ذلك كلام الإذاعة والتلفزيون والصحف !! وطلب المسئولون  
منا لحظتها أن نعد إلى إخفاء صوت المعركة في الشعب، وأنه يتوجب علينا أن  
نزع كل المصققات التي تتكلم عن الحرب من الحوايط في شوارعنا وأن نعد الناس  
لمعركة طويلة .. وألا نسمح لأعداء الشعب بـ "الشوشرة"، أنكر لحظتها أن صوت  
نجيب قد بدأ خلفنا راح يتعالى في كونشيرتو حزين بكريشيندو متصاعد الصخب،  
عجزت إرئنا عن كبج نغمته العالية، ثم بدأنا نهتاج وننصليح في وجوههم، وليس  
في قلوبنا إلا أن هؤلاء ومن هم فوقهم أضاعوا البلد، كنا قد فهمنا الأمر (برغم هذا  
لم نصنقه إلا في اليوم التالي) .. ووسط صرخاتنا أعلننا حل منظمة الشباب ، وإفنا  
أن نعود إليها أبدا .. كنا قد دخلنا الاجتماع في غبشة الفجر .. ثم خرجنا والدموع  
في أعيننا وقد صار الفجر ظلما حالكا .

يوم آخر أن نمناه .. يوم التحتى .. جلمنا كلنا في البيت أمام شاشة  
التلفزيون في الموعد ، وظهر لنا جمال عبد الناصر .

صلحت لمي :

- فيه مصيبة سوداء .. لنا عري ما شغت جمال عبد الناصر بالشكل ده.

لردنا أن نسكت لمي لتسمع ديياجة الرئيس قبل أن يدخل في المهم ... لكها

لم تمسكت قالت وعيناها تؤكدان خيبة أمل عظيمة.

- خدوده مدلذلة وعينيہ زليفة . . ح يعن مصيبة .

قامت أمى لتفادر الحجرة وهى تنغم :

- أنا مش ح أسمع الخطبة دى .

لكن أمى عادت بعد ثوان معدودة، واستندت إلى باب الغرفة تسمع معنا  
تتحى جمال عبد الناصر عن المسؤولية لذكريا محيى الدين الذى يستطيع أن  
يتفاهم مع الغرب.

وصحنا فاشتبكت صيحتنا مع صيحة المصريين كلهم.

- هو خلاص . . خلاص !! .

مرت دقائق ورن جرس البيت . . فزعج الكل وكلهم شعروا مثلى أن  
اليهود والأمريكان يدقون علينا الباب فى تلك اللحظة.

وخرجت لأفتح . . لم أجد لأمى أحدا ، لكن صوت أحمد علال مصطفى  
(عضو المنظمة ، زميلى الذى أتمنى لو أعلم أين لأرضيه الآن) جاعنى من بسطة  
السلم التى تفصلنى عنها ثنتا عشرة سلمة لأسفل:

- فيه لولمر من المكتب للتنفيذ بتفريق أى مظاهرات يقوم بها الناس.

صحت فيه غلضبا (ليس منه بالطبع):

- أنا لا أخذ لولمر من المكتب للتنفيذ.

قال أحمد علال وهو يلتهم السلام نازلا:

- أنا ماعنديش وقت للمناقشة يا هشام ، لازم أبلغ الكل .

(قبل فيما بعد على لسان العقابرة أن الاتحاد هو الذى نظم المظاهرات !!  
لو كان الاتحاد الاشتراكى يستطيع أن ينظم مظاهرات كهذه - لما حدثت للنكسة

الجل الذي واجه رصاص جمال عبد الناصر والسادات

من أصله .. لو كان الاتحاد الاشتراكي يستطيع أى شىء، لما نفخ السادات فى أعضته — تلك النفخة التى أسماها ثورة التصحيح فى مايو ١٩٧١ — فزاهم فى الهواء، دون أن ييكن عليهم أحد) .

أغلقت باب الثقة ولنا حذر .. ولنا بصوت هائل، فقر، غيف.. يكتنسى من لشبك المظل على شارع القصر العيني .. عتوت لأطل على الشارع .. لحظتها رأيت مصر فى شارع القصر العيني !!! .. نعم مصر .. وفجرت دموعى ونزلت إلى مجلس الشعب، اهتف مع الهلثين، بأننا لم ننته بعد.. أننا لن ننتهى أبدا..

يوم ثالث لأسماء .. عشرة يونيو ١٩٦٧م .

فى هذا اليوم قررنا .. (مجموعة — لا يعرف الواحد منها معظم الآخرين — التقت فى شارع القصر العيني، أمام شارع مجلس الأمة ، أن نهجم السفرة الأمريكية لنعلن للأمريكان أن يدهم الطولى أن تتحكم فى مصر ، وأنهم أو حلولها سوف يدفعون ثمن غالبا، أغلى مما يتصورون!!، كنا نريد أن نعلن للأمريكيين، أننا لننا خلقين منهم.. وأن عليهم هم أن يخافوا منا.. لكننا — وبعد دقائق محدودة، كنا — نحن أسرى لخوف غريب مرير لم نعهده من قبل!!



(٢)

يا أمريكا لمى فلوسك  
.. عبدالناصر بكره  
يـدوسـك .



عندما علت الصيحة، صيحتنا، تطالب الحشود المتظاهرة، في ١٠ يونيو ١٩٦٧، بالهجوم على السفارة الأمريكية، كانت خطواتنا الشابة قد سبقتها، وأدت إلى تجمعنا حول مبنى السفارة الأمريكية في جاردن سيتي (على بعد أمتار قليلة من مجلس الأمة - الآن مجلس الشعب -)، لم يكن لأحدنا يعرف اسم الآخر، لكن كلاً منا كان يفهم قصد الآخر ونيتته، في إعطاء الأمريكيين درساً بليغاً .. إتجهت أعيننا ضاربة في كل اتجاه، مغروسة أيضاً في عقول من حولها، في عقول بعضنا البعض، وكانت كل الأعين تتساءل: ماذا نفعل بالسفارة !!

وعلى غير اتفاق مالت الأعين إلى الأرض بحثاً عن الطوب، بينما الحناجر تهتف بالويل للأمريكيين، وفجأة صك صوت مدمم آذاننا، ولختلطت الدمدة بالصهيل المجروح، وارتفعت أعيننا لنفاجأ بفرقة من الخيلة تهجمنا، بل تدهمنا دون أن تعطينا فرصة لاستيعاب الصورة .. والموقف!، كانوا قد أطلقوا علينا الخيول، والقنابل المسيلة للدموع، وكان مقبينا كانت تنقصها الدموع في تلك الساعات!!.. وكان روحنا وأجسادنا كان ينقصهما شيء غير النكسة يدهمها، بل ويهرسها.

أنكر - الآن - أنني لم أخف في حيلتي مثلما خفت في ذلك اليوم، في تلك الساعة! لقد ضربنا بالرش والرصاص الحي - فيما بعد - ونحن نتظاهر، لكن الأحصنة تخيف أكثر !!!

• آه من الحصان .. آه ..

الحصان زهو يهاجمك يكون رأسه في اتجاه بينما ينتفع جسده في أي اتجاه آخر، وعندما يشب لملك على قمتيه للظفيتين، لا تعرف بالضبط أين مستنزل

:- ثلاثة المثبتان عند الركبة وتحت الركبة، بحافريهما اللذين ارتفعا إلى مستوى صدره العالي، فوقك بمسافة!!

رحنا نعدو متخبطين في الجياد وفي أنفسنا، نقف ونقوم لنقع فلا نرقد !!  
تنزل علينا رجل الحصان، وكلأها ثقل "ونش" يسقط من عل (الآن أفهم الصورة  
التي رسمها شاعر العرب الكبير جداً امرؤ القيس عن حصانه، بعد أن رايت  
حصان الحكومة . . أفهم الآن كيف يكون الحصان "مكر مفر مقبل مدبر معاً"  
وليضاً كيف يكون "كجلمود صخر حطه السيل من عل!! م" .

عندما وصلنا إلى شارع قصر العيني مرة أخرى والأحصنة في أثرنا، كان  
الشعب يهتف 'يا أمريكا لمي قلوبك عبد الناصر بكره يدوسك'، وكانت دموع  
للغضب تتمايل في أعيننا الصغيرة : هذا هو رأى الشعب فلماذا يحمون سفارة  
الأمريكان ؟ ... تصورنا وقتها أن الشعب كان في وادٍ وأن الحكومة كانت فوق  
الأحصنة.

أذكر أنني ألفت يومها، ولما ملقى على الأرض مستندا بظهرى إلى ضريح  
الشيخ ريحان قصيدة ضد عبد الناصر ولطنتها لحنا بدائيا ورحت أغنيها بنشيج  
باك . موقعا بدقات الأكف . كانت بعض كلماتها تقول:

حكايته غريبة	. مصيبتك مصيبة
نهائيتك رهيبة	. فى يوم الحساب
تضييع لى أرضى	. تبتهلى لى عرضى
وعطاك مفضى	. وشورتك هباب

كنت لُبكى من قهر شديد، قهر الهزيمة، وقهر الخوف الذى داهمنى مع  
الأحصنة، وقهر لأنهم منعونا من تكمير السفارة الأمريكية، لتعرف أمريكا أن لا  
مكان لها فى مصر، (كنت مخطئا فى محاسبة عبد الناصر على القهر الأخير فى  
شعرى، ذلك أن السلطة - أى سلطة ثورية أو غير ثورية - كان لابد أن تحمى  
السفارات، على أرضها).

الآن أرى أن كان للقهر سبب آخر . . إنه الاضطراب الذي يولجه الجنون  
فسيولوجياً لحظة خروجه من الرحم (هو الآخر بيكي!)، لقد كنت ساعتهما أخرج  
منفصلاً عن رحم جمال عبد الناصر . . الأب !!، أقطع حبل السرى عن حبله،  
عن أبوته، عن سلطته، عن إصمسي القديم بأننا مسئوليتيه، لقد أصبح الآن الوطن  
مسئوليتنا جميعاً . . انقطع الحبل السرى، وفطمنا وتمردنا على السلطة الأبوية،  
وانفصلنا عنها، كل ذلك في لحظة واحدة .

### • وكان ثور السفاحات ممثلاً - جيداً - كعاقته:

والغريب أن ذلك كان يجري دلخنا بينما ثور السفاحات، يرتج صوته متهدجاً وقد  
أرغته نشيج البكاء، يؤكد في الميكروفونات جميعاً التي علقت على مجلس الأمة،  
والراديوهات التي تبثت مفتوحة في كل مكان.. يؤكد لعبد الناصر: (إن  
الجمهير التي تفصلنا عنك إما قربنا منك) وكان وقتها يقصد أن عبد الناصر لن  
يستطيع أن يلقى إلى مجلس الأمة لأن زحاحم الجماهير في كل الطرقات، يحول بين  
موكبهم وبين الوصول إلى المجلس، وكان ثور السفاحات يطن في نفس الوقت وينفس  
البكاء والتشنج، موافقةً لزعيم على العودة إلى السلطة نزولاً على إرادة الجماهير، بعد  
أن تغاضى عن رغبته في التحدى.

### • هل نقول حقيقة؟!!

لنا نتوقف هنا قليلاً لنؤكد على حقيقة قد يقرأها البعض، وقد يتهرب منها  
آخرون، وهي أن اضطراباً شديداً، وتخطأ، كان قد اعترى تنظيمات جمال عبد الناصر  
كلها، الاتحاد الاشتراكي، للتنظيم الطليعي (بصورته القديمة التي بدأت ١٩٦٥) ومنظمة  
الشباب الاشتراكي، قى لمكن (حسب التوزيع الجغرافي للمكاتب التنفيذية للاتحاد  
الاشتراكي والمنظمة)، كان للكلام يدور حول الانتصار الوشيك، الانتصار الذي لن يبقى  
لإسرائيل وإن يذر، وبقي هذا الكلام كلامهم حتى في الأيام الأولى من الحرب، إلى أن  
فاجأوا الشباب وأعضاء الاتحاد الاشتراكي، بكلام مخالف ابتداء من ليلة ٨ يونيو  
١٩٦٧، بدأ بالترجع إلى الخط الثاني (خط المضيق) ثم تدرج إلى خضران جولة، فـ

صراع طويل ومرير، وضرورة إعادة بناء القوات المسلحة لتتخذ حرياً فسي خلال شهر، ثم في خلال أعوام، ثم في الوقت المناسب الذي سوف تحدده القيادة السياسية (جمال عبد الناصر)، وفي أماكن أخرى حدث العكس تماماً.

قال لي عاصم القواي (مهندس وصاحبه شركة تشاءات عقارية ناجحة الآن، وكان وقتها في علم ١٩٦٧ الطالب في الأورمان الثانوية، المسئول عن شبك المنظمة فيها، وعضو مكتب التنقيف في قسم النقي) إن في مساء ٣ يونيو (قبل الحرب بثماني وأربعين ساعة)، تم استدعائه في المكتب للتنفيذ في النقي، واعتلوه أن مندوباً من اللجنة المركزية للمنظمة سيجي، ليقول لهم كلاماً في غاية الأهمية، ومرت ساعتان، ثم وصل يحيى حمزة أحمد حمزة (هيما ينكر عاصم) ليقول للشبكي، إن عليهم أن يبلغوا كل كواثر المنظمة قبل أن يطلع نهار ٤ يونيو، أن مهمتهم هي إبلاغ الشعب (!!) بأننا إن نكون الباقين في الحرب، وإن إسرائيل ستبدأ، متبدأ، ولن يتأخر الأمر أكثر من ٤٨ ساعة على أي الأحوال، وإننا سوف نفقد (١٠) من قوتنا (!!!) في ضربة إسرائيل الأولى تلك، وستكون الحرب طويلة — ومريرة.

ساعتها تسأل عاصم ببراءة:

— هل سيصدقنا الناس في هذا الكلام بعد أن ملأ الإعلام رؤوسهم منذ ما يقرب من الشهر بكلام عكس هذا ..

ورد عضو اللجنة المركزية.

— ليس المطلوب أن يصدقكم الناس، لكن الناس إذا ما قلتم لهم ذلك، ووجدوه بعد أيام واقعاء إن يصنعوا (!!!!).

لا لظن أن هذا الأمر تكرر في مواقع كثيرة:

والحقيقة أن هذا الكلام خطير للغاية فهو يعني أن عبد الناصر بعد اجتماعه بقيادة القوات المسلحة يوم ٢ يونيو ١٩٦٧، وبعد أن حذروه من خسائر تلقى الضربة الأولى، وخصوصاً صدق محمود قلند الطير، وبعد أن رد عليهم جمال عبد الناصر بأن من

المستحيل أن نبدأ نحن الحرب لأنه لم يبق لدينا غير خيارين إما أن نبدأ ونحارب أمريكا، أو نبدأ إسرائيل ونواجهها وحدها، عبد الناصر بعد أن وضع الحدة في المنشور للقوات المسلحة، كان قد أحس أنه دخل المصيدة وأن يخرج منها، وهكذا أراد أن يسرّب للناس ما يحبط آمالهم التي أرتأها أن تصنّف، وأراد في هذا الأمر أن يستغل المنظمة وأنفان أنه تراجع، وكان اضطراب المنظمة بدلية نهائيتها، إذ ميّكّتب التاريخ أن منظمة للشباب أصيبت إصابة قاتلة مع مطارقتنا، وشهدت لنا - لحننا ودمنا - الكثيرين .. الكثيرين .. على أرض سيناء...

نسوق هذا الكلام للعبارة الذين تصوروا أن الاتحاد الاشتراكي ومنظمة للشباب كانوا وراء خروج مظاهرات ٩، ١٠ يونيو، لنؤكد أن مظاهرات ٩، ١٠ يونيو كانت وراء خروج للشباب - الغاضب من يومها وحتى لشعر آخر، من المنظمة، بل - وكثرهم - من تنظيمات جمال عبد الناصر كلها.

#### • ضبط القوات المسلحة بصفطون الطلبة:

أيام أخرى لا أنساها من أيام النكسة .. هي تلك الأيام التي تدرينا فيها تدريياً عسكرياً رهيباً !!! .

كنا قد تركنا كتبنا، ونسينا الثانوية العامة، ورحنا إلى المكتب التنفيذي لقصور النيل (وهكذا فعل غيرنا في كل المكتب التنفيذي)، نلح على ضرورة تدرينا عسكرياً.

لم تكن قد مرت أيام على النكسة فلم يجد طلبنا (في تلك اللحظة) لية عراقيل، (كان الجيش المصري وقتها قد أصبح في خبر كان) وكنت الطرق من مدن لقناة إلى القاهرة مفتوحة لا يقف فيها إلا قوت الحرس الجمهوري (قوى مواجهة محاولات غير مستبعدة، من عدو أصابه انتصار سهل بالزهو، وأصابه الزهو بالفرور) لاحتلال القاهرة ) .

كانت القوات المسلحة في ذلك الوقت تعد تكوين وحدات عسكرية جديدة من أفراد نجوا من جحيم سيناء، وانتقلتهم معسكرات الشاردين .

المهم، ليجب طلبنا (الذي حارب كثيراً جداً فيما بعد) وأخذنا متطوعين إلى مدرسة المشاة بالعباسية (الآن هي عمارات العبور الفارغة لضباط القوات المسلحة)، لتترب تدريجياً رفاقاً على استخدام السلاح "هكذا أسموه في هذه الفترة".

منذ اللحظة الأولى التي وضعنا فيها أرجلنا في مدرسة المشاة، صرنا صيداً سهلاً متاحاً ومباحاً للضباط والجنود من أفراد القوات المسلحة الجريحة المكرومة !! أفرغ فينا الضباط والجنود غيظهم من النكات التي أمطرها الشعب المصري عليهم بمجرد أن قبل جمال عبد الناصر العودة إلى كرسي الرئاسة وبعضها أيضاً للتاريخ كان يمس جمال عبد الناصر شخصياً وأقوامها فيما تذكر النكتة القليلة، عبد الناصر جه يغير التاريخ، غير الجغرافيا.

كان الشعب (في محاولة لتعذيب الذات) قد أغنى رتب القوات المسلحة (ملازم ثان، ملازم أول، ٠٠٠) وحولها إلى (سريع أول، سريع ثان، ٠٠٠) وكان يقصد بذلك أنهم جروا في سيناء من مواجهة العدو .

لم يكن الشعب على حق في نكاته (لكن يشفع للشعب انه لم يكن قد عرف شيئاً من أسرار - النكتة بعد فلا الجنود ولا الضباط كانوا مسئولين عما حدث، كانت المسئولية مسئولية نظام ترهل، وقادة عسكريين مارسوا كل شيء في الدنيا إلا الأمور العسكرية فيما تلا كارثة الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة (وحدة مصر وسوريا من ٥٨-٦١) لكن الشعب أراد بنكاته أن يجعل للنكتة سبباً يمكن تجاوزه، فجعل السبب هؤلاء الذين جروا، والذين سيستبدلهم بمن لا يجرون، وهذه أولى صفات جلد الذات، فقلت لا تجلد ذاتك لفقدانك ما لا تستطيع تحقيقه، بل لفقدانك ما كان مفترضاً أنه في يدك، وحقيقة فإن للنصر كان في بنا .. ومازال .. كان الشعب ينفي دخله إحصائياً مؤرقاً وغير



حقيقى - بالتفوق الإسرائيلي، لصلص كان يجرى ترويجيه من تحت لتحت فى هذه الأونة بحسن نية وبمسوء نية أيضاً وكلفت السلطة تشارك فى هذا الترويج.

ولقد اضطر جمال عبد الناصر فى أول خطاب له بعد خطاب التحدى (قسى عيد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م) أن يطلب من الشعب التوقف عن التنكيت على لختهم ولبناتهم من أفراد القوات المسلحة، حفاظاً على الروح المعنوية وإرادة الانتصار.

فى طوابير للتدريب فى مدرسة المشاة كان الضباط والجنود يتسمون لنا فى سخرية واضحة صائحين :

- أنتم بقى للى ح تحرروا مصر !!!

كنا نقف لنتعلم الاشتباك بالأيدى وبالأسلحة البيضاء "المونكى" والخنجر فنفجأ بلنا نضرب علقه ساخنة، وأنهم يشيلوننا ويهدوننا بحق وحقيق !!

- ما تتشفوا، أمل ح تحرروا مصر زاي !!

وكنا فى عز الصيف (يونيو)، نترك فى التدريب عطشى بلا ماء، بعد أن أفهمونا أن الماء موجود فقط فى جامع المدرسة البعيد عن مكان تدريبننا، وبين الطابور والآخر كانوا يطلقوننا إلى الماء فى الجامع على أن نعود راكضين بمجرد سماع صوت الصفارة، ثم كانوا يطلقون صفاراتهم قبل أن نصل إلى الماء دوماً !!

ولشياء أخرى كثيرة فطوها معنا، كانت كلها لإهانتنا، رداً على إهانة الشعب لهم بالنكات الوفيرة (لقد كان أصحاب المصلحة الوحيدة يضرب بعضهم بعضاً، لأن سر النكسة الحقيقى كان لم يزل مخيفاً، ولم تكن السلطة وقتها قادرة على إظهاره!!)، برغم هذا تعلم بعضنا كيف يستخدم البندقية الآلية ٧,٦٢ × ٣٩ وتعلم البعض الآخر كيف يستخدم الرشاش، وتعلمنا كنا نستخدم القنابل اليدوية والاشتباك بالأيدى وبالسلاح الأبيض - ذلك أن المدربين برغم كل آلامهم وغیظهم -

أخلصوا في تدريبنا، مستمعين خطورة المرحلة مستهدفين خير الوطن، ووجهه للجميل، نحن أيضا كنا مصممين على أن نتكرب مهما كانت العرقول.

والحقيقة أنني (وخلى بالك جيدا من هذا) قبل انتهاء تدريبي، اضطررت إلى أن أغادر مدرسة المشاة وأعود إلى البيت، إذ كنت قد بقيت أيام ثلاثة على الميعاد الجديد الذي حددوه لامتحان الثانوية العامة، والذي عرفنا به في المعسكر متأخرين للغاية! وعن طريق الصدفة البحتة (برغم أنهم في المعسكر كانوا يطعمون أن بيننا طلبة في الثانوية العامة).

❁ على صبرى .. هو على صبرى!، مهما حدث:

ويوم أخير لم أنسه من أيام النكسة .

في المكتب للتفذي، جمعوا الذين أتموا تدريبهم الرقى على السلاح واستدعوني معهم، قلت في براءة :

- أنا لم أتم تدريبي . . (ألم أقل لك خلى بالك من هذه!)

- معطش، خذ . .

أعطوني رشاشا فتدهشت، وقلت في براءة أيضا :

- لكني كنت أتكرب على الآلى ٧,٦٢ × ٣٩

- معطش . . ياللا بينا . .

لوقوفونا في جاردن سيتي، أمام إحدى قصورها القريبة من الكوبري الصغير الذي يقود إلى كلية طب قصر العيني .. وقال لنا المنسوب: إن مهمتنا حماية ذلك الكوبري من أعمال التخريب التي يزعم العدو القيام بها لترويع الجبهة الداخلية، و . . .

وصحنا وقد أصبحت دهشتنا أكبر من أن نتحمل:

- لكننا نقف بعيداً عن الكوبرى ! نقف بعيداً عن النيل ! نقف عبر الكورنيش على الرصيف المقابل لرصيف النيل !  
- معش شئوا حيلكم .

مر وقت طويل ونحن وقوف، كل منا يصرخ في دخله صوت يصرخ حناياه رجاً بال غضب، الأمر صوري، الأمر لا جدية فيه، لكن أحداً منا لم يهمس للآخر بالصرخات دخله . . وفجأة مرت بنا دراجة وصاح فيها راكبها :  
- السيد على صبرى ح يوصل بعد دقائق . . رتبوا أنفسكم .

لحظتها تركنا السلاح بعد أن سندها على سور القصر الفاره، وجلسنا على السور متعمدين أن نشوه صورتنا، التي سيراهها السيد على صبرى، لا أن نرتبها كما أمرونا، لقد عرفنا ما فيها، الأمر تسديد خلة أمام على صبرى الذي يسد بدوره خلة أمام جمال عبد الناصر، ها نحن ذا نقف بعيداً عن النيل، الذي سنحميه من المخربين !! لكي نكون في الناحية التي ستمر بها سيارة على صبرى (أى جراه يمتلكها هؤلاء الناس!!) لقد أثبتت لنا جرأتهم في إيقافنا بعيداً عن الهدف الذي نحميه، أن على صبرى نفسه يطم بصورية الأمر، وأنه يسد خلة عند جمال عبد الناصر .

واللحقيقة فقد كان سؤال آخر يستفز ضيقنا، ويحرق أعصابنا.

ألا يعلم جمال عبد الناصر بصورية الأمر، لم هو يطم وهو الآخر يسد خلة أمام الشعب ؟! .. الآن أعرف الإجابة، وهي أن المكتب التنفيذي كان يسد خلة أمام على صبرى و على صبرى كان يسد خلة أمام جمال عبد الناصر، الذي كان يسد خلة بدوره أمامنا نحن الراغبين في الدفاع عن وطننا.

فجأه صحناً مقتنعين، غاضبين . .

هؤلاء الناس لن يتغيروا .

### ❁ برنقالة د. مفيد شهاب!.

على ذكر الواقعة الفاتنة، أذكر أن طارق النبرلوى (من القيادات البارزة لحركة الطلاب، المنتمين إلى التنظيم الطليعى) قد حكى لى (وضعت الورقة التى أرسلتها المجموعة البارزة من نفس التنظيم إلى روز اليوسف. تعقياً على المقالات التى نشرتها بالمجلة نفس الحكاية، وهى الورقة التى أسف لأننى لم أستطع استماعتها من المجلة، وكان قد أعدها طارق، وأحمد الحمدي، وبسام مخلوف وماهر مخلوف وآخرون) قال طارق إن الدكتور مفيد شهاب (كان واحداً من أمناء الشباب فى المنظمة وقتها، قد جمع عدداً كبيراً من قيادات المنظمة بمنطقة شرق القاهرة، وعلى ما أذكر فى "نادى شل" بمصر الجديدة مع الخيوط البيضاء لفجر يوم نال مباشرة للهزيمة النكراء، وقال لهم إن مهمة كبيرة فى انتظارهم، واطلق على المهمة اسم "البرنقالة" (!!!)، تنتظر لشباب المهمة، وطلال الانتظار لأكثر من ثلثى عشرة ساعة، عاد إليهم الدكتور بعدها، أطمعهم أن المهمة قد ألغيت. هكذا دون أن يعرف أحد ما هى المهمة التى كانت على وشك أن تبدأ، ولا لأى الأسباب ألغيت (!!!)، فيما بعد علموا أن المهمة كانت إعطاهم سلاحاً، ونقلهم إلى طريق للقاهرة — السويس الصحراوى، لتغطية النقص فى القوات المسلحة الحامية للطريق فى مواجهة أى محاولة قد يقدم عليها اليهود لاخترقه وإحتلال القاهرة، وقال طارق: حين علمنا — فيما بعد — طبيعة المهمة، أصابتنا دهشة عارمة، فلم يكن أى من المجموعة قد تلقى تدريباً على السلاح بعد!!.

ولعلى أقسام الآن: أكان من الممكن أن يزجوا بشباب غير مدرب على استخدام السلاح فى مهمة صعبة كهذه؟ أم كانت تلك الواقعة — هى الأخرى ومثلها كثير — سد خاتمة أمام على صبرى، الذى يسد خاتمة أمام جمال عبد الناصر، الذى — بدوره — يسد خاتمة أمامنا نحن لشباب المطالب بالتدريب العسكرى، للمصمم على الدفاع عن وطنه؟.

• برغم كل شيء... كنا نستنتج جمال عبد الناصر!:

هل كانت نكسة يونيو ١٩٦٧م هي التي ذهبت بي . . أنا للقاهرة الذي قضيت عمري كله في فصل المتوقفين — إلى كلية الطب بالمنصورة ؟! لم لا؟!، لقد ذهبت بي النكسة إلى أبعد من ذلك بكثير . .

كان قد تكون دلخى (فرحت فيما بعد، عندما عرفت أن دلخى يمور بما يمور به دلخ الأغبية الساحقة من جيل) إحساس بضرورة أن نفعل شيئاً من أجل البلد، وضد النظام، ألم نقل لنا الأحداث بعد النكسة، إنهم لن يتغيروا.

كانت وجوه النظام مازالت نفس الوجوه، مع تغيير طفيف في القاعدة ولا ينفها، وكانت تصرفاتهم هي نفسها التي قللتنا إلى النكسة، دون أى تغيير . .

وكنا نستنتج جمال عبد الناصر !!!، لم تكن تربط بين عبد الناصر ونظامه!!!

صحيح أننا كنا قد قطعنا حبلاً المرى معه، انفصلنا، وكنا نحمل عبد الناصر المسؤولية عن تهوؤ نظامه خصوصاً بعد أن بدأ يفتضح أمر المؤسسة العسكرية والمخابرات الحربية التي تنظف في أرجائها الفساد وتغلغل في نسيج الوطن بفسادها، بل وصحيح أيضاً أننا لم نكن مقتنعين مائة في المائة بقدرة عبد الناصر على إحداث التغيير المطلوب، لكننا ظللنا متعظمين خيراً فيه وفي أنفسنا . . وكانت هذه لزدولية لم يستطع أغلبنا للتخلص منها إلا بعد مظاهرات نوفمبر ١٩٦٨.

وكانت — أيضاً — هذه عين الازدولية التي كنا نعاني منها.

كنا نريده أن يصبح كما نريده !!

لم تكن نستطيع أن ننسى لو نتلمس أن عبد الناصر كان — عن حق — رجلاً يمثل كل ما نحلم به . . حرية الوطن، إنجازات عديدة لفرقه، إثماء عريباً هو الحلم في عالم الوحوش الكبيرة، دفرة واسعة من المقتلين الشرسين ضد استعمار عالمي تقوده أمريكا التي توحشت بعد الحرب العالمية الثانية . ولأدت أن تجسسى

الرجل الذي ولجہ رصاص جمال عبد الناصر والسيدات

وحدهما ثمار انتصار، رأت أنها كانت السبب فيه، وأن أحداً من حلفائها لا يستأهل أن يجنى شيئاً من ثمار — هذا الانتصار.

لم تكن نستطيع أن ننكر كل هذا وما هو أكثر منه .

لكن عبد الناصر كان بعيداً، كانت تفصله عنا مسافة كبيرة، تمنى بالعتاة من الليبراليين، الذين يؤكدون دوماً أنه ليس في الإمكان أحسن مما كان . . وكنا نريد الأحسن . . وفي الأحسن كنا واثقين من الإمكان .

كنا قد رفضنا أن نكون المسئولية مسئولية عبد الناصر — وحده — فسي التاسع والعشر من يونيو، وكان الوطن قد أصبح مسئوليتنا من تاريخه، وغداً يروندنا حلم — والألم تكرر مبتعدة على نكسة يونيو — أن يصبح عبد الناصر — نفسه — مسئوليتنا.

• يا رجل ... قل كلام غير هذا !!

صديق شاعر في كلية طب المنصورة قال لي ضاحكاً :

- عبد الناصر مسئوليتنا؟ .

- لم لا .

- يا رجل !!

قلت لصديقي : ليست هذه هي المرة الأولى . . التي يكون فيها عبد الناصر مسئولية الشعب لقد كانت الدنيا كلها ضد عبد الناصر، بعد أن أم القناة وطلع عبد الناصر بلكيا إلى منبر الأهر، فأقزله الشعب عملاقاً أسطورياً، ونفخ في روحه، بعدها استطاع جمال عبد الناصر أن يولجہ الدنيا التي تتحدى طموحاته، لقد حقن الشعب في وريده تريق الاستطاعة، ويدد وحشته وسط أعضاء مجلس الثورة الذين طالبه بعضهم وبعض الباشوات القدامى أيضاً بأن يسلم نفسه للمسفارة الإنجليزية معلناً توبته عن الحلم العربي الجميل، ساندته الشعب فأطمئن واستطاع، أكثر من هذا عندما انكسر الجيش المصري بين فكى الرحي . . إسرائيل من الشرق، وانجلترا

وفرنسا - الامبراطوريتين - خلف الجيش غرباً في بور سعيد، تولى الشعب مسئولية الوقوف للدعان حتى انتصرت إركته على إرادة العدوان، وانتصر جمال عبد الناصر على رغبة الامبراطوريات الكبرى في أن تعيد الأمور لما كانت عليه، انتصر جمال عبد الناصر بالشعب، برغم تكسار الجيش، بل وبرغم اهتزاز النظام ومحاوله الأفاعى أن تعود لتتل برؤوسها الكريهة، ولم يعد الأمر لما كان عليه، وأصبحت لقناة لنا وللأكيد . ثم ألم تكن نحن في مظاهرات ٩، ١٠ يوليو درع عبد الناصر الذي يحميه من الاستسلام حتى ولو لميس الاستسلام للغرب ثوب زكريا محبى الدين الذى أصبح مرشحة ليرأسنا كى يتفاهم معهم.

تسأل صديقى متحرجاً :

- ألا ترى أنك تبألغ؟

قلت ضاحكاً:

- اسأل إسرائيل !!!

- إسرائيل . . .

قلت لصديقى: أن إسرائيل وعت الدرس، ولهذا توقفت عند قناة السويس، بينما للطريق مفتوحة لها إلى القاهرة . . توقفت حتى لا تولج الشعب مرة أخرى، بعد أن استطاعت أن تهزم الجيش .

قال صديقى متحيراً :

- للشعب، لا الطلبة من منى ومن سنك !!.

وقلت لصديقى :

- لابد أن يبدأ أحد . . .

وزاغت عينا صديقى، ولابد أنه رأى فى هذه اللحظة أن عيني زانفتان . . كنا نحتاج لأن نصدق أنفسنا . . (ولقد صدقناها فيما بعد !!).

لما في وقتها فقد كان بدخلنا قناعة تورقنا، وكان خوفاً بدخلنا أيضاً بأس الجميع الذي يعبر عن نفسه في جلد الذات، وكان بدخلنا وخوف الجميع أيضاً، خوفهم من أن الحجة جاهزة لضرب أي تحرّك . . طبعاً لأن البلد في ظروف تاريخية صعبة (وآه من هاتين الكلمتين، إن جيلنا، الذي جاء بعد الجيل الذي جاء في موعده مع القدر، كان على موعد مع الظروف التاريخية الصعبة، لا أنكر أننا رأينا البلاد أو سمعنا عنه إلا في ظروف تاريخية وصعبة !! لم نتابع خطاباً رئاسياً إلا وكان في نظر الإعلام . . تاريخياً! وكان لشرح المرحلة النضالية الصعبة !!!) لكننا ویرغم خوفاً لم نقدد للتصميم لكننا ویرغم خوفاً ظل السؤال للمؤرق دأخلنا كيف نفعل ما نريد ؟؟.

#### • المحللون يستكثرونها علينا !!

الحقیقة أن حركة الشباب (٦٨-١٩٧٧) ظلمت ظلماً بیناً على أيدي المحللين، وأقصد - من المحللين - كل من نفترض فيهم حسن النية بالطبع.

قال المحللون (وكان كبير المنظرین فيهم الأستاذ محمد حسين هيكل: إن حركة فبراير ١٩٦٨، جاءت كرد فعل للأحكام الصادرة ضد قادة الطيران الذين يتحملون المسؤولية عن الفكسة. - كما أحب أن يصورهم النظم - وافتى رأها للعمال والطلبة - والشباب - أقل مما يجب !!

وقالوا: إن حركة نوفمبر ١٩٦٨ جاءت كرد فعل لقرار وزير التعليم (دحلمى مراد) في ذلك الوقت بتحديد عدد مرات للرسوب، في محاولته لتصحيح لوضاع التعليم، بعدها يحرم الطلاب من مواصلة التعليم واستكمال ما بدأه .

وقالوا عن حركة يناير ١٩٧٢م : أنها جاءت رد فعل لخطاب السادات الذي أعلن فيه أنه كاد يحارب في ديسمبر ١٩٧١م (علم الحسم الذي أعلنه بنفسه) لكن للضبباب عاقه عن عبور القنّاء، ولم يقولوا شيئاً عن حركة يناير ١٩٧٣ واعتبروها تولیع لزلزال ١٩٧٢ وقالوا عن انتفاضة يناير ١٩٧٧ التي كان فيها دور كبير



للطلاب أنها نتيجة ارتفاع أسعار ملح كثيرة في وقت واحد ... وهكذا لم يكن للشباب إلا محتجين في أحسن الأحوال، ومحتجين - فقط على أحداث صغيرة!!

والحق أن المحللين - صنى لثنية - كانوا وما زالوا، وربما لأسباب استقوا من تجارب مابقة - غير متصورين - أن يقوم الشباب بحركة شعبية متصلة ٦٨- ١٩٧٧ لها أربع قمم، فمتان استهتقنا المشاركة الإيجابية في فبراير ١٩٦٨ وقى يناير ٧٢ - إلى مارس ١٩٧٣م، وفتان غاضبتان في نوفمبر ٦٨ وقى يناير ١٩٧٧، وأن الطلاب كانوا في التسع سنوات مصصمين على أن يصلوا بحركتهم إلى كل مطالبهم، تلك المطالب التي تحقق أحدها بصورة باهرة وتحقق الآخر بصورة باهتة، أما الثالث الذي لتفكر، فكان فاتحة لإنفجارات براكينه من العنف الجموح الذي مازال يهتدنا حتى إعلام آخر .

ولكن لماذا نستبق الأحداث ؟

• في فبراير ١٩٦٨، كنت في طب المنصورة (كما قلت) :

وكنّا في السنة الإعدادية - نتلقى محاضرة في الكيمياء الحرارية، وكان أن دق باب المدرج في عصف شديد، ولما فتح الأستاذ للدكتور الباب غاضباً، فوجسء بزميلنا أحمد صقر (رئيس اتحاد طلاب الكلية، وعضو اتحاد الطلاب على مستوى الجمهورية وصديقي الجميل الذي يد واحداً من أقوى الرجال، والرجال قليل!!) يكلمه فيما لم نسمعه نحن بدقة، ثم فوجئنا نحن بالأستاذ الدكتور، يدفع أحمد صقر خارج المدرج، ويطلق الباب في عصف، لنعود ونفجأ - الأستاذ للدكتور وطلبته - بأحمد صقر يقفز من النافذة داخلاً المدرج، متجهاً إلى المنصة حيث يقف الأستاذ الدكتور لذاهل، ويلته يخطب فينا - في عصبية شديدة - طالباً منا أن نخرج جميعاً وأن نلحق بطلاب الكلية في مبنى الجامعة الجديد (كانت الكلية موزعة في ثلاثة مباني في تلك الفترة، وكان مبناها - الحالي - لم يزل تحت الإنشاء) مبرراً طلبه، بأن الذين أضاعوا البلد، يحولون الآن أن يصوروا الأمر على أنه خطأ

بسيط، لأفراد قليلين يستحقون عنه عريفت ثقافته، وأن عمال حلوان عندما رفضوا الأمر، وخرجوا متظاهرين اتهم عليهم رصاص الشرطة من كل صوب

خرجنا وراء أحمد صقر، إلى مبنى الكلية الجديد، وهناك، وقف بيننا زعيم، كان رياضياً - فقط حتى لحظة وقوفه بيننا - وكنا نسميه لهذا - وما زال اسمه "الكوتش" - كان الكوتش يصبح فى الجموع:

— لازم نعمل مظاهرة..

وخرجت المظاهرة من كلية طب المنصورة عكس الاتجاه (معنوياً، وفضائياً) كانت عكس الاتجاه)

لقد كان اتجاه السلطة وقتها يعمد إلى تصوير النكمة، وكأنها حدث عرضى تسبب فيه قادة الطيران الذين تركوا المطارات عارية من الحماية للنشطة . والمطارات كالبطاط على الأرض، فانقضت عليها إسرائيل بسلاحها الجوى المدعم بالطياريين من كل بلاد الغرب <sup>(\*)</sup> . . . وهكذا فقدت جيوشنا الحماية الجوية فى سيناء، وأصبحت لقمة سائغة . لحدأت تنقض من الجو بمنائير من نابلم حارق، وكان حريق الملش لا يكفى قوات انفرط عقدها فراحت تتخبط فى التيه .

كان النظام يعمد إلى تصوير الأمر وكأنه مجرد خطأ قادة الطيران، وخطأ مخابرات عامة خرجت عن خطها المرسوم .

ولم يكن الأمر كذلك فى رأينا . . لهذا خرجنا ضد الاتجاه السائد معنوياً .

كنا نريد أن نتجه إلى المحافظة ونربط أمامها لنعلن رأينا، وفوجئنا أننا نمضى أيضاً فى عكس الاتجاه الذى يقودنا إلى المحافظة . . رحنا نشق للمزارع

---

(\*) لا يظن لحد أن موضوع استماعة إسرائيل بالطياريين من كل بلاد الغرب موضوع هين، لقد قال لى اللواء طيار " جبر على جبر، وهو خير عسكري، إن مفاجأة ٧٣ لم تسمح لإسرائيل بأن تستدعى طيارى الغرب ولهذا اكتشف مستوى طياريتها فى الأيام الأولى من حرب أكتوبر العظيمة.

إلى المعهد الزراعى ( كلية الزراعة فيما بعد ) ومنه إلى المعهد التجارى على نيل المنصورة الجميل ( كلية التجارة فيما بعد )، لنقابل المعاهد الدينية التي جاعتنا فعلا وقولا من الفلحة الأخرى .

واستطيع أنؤكد الآن أن خوفا كان وحشا يصيب حلقنا بالجفاف . . . كانت شمس فبراير كابية . ولم تكن السبب وراء جفاف حلقنا، كان السبب هو إبحارنا للغضب فى بحر لا نعرف إلى أين سيقودنا، ولا متى يفتح علينا ليلتنا، بحر المعارضة العنيفة لنظام جمال عبد الناصر الذى لا يرحم المعارضين(!!)، وكنا نعبّر عن خوفا برعية زميلتنا اللاتى نخشى أن يتبدلان، لقد ألقنا خوفا وكنتنا لا نخاف إلا عليهم !!! وكنت زميلتنا (وكم كن عظيمات زميلتنا هؤلاء، مازلت أذكر منهم نجوى ضيف ومنى الرقيقة الحاملة وجين الشناوى، وناهد صبحى، وفاطمة أبو العينين، وكلهن طبيبات - كبريات الآن، يعن أنهن لا يقبلن أن يتركنا وحدنا فيما نحن فيه . . . وكأنهن لا يخفن إلا علينا (فى ذلك الوقت لم تكن الحياة الاجتماعية فى المنصورة تسمح لنا بأن نكلم زميلتنا فى الشارع، وكنا إذا ما قابلنا هن عرضا سارعا بالدخول إلى شارع جافى .. وسارعن هن أيضا بنفس الأمر .. لكن للمظاهرات منطق آخر) .. لكن مداراة الخوف الأصلى بخوف مصطنع كان عاملا عبقريا فى اعطائنا الجرأة على الإبحار فى بحر الظلمات بحثا عن فجر وراعه.

لقد كنا نكسر جدار خوف ظل يزداد سمكا منذ أحداث مارس ١٩٥٤، ولمدة أربعة عشر عاما . . . لقد ربانا أهلنا على أن من يعارض النظام فلابد أن يذهب به للنظام إلى ما وراء الشمس، حيث لا يراه أحد ولا يسمع به أحد، ولا يجد إلا الضياع والخراب والتعذيب المهين، وربما الموت بلا ثمن، وكفوا بتصعبون ثم يكملون وبإليته يضيع وحده . . . لا . . . أقاربه من الدرجة الأولى والثانية والـ . . . أما الصغار فسوف ينتهى أملهم فى دخول كليات الشرطة والحربية والطيران والفنية العسكرية وفى الالتحاق بوظائف محترمة أو الحصول على بعثات تؤهلهم لشهادات علمية مرموقة، أما أقاربه من بعيد فلن يتبوا أحد منهم منصبا كبيرا أبدا .

لقد نقل الآباء خوفهم إلينا وأصبحنا نخاف - فوق خوفنا على أنفسنا - عليهم، وإنكر أننا جعلنا موقع البنات في قلب المظاهرة، وسرنا حولهن جميعاً، وسرن داخلنا يشندن من عزيمتنا .

وراحت هتافتنا تتعالى . . فكأنت المفجأة أن خوفاً راح يبهت وتتضائل قلمته التي كانت تمتد طريقاً عندما خرجنا .

كنا نهتف ضد الصف والبطش للذين واجهت، بهما السلطة عمال حلون الذين أرادوا أن يملئوا رايهم، وكأننا لو في الحقيقة كنا نهتف ضد كل من سيمارس صفاً ضدنا، وقد خرجناه - كالعمال - نريد أن نعلن رأينا . . ولم تكن هتافتنا ضد المتسيبين في كارثة الطيران وحدهم، لكن - أيضاً - ضد سلطة تريد أن تخفي مسؤوليتها عما حدث لنا، وما حدث للطيران، وأن تكون مصير كل محاولة للاعتراض على أفعالها التي جلبت لنا النكسة بدهان من دماء العمال للشرقاء لقد كانت السلطة في تهريبها من المسؤولية تحاول أن تعيدنا إلى تفكير بال، أظهرت للنكسة مدى ما فيه من عوار، وهو أنها فعلت ما يجب أن تفعله كله ولم يكن على حائطها غبار، والمتسيبون في النكسة ها هي ذي تحاسبهم(!!!)، أما التغيير إلى الأفضل فلا يجب أن يكون في بال أحد، متعود السلطة - فيما بعد - وتحدده وترسم ملامحه كلها - دون مساعدة من أحد - وتمارسه بالتبعية عن الناس، لتستمر (ديموقراطية الموافقة) تلك الديموقراطية التي نظر لها محمد حسنين هيكل في مرحلة الشرعية الثورية . . وهي تعني أن السلطة الثورية تعرف ما يحتاجه الشعب، وتفعله ولا دور للشعب إلا الموافقة . وأن رأس العمال لاطرر يجب أن يعلمنا مصير من تمول له نفسه بأن يفكر فيما هو أكثر من الموافقة.

هكذا أرادت السلطة أن تدعنا أن الجناة قد عوقبوا وانتهى الأمر . . وكنا مصممين على أن أمراً لم ينته، بل أيضاً على أن أمراً آخر لا بد وأن يبدأ.

كانت هناك فتاة كلها تطالب بالتغيير، بالديموقراطية، بحقنا في المشاركة حتى لا نفاجأ في أية لحظة بهول جديد . بمحاكمة كل المسئولين عن النكسة، لا قيادة الطيران وحدهم، أو قيادة الطيران وقيادة المخابرات العلمية وحدهم .

• سؤال مؤرق .. في وقت حرج!

وفي مظاهرات المنصورة . ووسط الحماض الجارف سألت نفسي سؤالاً ولم أجد له إجابة كيف سيتصرف أهلي إذا ما قبض على وأنا بعيد عنهم، هكذا في المنصورة! . وفجأة اقتحمت زميلة عزيزة مكان خطواتي للقلقة في المظاهرة .. وجنتها أمامي تسير بظهرها، وبين الهاتف والآخر تقول لي:

— أنت لازم تنزل مصر حالا دلوقت.

صحت. وكنتي لم أكن أفكر في نفس الأمر منذ لحظة واحدة.

— لا .. لن أترككم.

— لن أتترك من !!؟

— لن أترككم وحكم.

— لكنك لم تخرج من أجننا، لقد خرجنا جميعاً من أجل مصر.

كنت لأحاول إقناع نفسي بالبقاء في المنصورة .. فقلت :

— إذن سأبقى معكم جميعاً من أجل مصر .

— وإذا قبضوا عليك معنا !!!؟

قلت ولكن بغير قوة . كانت قد دأبت بكلماتها على كل أعصابي العارية .

— لاني يحصل يحصل .

كنت شديد القلق على أهلي، وكنت زميلتي العزيزة تعانني نفس القلق) ..  
لهم ان يعرفوا أين أنا وان يمتنعوا عن "الشحطة" ورائي (كانت تطل من رأسي

الظنون تلوموني وتشد أننى على رأى الراحل العظيم كامل الشناوى) .. وألف حكاية - سمعتها من قبل - عن - "تسحط" وراءهم أهلهم ترد على ذهنى وتتضخم جأثى ودلخى.

وقلت لزميلتى العزيزة والعظيمة ( وهى أستاذة فى كلية الطب الآن، لا أعرف هل يرضيها أن أقول اسمها لم ستغضب ) كثفا عن ضعف ينهشنى من دلخى .

- خلاص .. ح أنزل لقاهرة .

وركبت القطار وركبني لهم لإحساسى بأننى تركت زملاى الذين أحببتهم يوما لنفس وتركت زعماء المظاهرة، أحمد صقر العظيم، وسعد الشريف الفنان الجميل الذى أكرمنى دائما برسومات لأشعارى، والكوتش لمصير لا أرى لبعاده .. ولم يفارقنى همى إلا مع زملاى فى مظاهرات القاهرة .. التى كانت حوادثها أكثر من أن تروى .. فماذا لو أضفنا إليها حكايات الآخرين؟.

لكننى لابد وأن أقول هنا، إن الحكاية فى مظاهرات ١٩٦٨، حكاية لم تكن أولى الحكايات فى مظاهرات القاهرة، ولم تكن آخرها، تنطق من الذاكرة، تستغنى أن أبدأ بها فقد كانت ولا زالت شديدة الدلالة على ما رسم خطوتنا فيما بعد تلك الخطوات التى انطلقت وقد أثقلها الخوف الموروث، الخوف الذى كبل أية محاولة للمعارضة السياسية، إذا ما صاحب هذه المحاولة صوت جهير يطنها على الملأ .

فى كلية الطب جامعة القاهرة، كان هاتى عنان (صاحب ومدير شركة كبرى لتجهيز المستشفيات الآن)، شابا ملقا للنظر بقلمته الطويلة اللغية، برداء البامسكت بول الذى كثيرا ما ظهر به فى الكلية، بلبتسلة لا تفارق وجهه، تجبرك على ألا تشج بوجهك بعيدا عنه، بسكناه الدائمة فى أرض الحلم حيث المرح والتجارب القاسمة، كالشطة السودانية، حيث الفن، وقصائد وكلمات نزار قبانى، والسينما، والأغاني، كان هاتى مترددا يوم المظاهرات، حثرا، لا يعرف كيف يصل إلى قرار بالمشاركة أو بعدم المشاركة .

وكانت لنا زميلة غلية فى العزل والظرف إسمها منى كامل (طبيبة تعيش الآن مع زوجها الشهير جدا - بين كل من زاروا ألمانيا - فى ألمانيا) وقد لاحظت منى حيرة هانى التى كان يصيبها كلها فى مشكلة فرعية .

- إذا خرجت فى المظاهرة أين تترك الشنطة ؟

(لم تكن الشنطة تفارق هانى أبدا فقد كانت تضم ملابسه الرياضوية وفى بعض الأحيان كتبه).

وصاحت منى :

- الشنطة هى المشكلة ؟

رد هانى فى حيرة بريئة لو براءة حقيرة :

- آه .

وقالت منى :

- إذا كانت هى المشكلة هاتيا وأنا ح لتصرف فيها .

وخرج هانى عنان فى المظاهرة بعد أن حلت مشكلة الشنطة (العريضة !)  
وأخذت المظاهرات، أو كما يقولون مظاهرة تشيلنا، ومظاهرة تحطنا، حتى وصلت إحدى المظاهرات (فقد تفرعت المظاهرات إلى أماكن كثيرة) إلى خلف مستشفى الهلال الأحمر على ما نظن . . وأطلقت الشرطة بنادقها علينا، ظننت أنهم يطلقون الرش (الخرطوش)، لكنى وجدت هانى وقد وقع بيننا .. (كان الوحيد الذى وقع) وقد اختزنت رصاصة حقيقية حوضه من نلحية، وخرجت من الناحية الأخرى، وحملناه إلى المستشفى فى دھول تام.

فى المستشفى زارته منى، وفجأها هانى ضاحكا بقوله :

- إيه لالى خلاك تالخدى الشنطة يا منى !!

والحقيقة أن منى لم تكن قد أخذت شحنة هاتى غنان وحدها . . كانت قد أخذت حيرته، وخوفنا جميعا من الصدم، وأشياء أخرى .

وهنا نتوقف لنفصح المجال لصناع الأحداث فى ١٩٦٨، فقللى يريد أن يكتب بالسنتهم، قللى يريد أن يكون جسرا لصوتهم الجميل، أن يكون له هذا الشرف.



(٣)

---

وقال المتهم

الأول

---



ظلم المحطلون السليسيون حصو النية - حركة الشباب المصري ٦٨-  
١٩٧٧م، ظلماً بيناً، إذ جعلوا الحركة، التي لم يروا إلا تنقلاتها من الهدوء  
للظاهري، إلى الفعل المتظاهر، مجرد رد فعل - في كل مرة - لأحداث أجلاوا  
صياغتها، ونوعاً من التمرد الصلخب على مواقف موقوته ومحددة.

والواقع أن حركة الشباب، كانت أكبر من ذلك بكثير، وكانت أعمق مما  
صوروه بكثير أيضاً... لكننا قلنا أننا لا نريد أن نسبق الحوادث خصوصاً وأن  
الحوادث سوف تشير بنفسها إلى حقيقة الظلم - حسن النية - وقصور التصور -  
وهو ما لا يخفى - .

وها نحن ذا نبدأ بأحداث فبراير ١٩٦٨م ، التي كانت الجولة الأولى .

قال المحطلون - حصو النية - أن الحركة جاءت كرد فعل لأحكام الطيران  
والتي رأى فيها الشباب - عن حق - أنها قلل مما كان يتوقع لأناس شيوا الوطن  
قبل الأوان، وحفروا في لحمه تجاعيد لهم التي راحت تجرى خلالها الدموع، ولا  
يتخثر فيها اللزيف. لقد كانت الأحكام واقعياً شديدة الرحمة (!!) على من تسببوا في  
إصابة الطيران المصري بالشلل التام، في اللحظة الأولى من الحرب، ومكنوا  
إسرائيل من تدمير الطائرات المصرية، والمطارات أيضاً، بإهمالهم الجسيم ، الأمور  
لذي ترك قواتنا المسلحة في ميناء عارية بلا غطاء يحميها من شرسة التدمير  
لجوى ونابلهم إسرائيل المتحضرة (!!) الحارق فكانت الخسائر البشرية - دك من  
العتاد، الخسائر المادية - أكبر من أن يحتملها الوطن ولم تخل عاقلة من ميثم  
لعزيز، وميثم صلخب الصراخ في الوجدان، وكان أن شل الطيران الإسرائيلي  
حركة قواتنا المسلحة ومنعها من الالتحام الأرضي بمدركات إسرائيل (وإحالة

الديمقراطية فى المنطقة !!!) التى راحت تكوس على اللحم المصرى وتهصره بجزائرها المستوردة من بلاد تقم الحرية الفردية. وتتباهى بأنها التى أعلنت حقوق الإنسان!!.

دعونا نستمع الآن إلى شهادة المتهم الأول فى أحداث الشعب وللتظاهرات (حسب توصيفات المباحث العامة فى ذلك الوقت للأحداث والمتهم) لنعرف ..

كان المتهم الأول هو "أحمد شرف" أو "أحمد عبد الحميد شرف" (وكان عضواً باللجنة المركزية لمنظمة الشباب الاشتراكى، وطالباً بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة القاهرة .. وهو الآن باحث سياسى حر، وله دراسات عديدة عميقة للفكر).

### • وما أدراك ما منظمة الشباب!:

والحقيقة لئنى حين أفكر منظمة الشباب الاشتراكى فإن الكبار وحدهم هم الذين سيعرفون عما تكلم، لكن الجيل الذى استهدفه - جيل الصغار الآن - لابد سيتسألون عما تكون هذه المنظمة.

ولهم أقول:

كانت مشكلة ثورة يوليو ١٩٥٢م (منذ تفجرت وحتى ١٩٧٦م حين قرر أنور السادات أن يوقف عجلاتها) .. مشكلتها التى لم تحل هى فشلها الدائم الدائب فى إنشاء التنظيم (الحزب الواحد) الشعبى الذى يحمى الثورة ويدفع بها للأمام.

لقد تمت الثورة بتنظيمات عديدة ...

فى مرحلة إخراج المستعمر، أنشأت الثورة "هيئة التحرير".

فى مرحلة تجميع قوى الاقتصاد المصرى لإحداث طفرة اقتصادية يحتاجها الوطن أنشأت الثورة "الاتحاد القومى".

في مرحلة التحول إلى الاشتراكية قامت الثورة " الاتحاد الاشتراكي العربي " .

لكن الثورة - ممثلة في جمال عبد الناصر لأسياب تاريخية عديدة - أصت في كل مرة بقصور شديد في فعالية تنظيماتها.. الذي بدا وكأنه أمر حتمي - وهو كان كذلك !! - .

ف عندما كان يحدث وتنشئ السلطة حزباً، يهرع إليه - أرادت أن لم تترد - الانتهازيون الذين يريدون أن ينضموا إلى الجانب الذي يمسك بمقاييد الأمور .. ويهرع إليه أيضاً ، المخلصون الذين يريدون أن يقوموا بواجبهم في تدعيم مسار يؤمنون بضرورة استمراره ، وضرورة تحسين أدائه أيضاً .

وكانت مشكلة تنظيمات الثورة في الانتهازيين ، فهم من ناحية أعلى صوتاً . . . وهم أيضاً - مريحون للنظام - يبررون الأخطاء ويرفعون لواء " ليس في الإمكان أفضل مما كان " وهو أمر يسعد النظام في كل الأحيان، وخصوصاً في لوقات الأزمات! .

ولقد وقع للنظام الثوري في ازدواجية غريبة في ذلك الوقت ، من ناحية كان لا يريد الانتهازيين ، ومن ناحية أخرى ، كان يرى أن أصواتهم تبعد حرجه في الأزمات ، تهلج من ينتقدونه بدعوى أنهم من أعداء الثورة . . حتى إذا كان للمهاجمون يريدون دفع الثورة وإنجازاتها إلى الأمام في لوقات يرى النظام فيها أنه غير مستعد لهذا الدفع .

عندما أرادت الثورة أن تتخلص من هذه الازدواجية وأن تبنى تنظيمياً يواجه ويعادل توحش المؤسسة العسكرية التي عمدت علنياً. ابتداء من ١٩٦٥ إلى " تلعب " عضلاتها لجمال عبد الناصر ابتداء من القبض على مؤامرة الإخوان المسلمين،

وانتهاء "يرقيتي باريس"<sup>(٢)</sup> التي جاعتنا بالهزيمة للنكراء في ٦٧، رأيت الساطة أن تلجأ وقتها إلى حل طويل الأجل ، أن تحل المشكلة بالشباب ، أرادت الثورة جادة ومخلصة ، أن تعد قاعدة من الشباب الثوري المثقف، يكون فيما بعد الرافد الحقيقي للثوري لتنظيماتها (أقول أرادت جادة ومخلصة ولكررها) . . لهذا جاءت المنظمة ولابدا رثما ، وكان أن علمت الشباب أن ينالض بحرية ، وثقته في افتتاح فكرى تحسد عليه أى سلطة ثورية ، مستهدفة فى النهاية تشكيلا هرميا يبدأ بقاعدة عريضة للغاية ممن انضموا إلى المرحلة التثقيفية الأولى . . على أن يتم الانتقاء من بينهم لعناصر تنسم بالقدرة الأعلى على التحصيل لينضموا إلى المرحلة الثانية ، ويتلقوا تثقيفا أكثر عمقا ، بعدها تنتقى منهم من يتصفون بالقدرة على الحركة بين الجماهير لينتقوا مرحلة ثالثة من التثقيف شديد العمق ، ومن الخيرات التي تمكنهم من الحركة وسط الجماهير ومن الحركة بالجماهير .

كانت المنظمة طما مخلصا جميلا يستهدف وجه الوطن وخيره وتقدمه . . وكان لهذا الأمر أصدؤه أيضا من الليبرورطيين الذين أرادوا الأمر سيطرة على الشباب ، ولم يريدوه للهدف الذي كان سيطرة بشباب حر على مقاليد الأمور فى بلاد ثورى . ( لأنن الآن أننى قد صورت لك ما يكفى من ألاعب الليبرورطية والبقية ستأتى).

ثم جاءت نكسة يونيو ١٩٦٧م لتجهض هذا وذلك، لكنها لم تستطع أن تقضى على شباب تعلموا الكثير على يد أفضل الأساتذة المتألمحين فى ذلك الوقت ، وبمعاونة موجهين سياسيين ( كانوا يسمون المسئولين عن إدارة الحوار مع الشباب — كل ليلة أثناء المراحل الثلاث — موجهين سياسيين، وقد كانوا فى الحقيقة شبابا أكثر من ممتاز ، لابد أن نتكلم عنهم فيما بعد وعن الدور العظيم الذى لعبوه فى حياة

(٢) هى الكلمة الشهيرة التي رد بها عبد الحكيم عامر قبل النكسة، عندما سأل عبد الناصر قادة الجيش هل يستطيعون مواجهة إسرائيل إذا جد الجد .. قللها "علسر" برغم أن قادة كانوا يروق لمرأ مناير لما يراما. وصنفها جمال عبد الناصر الذى كان لابد يعرف الحقيقة !!.

كل المنضمين إلى المنظمة ) . . أيضاً لم تقدر النكسة على علاقة كانت قد تكونت بين هؤلاء الشباب وبين جمال عبد الناصر . . علاقة لا تشبه علاقة أى من الآخرين به !! لقد كانت علاقة شباب المنظمة بجمال عبد الناصر علاقة شديدة الخصوصية!

### • وإليكم مثلاً واضحاً:

تحكى هدى أحمد صلاح الدين (كانت عضو اللجنة المركزية لمنظمة الشباب الاشتراكي عن طلاب الثانوى ، وهى الآن مستشار وكبير مديري التسويق بمعهد إعداد القادة للصناعة التابع لمجلس الوزراء ) كيف التقى بهم جمال عبد الناصر فى المعهد الاشتراكي بطولان وهى شهادة دالة على العلاقة الخاصة لشباب المنظمة بالزعيم .

تقول السيدة هدى:

كانت ليام قد مرت علينا ونحن نقرأ ونتعلم نهراً فى معسكر الشباب بطولان، الذى أسسوه معهد الدراسات الاشتراكية، أثناء تدريبنا فى المرحلة الأولى للمنظمة، ونناقش ما قرأناه وما تعلمناه ليلاً فى خيمة المناقشة مع موجهنا الأستاذ أحمد عبد الغفار المقازى ( وكيل وزارة التخطيط الآن ) والأستاذ صلاح الشرنوبى (أصبح ملحفاً للثقاى فى سفارة موسكو بعدها ) عندما أعلنوا أن شخصية كبيرة سوف تزورنا فى المعسكر ، وسارت بيننا الشائعات تؤكد أن الزائر سيكون السيد على صبرى ، وفى الساعة الأخيرة وبعد أن رصونا فى مدرج يشبه " المسرح اليونانى القديم " ، قالوا لنا: هناك احتمال أن يكون الزائر جمال عبد الناصر شخصياً، ولم نصدق أنفسنا حتى دخل علينا جمال عبد الناصر ، فرحنا نصفق فى جنون عشر دقائق متواصلة، وانبطنا انبساطاً غير طبيعى، كان معه فيما أذكر عبد الحكيم عامر ومحمد فائق وآخرون . خطب فينا جمال عبد الناصر، ونحن نحس أننا قد استرحنا عليه وحننا . ولله أصبح لنا . . أصبح ملكنا ، قال لنا جمال عبد الناصر " أنتم الشباب الذين نندم لتولى المسؤولية فى هذا البلد، الشباب الذى لن

يكون هناك حاجز بينه وبين الثورة . . وكان جمال عبد الناصر فيما قال صادقا . .  
وصدقاه.

ثم قال جمال عبد الناصر:

— لسألوأى ما إيتم عايزين.

بسرعة قلم الموجهون من أملكهم، طلبوا منا أن نكتب أسئلتنا فى أوراق  
نسلمها لهم، على أن يقوموا هم بتوصيلها إلى جمال عبد الناصر، وراحو هم متكئا  
يكثرون . . لكن جمال عبد الناصر فلجلنا وفلجأهم بقوله:

— مش عايز ورق. . ألى عايز يسألنى يقوم ويسألنى بنفسه. .

وتأكدنا ساعتها أن لا حولز بيننا وبينه . . سألناه وظل يجيب عن أسئلتنا  
لأكثر من ثلاث ساعات ، لا . . أكتب إن جمال عبد الناصر لما قال لنا أسألونى  
مباشرة، رحنا مصغين له مدة طويلة جدا ، وكنا فرحين لأننا ونحن نسأله كان  
يسأل كلامنا:

— إنت عندك كلم سنة ؟!

انتهت الشهادة فلنتألمها .

عبد الناصر يزور الشباب الذى سيمسمر بالثورة والذى يريد ألا يكون بينه  
وبينهم حولز من أى نوع ، لكن الزيلة تقلم بشكل سرى فلا يعرف الشباب  
وموجهوم أن الزائر هو جمال عبد الناصر إلا فى الساعة الأخيرة ، وبشكل غير  
يقينى !!! ( للجنة المركزية تم انتقاء أغلب أعضائها من هذا الفوج !!! ) .

ثم هل لاحظتم الكلمة المعبرة . أننا استحوذنا عليه وحدنا . . أصبح لنا . .  
أصبح ملكنا . .

هل لاحظتم إصرار الموجهين على أن يكونوا حاجزا — حسب الأوامر —  
بين الشباب وأسئلة تكتب على ورق وبين جمال عبد الناصر الذى لا يريد حولز .



أخيرا . . . هل لاحظتم أن عبد الناصر عندما قال : " اليسى يسألنى يقوم ويسألنى بنفسه " إن الشباب الحريص على ألا يوجد حاجز بينه وبين الزعيم صفقوا له مدة طويلة جدا، واهتموا لأن عبد الناصر راح يسأل كلا على حدة " عندك كام سنة ؟؟؟ " وكأنه ينتظر أن يكبروا بفروغ صبر !!!.

### • رجال الثورة الذين نزلوا من القطار فى طنطا

تعالوا بعد ذلك لتروا كيف رتبوا مقابلتنا بعد الناصر فى الفوج رقم (١٤) ممارسين عزلنا من جديد..

أجلسونا فى خيل المناقشة لكى نتفق، كل خيمة مع موجهها، على سؤال يلقيه واحد من المجموعة على جمال عبد الناصر (لا تنس أن جمال عبد الناصر قال كل واحد يسأل زى ما هو عايز)، وقد اختارنى الموجه لألقى سؤال خيمتنا، ذلك السؤال الذى لم أعد أنكره الآن، لكتى أضمرت فى نفسى فكرة خبيثة! .

ما أن أثار جمال عبد الناصر ناحيتنا، ولم أكن متأكدا أنه يقصنى من بين المتفق عليهم، والذين كانوا يرفعون أيديهم ليسألوا متلى، حتى صحت مفاجئا للجميع بسؤال لم تكن قد افتقتا عليه، صحت مغالبا خوفا وكلماتى تتطلق سراعا حتى لا يلحق بى أحد ويوقفها.

— ليه يا ريس شلت عبد اللطيف البغدادى، وحسن إبراهيم، ويوسف صديق، وخالد محبى الدين وكمال الدين حسين. . . . .

قال عبد الناصر ضاحكا:

— كفاية.. إنت كده شيلتلى الدنيا كلها. . أنا قادر أشيل نفسى. .

وبينما كان عبد الناصر يضحك ملتفتا إلى على صبرى الذى كان يضرب كفا بكف كان الجميع من حولى ولولهم الموجه يكادون يسقطون من خوف أصابعهم بالإغماء . . بينما راح الموجه يقول لى :

— "إنت مش ديموقراطى"، "مش ديموقراطى".

— وقال جمال عبد الناصر وأنا أحاول أن أسمعهم برغم صيحات الموجه المكثومة:

— شوف يا سيدى . . إحنا زى ما نقول كده طالبين رحلة . . رايحين إسكندرية ، ولحد جه فى طنطا وقال كفاية على كده . . ونزل من القطار أبقي أنا شلته !!!

الثورة مرت بمراحل، لما كنا عليزين نطلع الإنجليز، كنا كنا فى القطار، طلوعوا الإنجليز ناس قالت كفاية كده علينا.. ننزل المحطة دى، نزلوا. . أممنارأس المال الأجنبى.. ناس قالت ننزل. . نزلوا. . إختطينا الخط الاشتراكي.

وفجأة ضحك جمال عبد الناصر وهو يقول:

— كمال الدين حسين صمم ينزل. .

وبعد الضحكات، استطرد جمال عبد الناصر:

— أنا ماباشلش حد كل واحد والتكررة اللي قاطعها معانا، وهو حر علوز يوصل لغين. . اللي باقيين معاليا ربنا يسهل ويكلموا لحد ما نوصل محطة إسكندرية الاشتراكية.

وضج الجميع بالضحكات. . ولقننا.

ووحدى لم اتم ليلتها. . لم يرض الموجه ما فعلت. . لأخذنى إلى حجرته، ولصست به مضطربا وهو يكرر إلى ملامعى:

— إحنا اتفقنا بديموقراطية على سؤال. . إنت ما ضحككتش عليا، إنت خنت لجماع زملائك.

— عبد الناصر قال أسألوا زى ما لتوا عليزين.

— وإحنا كنا متقين على اللي عازينه كنا.

— وأنا سألت عن اللي أنا عزيزه، واللى كان عزيز حاجة تانيه كان يسأل. .

ولابد أن عبد الناصر لم يعترض على سؤالى ولابد أن على صبري لم يوجه نظر أحد إلى خطورة ما سألت عنه . . فقد مات موضوع "اللاديمقراطى" هذا ولم يفتحه معى أحد بعد تلك الليلة.

وأصبح يلقي كنزرة. . يضحك لها الجميع. .

الآن أنا الذى أضحك. . إذ لم يبق فى القطار للذهاب إلى محطة الاشتراكية غير حسين الشافعى !!! ومن ؟ . . أنور السادات !!!!

### • على ذكر السادات، نعود للمتهم الأول

يقول أحمد شرف: (وأنا هنا أتقل عن مخطوطة لم تطبع بعد لكتابه الجميل الممتع "براءة سياسية"، وأسمح لنفسي أن أحكى بأسلوبى بعض ما سأورده عنه محافظا بالطبع على مضمون ما يحكيه. . وعلى براءته السياسية، تلك البراءة التى طعنت عام ١٩٦٨م وإلى الأبد).

"كان موضوع اللجنة الوطنية ، للعمل والطلبة الذى قاد النضال المصرى ١٩٤٦، الموضوع الرئيسى الذى وقفت عنده جلسات حوارى الطويلة مع زكى مراد (محام كبير ومناضل سياسى ماركسى توفى إلى رحمة الله) والتي تحولت إلى محاضرات طويلة كان يلقيها على، ولأنكر أننى بدلت أصطحب زملاء لى من الكلية (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية) ومن خارجها إلى هذه المحاضرات، وأهل عام ١٩٦٨ وقد بدأت أقهم معنى "اليوم العالمى للطلاب" (٢١ فبراير من كل عام)، وكيف أن الاحتفال به تقرر دوليا لتخليد واستقاء العبرة من أحداث مصرية وهندية وقعت فى هذا اليوم".

قلت فى العدد الماضى أن جيلنا كان يبحث عن إجابة لسؤال موزق. . لابد أن نفعل شيئا ولكن كيف نفعله، إذن لم يكن غريبا أن يعود الجيل إلى نضال الطلبة والعمل عام ١٩٤٦، يستقى منه الخبرة السليمة، ولظن أن كنا دون اتفاق فلما ما فعله أحمد شرف . . ولأنكر أن كتاب الأستاذ شهدى عطية الشافعى (المناضل

الماركسي الذي كان يؤيد ثورة ٢٣ يوليو بكل جوارحه، وبالرغم من ذلك قتلته رجال السلطة الثورية في لوردى ليو زعل بعد وقت طويل من اعتقاله، وبيانات تأكيد طويلة أيضا وصداقة أرسلها لجمال عبد الناصر!!!) الكتاب المسمى تطوّر الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ - ١٩٥٦ كان يتم تداوله بين الأصقاء المهتمين بالمشكلة - منذ يوليو ٦٧ وحتى فبراير ١٩٦٨ - كما لم يتداول كتاب مثله . ومنه عرفنا ما عرفه أحمد شرف من المناضل الكبير المحبوب زكي مراد برحمته الله عن حركة الطلبة والعمال ١٩٤٦.

عرفنا أن الحرب العالمية الثانية كانت قد انتهت، وذابت وعود إنجلترا المسماة "النظر في المسألة المصرية"، كما تنوب وعود المستعمر في كل زمان ومكان ، ورأى الشعب أن السعبيين والمستوربين وكانوا في الحكم يسعون إلى تحقيق خطة تبقى بمقتضاها معاهدة ١٩٣٦م، ويبقى التحالف بين إنجلترا ومصر . .. (أى بين قوى قار، وضعيف يستجدي، وهو شكل حقيقي من أشكال التبعية لا تستطيع تربيته التسميتات البراقة ) على أن تبدأ مصر بطلب لتسويات معينة عندما ترغب إنجلترا من مشكلتها ، مشاكل الحرب وإعادة البناء .

ولقد كانت الجماهير تتشكك في ذلك الوقت في نوايا الوفد الذي راح يشن حملة صحفية كبيرة مطالبة بالجلء، إذ أن الجماهير لم تكن قد نسيت أن الوفد قد جاء إلى الحكم عام ١٩٤٢م على ديبات الإنجليز وعلى أسنة حرايمهم أيضا.

في تلك اللحظات (وهي تشبه إلى حد بعيد لحظتنا بعد النكسة، حين كنا نعيش والوطن الجريح يعاني إظلاما ملانيا ومعنويا، وشبليكننا المفتوحة على المدى، مدهونة بالأزرق الدكن تحجب عنا رؤيته، وكنا - كذلك أيضا - نريد الكثير من سلطة لانتسى أنها تهرلت، وتشرذمت ضد بعضها البعض، وتسببت فيما آل إليه حالنا، وفي هواننا على الأعداء) في تلك اللحظات قرر الشعب أن يتحرك بنفسه.

### • العمال يبدلونهم والطلبة بعدهم..

بدأ العمال في التحرك.

جمعوا قروشا قليلة استطاعوا بها أن يبعثوا بوفدين إلى الاتحاد العالمي لنقابات العمال في مؤتمره التاميسي الأول، وهناك لم يكتفوا بمنقشة الأجور والبطالة ومساعدات العمل، بل جعلوا المؤتمر يناقش وضعية القوت الأجنبية في وادي النيل وأثر الاستعمار البريطاني في تلأخ الصناعة المصرية، ومحاربة الوجود البريطاني للحركة النقابية في مصر، ومنها حركة العمال، وأثر الاستعمار البريطاني على الزراعة في مصر (!!!!) وسعيه الدقم لكبت الحريات. . .

#### • وبدأ الطلبة بعدهم في التحرك:

حين علم الطلاب بما فطه العمال، أضربت كلية اللغة العربية عن الطعام، وبات طابقتها في القصول (اعتصموا)، وفي كل الكليات عقد الطلبة المؤتمرات، خرجوا بالمظاهرات فكانت منبحة كوبرى عباس، ثم تولت المظاهرات الشعبية محتجة في الإسكندرية والفرقايق، والمنصورة، والسنبلاوين، أستهشد ثلاثة في الإسكندرية وثلاثة في الفرقايق، وولد في المنصورة، واختلطت المظاهرات لوطنية بجنازات الشهداء الوطنيين التي تحولت إلى مظاهرات عارمة في ربوع البلاد، واضطرت وزارة النهراني للفتح الكبير لكوبرى عباس. على الطلاب!!!، (والذي قتله الأخوان المسلمون فيما بعد تحقيقا للقول (من قتل يقتل ولو بعد حين) إلى الاستقالة في ١٥ فبراير ١٩٤٦م ولم يهدأ الطلاب والعمل. .

#### • السلطة هي السلطة في أى وقت!:

تحدث السراى الحركة الشعبية (هكذا تفعل كل سلطة في البداية، تحاول أن تظهر بمظهر القوى الذى لا يبالى، ثم تتركها بعد ذلك استمرارية حركة الجماهير، فتقع السلطة في اخطاء في المواجهات، تنفع ثمنها غالبا بعدها)، وجاءت بمن ألفى دستور ٢٣ "إسماعيل صدقى"، لكن استمرت المظاهرات رغم ألف صدقى والسراى، واتصل الطلبة بالعمال، وفي مدرج كلية الطب - جامعة القاهرة، تكونت اللجنة لوطنية للعمال والطلبة. . وقررت اللجنة أن يكون يوم الخميس ٢١ فبراير ١٩٤٦ يوما للجلاء وإضرابا عاما.

وهكذا عرفنا من خبرة من سبقونا . أن الأمور تبدأ بمؤتمر، إذ لم يحقق هدفه، تحول إلى مظاهرة أو اعتصام تتلوه مظاهرة أو مظاهرات.

### •والآن بعد هذه المعرفة الغالية:

هكذا عرفنا، فلنعد إلى المتهم الأول أحمد عبد الحميد شرف، ولاعترقاته للبريئة سياسيا، يقول أحمد شرف لذلك فكرت أن تكون مناسبة ٢١ فبراير للقادمة (يوم الطلاب العالمي الذي يحيى كل عام في أنحاء العالم نكزي انتفاضة الطلاب في فبراير ١٩٤٦م في مصر) توقيتا مناسباً لما كنت أفتويه" (فلقد اعتدنا في تلك السنوات أن يجد الولد منا ما كان يتوهمه نية عملة لكثيرين غيره هي القاسم المشترك الذي يجعلنا نتكلم كجيل وهذا هو فضل منظمة الشباب علينا أيضا).

فلماذا كان ينتوى للجيل ؟!

كان ينتوى ألا يسكت وأن تبقى المبالغة في يد جماهير ٩ ، ١٠ يونيو هؤلاء الذين سندا قلب عبد الناصر، وثبتوا أقدامه، وأبقوه في مكانه من أجل التغيير وفي نفس الوقت إلى ما يحقق أهدافهم، لقد رفض هذا الجيل أن يفوض أحدا، حتى لو كان هذا الأحد في مكان ومكانة جمال عبد الناصر.

لكن الجامعة لم تكن تيارا متجانسا . . وفي رأى أحمد شرف "أخذ الفرز في الجامعة يحدد تيارين للتغيير، تيارا يمثل الأغلبية ويدعو إلى التغيير الثوري، وفي نفس الوقت إلى ضرورة استمرار الثورة وتوجيه الضربات للقيادات البيروقراطية (فتنهاري "ليس في الإمكان أبدع مما كان"، ولنبدأ ونترك الأمر للقيادة الثورية وسيادة الرئيس ونفوضه في إخراجنا من الأزمة"). لكتبه التقارير لهاها، وممارسى السيمسة على النهج الأمني أى بطريقة المباحث العلمية، أو تيارا (هو التيار لثاني) يمثل الأقلية ويدعو إلى التغيير في اتجاه تصفية الثورة، وضرب المسيرة نحو الاشتراكية، وكانت قوى هذا التيار غير واضحة بعد، ولكن أهم ما أذكره لتي بدأت أستمع للمسوح الديني يطل من حواراتها".

## • وبدأت الاتجاهات الدينية في الظهور:

يقول أحمد شرف: "ظهر أسامة غيث، وهاني خلاف (الأول نائب رئيس تحرير الأهرام الآن والثاني سفير لمصر) وقد أخذ هذان الزميلان نهجاً مضاداً للاشتراكية، والثورة (لا أظن أنه نهجهما الآن فالناس تتغير) على أساس ديني، بل أخذاً يبدیان تعلطفا ظاهراً مع اتجاه الإخوان المسلمين (وهو اتجاه مازال يحارب إلى الآن معركة انتقلمية قديمة مع الثورة وجمال عبد الناصر!!!).

ويقول أحمد شرف: "في يوم الثلاثاء ١٩٦٨/٢/٢٠م انعقد لقاء موسع لمجموعة الطلاب من جامعتي القاهرة وعين شمس وكان اللقاء بدعوة مني" (عقد اللقاء أو المؤتمر الموسع بالمدينة للجامعة لطلاب جامعة القاهرة).

مرة أخرى لا يقلقكم قولة "بدعوة مني" — وإن كنت أرى أنها الحقيقة — فسوف نورد شهادت أخريين في النقاط الخلاقية وسوف نورد جزءاً خلاصاً بعين شمس في أحداث فبراير ١٩٦٨م هذه<sup>(\*)</sup> . .

وفي مؤتمر الجامعتين عين شمس والقاهرة . يقول أحمد شرف :

عرضت على الجميع أن نجعل من نكرى الاحتفال بيوم الطالب العالمي صباح الغد ( ١٩٦٨/٢/٢١م ) مناسبة لكي يتحرك الطلاب ويتحرك الجامعة لتقول كلمتها في القضايا الخاصة بالسلطة والثورة والدولة " .

## • والآن هل نتوقف لنستظهر الحقيقة:

كل ما أريد أن نلاحظوه الآن أن أحكام الطيران لم تكن قد أعلنت بعد . فالمحفلون — حسنو النية — تصوروا أن الطلاب لم يتحركوا إلا رداً عليها . هانحن ذا بذلنا نمسك الخيط من أوله . لنزد على المحفلين حسنو النية، والشيء الآخر الذي أريد أن نلاحظوه أن الأغلبية الساحقة من الطلاب لم يكونوا بعد مضايين لجمال عبد الناصر . ولا أقول لثورته، فلم يحدث أن كانت الأغلبية —

(\*) راجع هذا الجزء في ملاحق الكتاب في شهادة مستر الحظاوى.

فى أى وقت من الأوقات - مضادة للثورة . لقد كانوا لبناءها، وكانوا يريدون دفعها إلى الأمام بجمال عبد الناصر .

يقول أحمد شرف: فى هذا المؤتمر، فكرة للتظاهر كانت غير مقبولة، لأن التوقع السائد كان يقول بعدم استجابة أغلبية الطلاب لذلك" (تذكروا هذا الأمر عندما سيفاجئهم الطلاب بخبر ذلك فيما بعد، أن معجزة حركة الطلاب لم تكن أبداً فى قياداتها، بل كانت دوماً فيمن أطلق عليهم السادات فيما بعد لفظة "الطلاب العادى").

### • إن للمجتمع علينا حقاً:

لكن علينا أن نتوقف لبرهة الآن عن متابعة مؤتمر جامتى القاهرة وعين شمس فى ٦٨/٢/٧٠، لنؤكد حقيقة يجب ألا تغيب، صحيح أن رغبة التحرك الإيجابى كانت موجودة لدى الطلاب، ذلك أنهم لا يملكون مواقع فى العملية الإنتاجية فى المجتمع يخافون عليها، وليسوا أرباب أسر تجعلهم يترددون فى الحركة، ثم إنهم أعداد كبيرة فى أماكن محدودة يسهل التحامهم وتحركهم، لكن الصحيح أيضاً أن فكرة للتغيير الثورى، ودفع الثورة للأمام كانت فكرة المجتمع كله، نصب فى لبنائه من الطلاب. بل إننى للحقيقة والتاريخ أجد أن فكرة للتغيير بدفع الثورة وحركة المد الوطنى للأمام. وبإصلاح الداخل ديمقراطياً، والتي كانت طموحات الشباب الثائر، كانت أفكارا بطرحها الماركسيون فى المجتمع، من أعضاء التنظيمات التي حلت نفسها، إلى أعضاء الجمعيات الفنية والأدبية وجمعيات للمجتمع المدني التي كانت تعاني - ومازالت تعاني - من صعوبات جمة فى المجتمع المصرى.. لقد لفتت الطلاب وقياداتهم هذه الأفكار، ولم تكن قيادات الحركة فى أغلبها ماركسية، لفتتوه لأن الطرح كان طرعا لبرنامج وطنى مرحلى يمكن الائتلاف حوله. هذه حقيقة لا بد أنها لا تغيب عن ذهننا، خصوصاً وأن مفاجأة جديدة - هى بعد قليل - فى الطريق إلينا . . نعم مفاجأة، وكان يجب ألا تكون كذلك، ذلك أن "الطليعة" (مجلة اليسار المصرى التي أنشأها جمال عبد الناصر، وأغلقها فيما بعد السادات) كانت قد نشرت شهادات واسعة للعمال وحركتهم النقابية



صبحت كلها في الدعوة إلى عملية التغيير الثوري. وفي المطالبة باستمرار الثورة عن طريق تجديدها برغم هذا كانت المفاجأة مفاجأة!!!

يقول أحمد عبد الحميد شرف: ونحن منهمكون في هذا الأمر تنامت إلى سماعنا نشرة أخبار الخامسة بعد الظهر (أي وهم في مؤتمر الجامعتين في ٢٠/٢/١٩٦٨م، يتدارسون فكرة أن يبدأ طلبة الجامعات الدعوة إلى التغيير في المجتمع دعماً للثورة ودفعاً لها وحماية لأهدافها أيضاً من الممثلين الليبراليين الفاسدين، الذين تظنهم الثورة أنصاراً.. أو هي تحب — لأنهم يدافعون عنها في كل الأمور — أن تصورهم كذلك) من إذاعة البرنامج العلم (كانت إذاعة الجمهورية العربية المتحدة من القاهرة في ذلك الوقت، برغم مرور سبع سنوات على الانفصال فقد كان هناك إصرار على الوحدة العربية) تعان — يقصد نشرة أخبار الخامسة في الإذاعة، الأحكام في قضية قادة الطيران. وأصلبتنا هذه الأحكام بصدمة حقيقية. فلا يمكن أن يكون ثمن للتصير الذي سبب الهزيمة العسكرية بصورتها الحادة تلك عشر أو خمس عشرة من السنوات سجناً لقادة القوات الجوية تترك من الأعلى إلى الأقل رتبة!!

مرة أخرى نتوقف، لكي نرتبها المحللين — حتى لنية — نرتبها ترتيبها الواقعي. مجتمع يمر برغبة في التغيير الثوري ليقتطعها النكسة، مفكره — بالطبع اليساريون — وعمله من المشرق للندى والمتوسطة، أصحاب المصلحة في التغيير الاشتراكي يدعون إلى هذا التغيير، شعب عرف قدرته على الحركة في التغيير إلى الأفضل في ١٠،٩ يونيو، عندما فرض إرادته على أعداء الوطن، أبناءه من الطلاب يريدون أن يتحركوا بأنفسهم رافضين فكرة التفويض التي أدت إلى التفويض، ثم تحي أحكام الطيران الهزيمة فيظهر للجميع أن السلطة التي نفخت تريد أن تخفي نفعها بتلك الأحكام، وأن هذا معناه أنها لن تبدأ بتغيير نفسها، قيل أن تغير المجتمع، لهذا كله يتقرر الغضب. لهذا كله وليس رد فعل — كما وصف المحللون حتى لنية — كان تحرك الطلبة وكانت دوافعه.

### • وتتصارع أجنحة منظمة للشباب الاشتراكي:

.. لنعد إلى ما يقوله أحمد شرف .. فقد ذهب لإعطي منظمة للشباب باتفاقه مع زملاءه من الجامعيين (إن تعان الجامعة رأيها بمناسبة يوم الطالب العالمي في مؤتمر احتفالي كبير، وأن تعيد المبادرة لجمهور ٩، ١٠ يونيو).

في المنظمة قبل د. عادل عبد الفتاح (أمين شباب المنظمة في ذلك الوقت، وجراح القلب بلأمريكا الآن) الذي حاول أن يثنيه عن هذه المحاولة!!.

— ممكن تبلغ الأستاذ أحمد كامل، وتنشور في الموضوع (أحمد كامل كان مسئولاً عن المنظمة بعد د. حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم الحالي. بعدها أصبح مسئولاً عن المخابرات).

ورد عادل عبد الفتاح:

— الأستاذ / أحمد كامل غير موجود.

قال أحمد في ثقة:

— بلغ السيد علي صبري.. ضروري.. لأننا موش ح نتراجع.

وأحد د. عادل عبد الفتاح بإصرار أحمد شرف قال:

— طيب.. لقد.. ح نكلم السيد علي صبري ونقوله للموضوع وهو يدينا القرار الصحيح (هذه صورة من الائتلاف البيروقراطية لمنظمة الشباب التي سبقت — بل كانت كائنتات تنظيمات الثورة كلها سببا في فتنكسة الوطن)، ولم يتم الاتصال حتى الثانية عشرة مساء فقرر أحمد شرف أن يذهب لينام في بيته على أن ينتظر تعليمات المنظمة الساعة التاسعة صباحا، عند قاعدة النصب للتكراري أمام الجامعة (كما اتفق مع د. عادل عبد الفتاح).

وقيل التاسعة صباحا كنت ألق بجوار النصب التذكارى، طالت وقتى حتى العاشرة (احترف هؤلاء للناس ضرب المبادرات الشبالية بتجاهلها وانتظار التعليمات، لهذا بالطبع لم يذهبوا الى أحمد شرف بلية تعليمات فى محاولة واضحة لاجهاض الأمور) وأنا مستغرق فى محاولة استنطاق الوجوه (وجوه الطلاب للدخول إلى الجامعة بعد أن سمعوا أحكام الطيران) وقياس درجة حرارة الغضب، غير أن جهاز الرادار البشرى لدى لم يسجل أية اهتزازات إيجابية فدخلت الجامعة وقد ارتسم لهم على وجهى.

(الآن . هل يعيد السادة المحللون - حسنو التنية - تفكيرهم فى الأمر، قبل أن يعيدوا قولهم أن أحكام الطيران كانت سبب خروج الطلبة فى ٦٨ ؟!)

ويقول أحمد شرف أنه عندما دخل الجامعة وقد اكتسى وجهه بالهم، قور أن يذهب إلى كل الاحتفالات بيوم الطلاب العالمى فى كل الكليات فى محاولة لقياس رأى الأغلبية، وامكانية التحرك.

كان احتفال كلية الطب فى قصر العبنى سيقد فى لولة ظهرا، سارعت للحاق به. وطالبت عبد الحميد حسن (رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة فى ذلك الوقت، ثم الوزير الشاب فيما بعد، ثم محافظ الجيزة الذى انتهت مدة خدمته عند المدعى الاشتراكى متهما بما اتهمه به المدعى) أن يحصل على تصريح من الأمن بفتح مدرج العميد بدر، بكلية الحقوق لنقيم احتفالا رئيسيا للجماعة.

### • د. محمود الشريف يتنبأ بالأحداث القادمة!:

ويقول أحمد شرف . أنه قبل بعدما محمود شريف (كان قد تخرج من كلية الطب وفى ميبله لأن يتبوا وضعه كمستأذ بكلية، وكان عضوا فى اللجنة المركزية لمنظمة لشباب الاشتراكى فى ذلك الوقت، وأصبح وزيرا للحكم المعطى الآن) فلما عرف أن أحمد شرف طلب ما طلبه من عبد الحميد حسن، تساعل قلنا:

— لماذا طلبت ذلك من عبد الحميد حسن؟

— بصفته رئيسا لاتحاد طلاب الجامعة.

— هل أخبرته بنيتك من وراء الاحتفال.

— قلت له الحقيقة كلها.

وبان القلق على وجه محمود شريف أكثر من ذي قبل وقال:

— لا تأمن جانب عبد الحميد حسن، اذهب من فورك ورتب أمورك بعيدا عنه.

وكان الدكتور محمود شريف كلّما يقرأ في كتاب الساعات المقبلة !!!

بل كان كمن يتشوف للشهور للقادمة.. بل السنوات للقادمة أيضا!.

(٤)

أخطأ النظام ..  
وسوف يكرر  
غلطه !!



الذين ما كانوا ليتصوروا أن بلادهم من الممكن أن تتعرض لنكسة تشبه ما حدث في يونيو ١٩٦٧م، ما عادوا المصدقوا بعد حدوثها — أيداً — أيضاً — أن تلك النكسة لا يمكن أن تتكرر!

لقد صحا الشعب على كارثة مروعة، من هولها لم يعد يملك يقيناً فسى أن تلك الكارثة بعيدة عن الحنوث من جديد.

لهذا رفض الجيل من لحظتها — واستمر رفضاً — مبدأ التفويض..

أراد هذا الجيل منذ اللحظة الأولى أن يشارك في اكتشاف الخطأ، وفي تصحيحه، وفي رسم صورة تغيير لا بديل له، وفي تنفيذ هذا التغيير، وذلك دعائه غائرة في الأرض المصرية، ليقود أمته إلى الأفضل والأمن المستمر.

لقد اكتسب جيلنا ثقة كبيرة في نفسه، عندما استطاع أن يفرض — وسط غيره من الأجيال — إرادته في ٩، ١٠ يونيو، وأن يثبت أقدامه وقاب جمال عبد الناصر، ويقبض بيد لا تالين على إنجازات ثورية ومفاهيم نظرتها المستقبلية من تاريخ نضال الشعب المصري كله في العصر الحديث، الذي بدأ قبل الحملة الفرنسية بمئة سنة على الأقل (ولو كره العبارة!).

هذه الثقة الكبيرة جعلت رابع المستحيلات أن يستسلم هذا الجيل إلى نعلين تفويضي: جديد يحرسه الزعيم الماهر عليه!!

بدأ يفكر، بدأ يتعلم، بدأ يتحرك، بدأ يمارس من الفعل أهداه وأصخبه، وفي الحالتين كان صوته عالياً..

ولم تحتمل السلطة ..

ضربت السلطة — كما سنرى — دون رحمة مشاركة الجيل الحقيقية في صنع غد لا يملكه غيره!! لم يرضها إلا أن يشارك الجيل مشاركة سورية!! ولم يرض الجيل بأن تكون مشاركة سورية وتحدث المواجهات.

ولجه الجيل غدا عبد الناصر.. وولجه تراجع السادات.

وعندما فشلت المواجهة في تحقيق حقه في المشاركة الحقيقية، اختفى بعضه — وكان بعضهم صناعة سلطوية على يد وعين ثور السادات!، وروّعوا الوطن بالعنف... جاء العنف يأساً من المشاركة.

جاء العنف مشاركة ولكن في الطريق الخطأ!!، ودفع السادات الثمن من دمه فوق المنصة، على أيدي من صنعهم — وعلى يد من اختفوا في وسط هؤلاء الذين صنعهم — لإبداء معارضيه!!

وما زال العنف يروّعنا.. متخذاً صوراً عديدة منها ما هو عنف على الذات.. وما هو عنف على الآخرين ... عنف ميلسي (عرف باسم الإرهاب والتصق بالجماعات الإسلامية) يحطم فرصة الحوار، صراعات دينية (فتنة طائفية) تحطم فرصة المواطنة الحقيقية وعنّف على الوطن بالانتماء الفكري لتقاليد مهما ومض بريقها، فهي الأكل إذا ما قيمت بعمق ثقافة المصريين، بعرق الحضارة النابض فيهم من آلاف المنين، يحطم قدرتنا على المراجعة، عنف يتخفى في صورة شديدة الشراسة في الجرائم الفردية العلنية، يحطم فرصة التماسك، عنف على الجسد والعقل بالإيمان يحطم فرصة الحل، وعنّف على الذات، على الكينونة، على الإنسانية الإنسان، أدى إلى عبادة الشيطان، مهددا فرصة للمستقبل!!!

إنني ضد العنف، وفي نفس الآن — وينص الحدة — ضد لسبيله... ولأنني أرى أن أهم لسبيله، يأس الجيل من المشاركة الإيجابية في صناعة التحوّل إلى لا مبالاة بها — واللامبالاة أعلى درجات اليأس). لأنني أرى هذا، أقص عليكم القصة منذ البداية ولطلب من الجميع استكمالها.



الرجل الذي ولجه رصاص جمال عبد الناصر والسفلى

إن هذه الدائرة لابد أن تقطع.. ولكي تقطع علينا أن نعرف كيف بدلت، وإلى أين تسير بنا، وإلى أين تسير بها.

والبدائية كانت في كيفية مواجهة السلطة لحركة ٦٨ في فبراير، الحركة التي بدأها العمال واستمر بها الطلبة معهم.

### • هاني غنان يستنثي جمال عبد الناصر!!

الطلاب كانوا يهاجمون النظام ويستنثون جمال عبد الناصر كقيادة ثورية، كانوا يستنثونه حتى تلك اللحظة!! .

ولمنا نتوقف هنا عند حادثة طريفة تظهر معاداة الطلاب للنظام واستثناءهم جمال عبد الناصر، قبل أن نتعرف على مطالب الطلبة التي كانوا ينوون إعلانها قبل أن يفلجهم العمال المفاجأة الأولى ويسبقوهم إلى العمل للصخب، (هل كانت مبادرة العمال مفاجأة حقاً؟).

عندما رقد هاني غنان (د. هاني غنان الآن، صاحب ومدير توكيل كبير لتجهيز المستشفيات، ومطالب الطب، وعضو منظمة الشباب وقتها) بمستشفى الهلال الأحمر مصاباً برصاصة اخترقت حوضه من الناحيتين، واستقرت تحت الجلد في الناحية الأخرى، بعد أن ولجه البلوليس مظاهرات الطلاب بالرصاص، وجاءه المحققون ليعرفوا ملابسات إصابته سأله المحقق:

— هل تعرف من الذي أطلق عليك النار ؟

قال هاني غنان ( ١٨ سنة وقتها ):

— أعرفه جيداً

— من هو؟

— شعراوي جمعة.

— من؟؟.

— شعراوى جمعة.

— نقصد أن المبد شعراوى جمعة هو الذى أصدر الأمر بإطلاق النار على المتظاهرين؟.

— لا نقصد أنه هو من أصابنى بيده إصابة مباشرة.

— هل رأيته!! هل رأيته بنفسه يطلق الرصاص عليك؟

— رأيته يرفع المسمد ويصوبه نحوى ويطلق الرصاصة.. ورأيته تقع مصاباً برصاصته التى أطلقها من مسمده على نفسه.

لا أعلم كيف فكر المحقق وقتها فى هاتى عفان؟، لكنى أظن — ويظن الظن ثم — أنه لم يفهم ما عناء هذا الشاب الصغير — وقتها — بلتهامه الصريح هذا، ويرغم الفتاعى شخصياً الآن — بأن شعراوى جمعة هو مطلق الرصاص فى كل مكان فى نفس الوقت وب نفسه، إلا أن هاتى عفان الذى كان يمتشى نفسياً أن يكون جمال عبد الناصر هو من أطلق الرصاص على الشاب، أراد شعراوى جمعة متهماً، لماذا ؟ لكى يستبعد دليظه أن يكون جمال عبد الناصر هو المتهم، ولكى يعبر عما كان يجيش فى نفوس الشباب وقتها من أن عبد الناصر ثورى، لكن من حوله يفقدون الثورة ثورتها، ويجعلونها فى مواجهة ساخنة نموية مع مؤيديها... وهذا هو الاتهام الذى عبر عنه هاتى عندما أصر على أن الجانى هو شعراوى جمعة.. أليس هذا التعبير دقيقاً عن أن الشاب وقتها كان يمتشى جمال عبد الناصر من تهلمته، متمنياً فيما دون الوعى (اللاوعى) أن يكون جمال عبد الناصر كما يريدونه!! وأن يستمر بالثورة.. بواسطة أصحاب المصلحة الحقيقية فى استمرارها، وهم الشاب ملاكو المستقبل.. (الذين لم يمتلكوه أبداً فيما بعد إلى الآن!!).

● لا ولف لا للتوقيض!!

كنا نقول أن الشاب — طلبة وعمالاً بحثوا عن الخيرة فى انتخابات ١٩٤٦م وكنا نقص قصة المتهم الأول فى — أحدث فبراير — من الطلبة.. الذى رغب فى أن يقوم اتصالاً مباشراً بين جمال عبد الناصر وجماهيره دون عوائق من المستعبدين وأصحاب

مقولة "ليس فى الإمكان أفضل مما كان، ودعوا الزعيم يخرجكم من الأزمة!!" وراح فى براعة سيادية (عنوان منكراته التى أنقل عنها والتي مازالت مخطوطة تحت الطبع).. يستنقى منظمة الشباب — وكان عضواً فى لجنتها المركزية — عما يجب عمله.. ففوجئ بأن المسئول عن المنظمة — السيد أحمد كامل — غير موجود، وأن الاتصال بالسيد على صبرى الأمين العام للاتحاد الاشتراكى غير ممكن، وظل فى انتظار التعليمات أمام للنصب للتذكارى المولج للجامعة.. (لم يعرف وقتها أن المنظمة تشبه للنصب للتذكارى لأمه!!) فلما طال انتظاره دخل الجامعة وقد ركبها لهم.

والآن.. نستكمل القصة بقول المتهم الأول أحمد عبد الحميد شرف:

"عندما عدت إلى الجامعة (من كلية الطب وكان قد قابل عبد الحميد حسن رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة فى ذلك الوقت وطلب منه أن يحصل على تصريح من الأمن بفتح مدرج "العديد بدر" بكلية الحقوق ليقوموا احتفالاً رئيسياً للجامعة بدلا من أن يكون يوم للطلاب العالمى مجزاً على احتفالات الكليات كل على حده) علمت بأخبار مظاهرة عمالية قامت فى حلوان، لدى سماعى بهذا النبأ.. ففرجت أسارى، ورحت لؤكد أننا قلب قوسين أو أننى مما نريد تحقيقه.

"وبضحكة عالية قلت لأسماء الغزالى (د. أسماء الغزالى حبيب، رئيس تحرير مجلة السياسة الدولية الآن، وكان طالبا بكلية الاقتصاد وقتها).

— سوف تشهد اليوم مظاهرة جامعية.

— لو تحقق ما نقول سأقدم لك اعتذرا على الفور.

• عودة قصيرة إلى الوراء:

نضيف هنا للسادة المحللين حصنى الذية هذه المقولة — الأقدم عمر الأحمد شرف المتهم الأول فى أحداث يحلون لها لعلم ينتقون بها.

"فى نهاية ديسمبر ١٩٦٧م كنت قد توصلت بينى وبين نفسى إلى أن منظمة الشباب الاشتراكى قد تحولت إلى إطار بيروقراطى، غير قادر على إنجاز أو السماح بتمام

لية حركة تدخل في معمعان قضية السلطة، ودور المشاركة الشعبية فيها، ومن أكثر ما لفت نظري في تلك الفترة تحول المنظمة إلى جهاز يرفع تقريراً يومياً عن تجاهلات للرأى العلم، حتى أن عدل عبد الفتاح إزاء إلحاحى على قضائنا للتخير، أخذ يدعونى إلى كتابة تقارير رأى علم تعكس دعوتى" ( ومع كل ذلك توجه إلى المنظمة يطلب رأئها ويحيطها علماً بما افتراء فى الجامعة!!!! ) .

تلك دعوت فى أحد أيام شهر يناير ١٩٦٨ مجموعة من أصدقائى إلى التحرك من خلال الجامعة باعتبار أن التجمع الطلابى، يمكن أن يشكل كياناً جماهيرياً مؤثراً ( ) وكم شدد على الفكر صديقى لأسمة الغزالي حرب، وشبطنى تهكماً، وأخذ يقول لى: ألا تعلم أن مصر لم تشهد مظاهرة سياسية منذ عام ١٩٥٤ كيف تتحرك الجامعة والشباب فى حالة كبيرة من حالات السلبية واللامبالاة ... إن ٩ ، ١٠ يونيو حدث تلقائى فبعث فى جو صدمة مروعة، ولن يتكرر بسهولة.

لقد كان الطلاب لأسمة الغزالي حرب (فى ذلك الوقت المبكر حياتـه) يعبر عن رأى المتقنين الذين استكنوا سنوات طويلة — وحتى الآن — إلى أطروحاتهم عن سلبية الشعب، وصبره على المظالم، هؤلاء المتقنون الذين لم يتعلموا للأسف شيئاً من درس تكرار كثيراً فى حياتهم.. درس يؤكد أن الجماهير للشعبية كانت تسبقهم فى كل مرة.. والذين لم يحاولوا أبداً معرفة العوامل التى تحكم تحرك الناس.. ولعلم لم يحاولوا عن عمد!، ذلك أن كثير من المتقنين لا يعرفون كيف يكلمون الناس.

وكثير من هذا الكثير اعترفوا يوماً بتأثير السلطة لا بتأثير الجماهير.. إذ يوجهون خطابهم دقماً إلى أعلى.. وهم بهذا يخلصون ضمائرهم!!!! بينما الوطن يجأ فى طلب الخلاص!!، أرى فهم اعتكوا أن يفعلوا هذا لأننى فيما أظن وليس كل الظن إنما أن تأثير السلطة وتأثيرها أكثر أمناً من تأثير الجماهير.. وبالطبع من تأثيرها).

لقد كان الطلاب لأسمة الغزالي يستفيد فكرة أن تخرج الجامعة فى مظاهرات احتجاجاً على أحكام الطيران الهزيلة وما تعنيه من محاولة إخفاء السلطة رأس نعامة

للشعب فى الرمال، وكان المسئولية محصورة فيمن عوقبوا .. ولبيت مسئولية نظام ترهل وتسييت مفصله إلى الحد الذى يحتاج معه إلى تغيير كفى.

### • والأين فتنطق ونحن نتحقق من مطلب الطلاب:

وتعود إلى كلام أحمد شرف الذى توجه بعدها لهندسة القاهرة ليقنع محمد فريد حسنين (كان عضواً بمنظمة الشباب، ورجل أعمال الآن، يملك ويدير مصنعاً للملبسات المياد)، ورشيق رفعت (عضو اللجنة المركزية لمنظمة الشباب وقتها، ومهندس بكندا الآن) بأن يخرجوا بمن سيحضر الاحتفال (احتفال هندسة القاهرة بيوم الطلاب العالمى عام ١٩٦٨م) ونطوف بالجامعة فى مظاهرة صليمة بعدها نتوجه لقاعة الاحتفالات الكبرى...، لو لمدراج السيد بدر بكلية الحقوق لتنظيم مهرجان احتفالى كبير باليوم العالمى للطلاب، نعلن فيه مطالبنا (....) ونضيف عليها ثلاث نقاط أخرى:

#### ١- استنكار أحكام الطيران والمطالبة بإعادة المحكمة.

٢- استنكار التصدى لمظاهرات العمال فى طوان اليوم، فى دولة تتلادى بالاشتركية، وتبرز الطبقة العاملة فيها باعتبارها نواة التحالف الطبقي (ولمنا نختلف معه على أن التحالف كان فى عهد عبد الناصر طبقياً) المسمى تحالف قوى الشعب العامل.

#### ٣- المطالبة بالتغيير الثورى وإعادة الاتحاد بين القيادة الثورية والقاعدة الثورية.

ومرة أخرى نتوقف لحظة لنقول للسادة المحللين حسنى النية، الذين يصوون على أن حركة الطلبة وحركة للشباب المصرى ٦٨-١٩٧٧م، كانت مجرد هبات صاخبة، وكل هبة منها رد فعل لحادثة معينة، نقول لهم ها هو ذا المتهم الأول (ولا يهمننا الترتيب، فالترتيب قامت به المباحث العامة فى ذلك الوقت) يؤكد أنه كانت للطلبة مطالب يريدون إعلانها فى الاحتفال العام للجامعة بيوم الطلاب العالمى ١٩٦٨م، خاصة بالتغيير الثورى وإعادة الاتحاد للقيادة الثورية الجماهير الثورية لأصحاب المصلحة، وإسقاط حائط الانتهازيين والبيروقراطيين الذى يشوه هذا الاتحاد، بل يمنعه منعاً، وأنهم أضاعوا إليها - إلى مطالبهم - لثلاث لثلاث لثلاث

تتضمن اعتراضهم على أحكام الطيران ورد فعل الحكومة لمظاهرات العمال...

ولمعد مرة أخرى إلى أحمد شرف - ولكن في روليت لأحداث التظاهر الطلابي في فبراير ١٩٦٨ - يقول: كان الإعداد لهذه الفكرة (فكرة التحرك الجماهيري لإبقاء المبادرة في يد جماهير ٩ ، ١٠ يونيو) يتطلب تنشيط الصلات مع الاتحادات الطلابية، وقد كان خطي (تعبير تنظيمي ينتمي إلى منظمة الشباب ويقصد به إذا قبل مختصراً هكذا "خط اتصال أو قناة تواصل") مع جامعة عين شمس في أحسن حالاته، فمن بين أصدقائي للشخصيين، الصديق معتز الحفظاوي<sup>(١)</sup> رئيس اتحاد جامعة عين شمس، ومجموعة من أنشط الطلاب يسيطرون على اتحادات الهندسة والتجارة بالذات.. غير أن صلاتي لم تكن قوية مع اتحادات الطلاب في جامعة القاهرة، ففي هذه الفترة كان رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة عبد الحميد حسن، الطالب بطب قصر العيني، شاباً فقير الحال في ميناه ومعناه (لا لأنني أن هذا كان رأي المدعي الاشتراكي فيما تلى ذلك من سنوات!!) وكان قد حضر دورة أخيرة في منظمة الشباب (المرحلة الأولى من ثلاث) وأصبح عضواً جديداً بها، وكان منظره المتواضع ومفاهيمه المتواضعة دافعاً لأن أخطو نحوه وأتعرف به غير أنه كان شخصاً متحفظاً فلم تكم علاقتنا ولكن ظلت المعرفة علاقة عادية.

ثم يتكلم أحمد شرف عن جماعة الفكر الاشتراكي في الاقتصاد وعلوم سياسية، وكيف مدت نشاطها إلى الهندسة، وكلية الطب البيطري، وعن توظيف علاقته بشباب المنظمة من الطلاب، محدداً أن الشباب، وبالذات الشباب الثوري لابد أن يدخل غمار معركة السلطة المتأخرة، وأن يحدد موقعه في تيار مستمر في الثورة بالتعبير الثوري الثوري، وأن يمارس ذلك عن طريق حركته المستقلة، التي تعد تأسيس منظمة الشباب الاشتراكي، بالمبادرة السياسية للشباب على أساس ديمقراطي (يقصد بالانتخاب الذي كان مطلب شباب المنظمة في إعداد هيكلتها، تلك الهيكلية التي تمت بالاقتراع، وفي غياب الشباب، وفي بدء المنظمة عندما كان عدد الشباب محدوداً، وتم الانتقاء من العدد

<sup>(١)</sup> فطر رأي معتز الحفظاوي في ملاحق الكتاب.

المحدود) يدفع بالقائمين النشطاء إلى مواقع السلطة فيها (يقصد فى المنظمة طبعاً)، [هل بعد ذلك — أيضاً — مازال السادة المحفلون (حسبو القنية) عند رأيهم فى أن حركة الشبَاب — عمالاً وطلاباً — حركة لم تكن إلا رد فعل لأحكام الطيران، ها هو واحد من الشبَاب يظهر — أيضاً — أن الطلاب كانوا يموجون برغبة فى التغيير باحثين عن وسيلة للضغط بالجمهير لتحقيق هذه الرغبة ويُظهر أيضاً أن التغيير اتخذ فى أذهانهم طريقاً ديموقراطياً على حسب، ماسمح لهم منهم، ولثقافة السائدة فى المجتمع بأن يفهموا معناها ونظمها وآلياته.. وللحق والتاريخ كان فهمهم — مثل كثيرين من الكبار — فهماً سطحياً، يدفع بأحسن العناصر إلى مواقع السلطة ويزيح الانتهازيين والبيروقراطيين الذين لا مكان لهم فى حركة تغيير ثورى .. بعدها جاءت أحكام الطيران، وتصرف السلطة المتحسم بالخطر والخداع الشديدين فى مواجهة العمال، حيث طلبوا من العمال أن يقرأوا مظاهرهم فى حدود منطقة حلوان ويطلقوا ما يشاعون من مطالب ثم فتحوا عليهم النار عند قسم الشرطة (ادعى شعراوي جمعة فيما بعد أن فتح النار خطأ شخصى من مأمور القسم الذى تصور أن العمال سيهاجمون القسم، فأى خطأ شخصى كان وراء فتح النار على الطلاب عند مبنى جريدة الأهرام وفى شارع رمسيس ووراء مستشفى الهلال الأحمر، وفى العباسية، هل فى كل مرة فتح فيها النار كان الخطأ شخصياً؟، ولئن كان ميادته والأخطاء الشخصية تتوالى بعد أيام من الخطأ الأول) لقد كان الخطأ خطأ النظام، (الذى عودنا فى كل مرة على أن يبحث عن كيش فداء لأخطائه، وأن يبرر التحركات التى تنطلق ضده بنظرية المؤامرة، والسالة لجهات أجنبية، كل من يملس حقه فى المعارضة، ومن يطلب أن يشارك فى صنع القرار السياسى ما هو إلا متمرد وكان لا أحد يهتم بمستقبل هذا البلد إلا الجهات الأجنبية ذات الغرض وعمالها فى الدخول) لقد أضاع الطلاب بعد أحكام الطيران وبعد تصرف السلطة بوحشية لإجهاض التحرك الشعبى فوق مطالبهم مطالب تنتمى لهذين الموقفين.

ظلم المحفلون — حسبو القنية — حركة الشبَاب، وهذا واضح الآن.. حين صوروها رد فعل واقتروا فى ٦٨ أن تكون رد فعل لأحكام الطيران فى فبراير، بينما كانت الحركة فى الواقع رداً فطرياً (وليس رد فعل) على ترهل نظام سياسى، أدى إلى نمكة

بشعة خرجوا فى أول الأمر ليخبروه بتطهيره من البيروقراطيين والانتهازيين الذين لا يجيدون إلا تبرير أعمال النظام ولخطئه أيضاً، ولا يبدلون كلماتهم إلا بهذا القول الذى سمناه "اتباعاً من قول السيد الرئيس كذا وكيت لوى كيت وكذا"...

خرج الشباب لجمال عبد الناصر فى فبراير قلما ضربهم نظام عبد الناصر ولم يتغير إلا تخيراً سوريا — خرجوا فى نوفمبر ضد عبد الناصر وبعدها خرجوا ضد ثورة السادات... ولم يكن الخطأ خطأ الشباب بالطبع.

ولنعد إلى الأحداث مرة أخرى.. (بعدها نعود إلى المظالم حسنى النية مرة أخرى..).

يقول أحمد شرف فى مذكراته أن محمد فريد حسنين ورشيق رفعت اقتعيا بضرورة خروج الجميع من احتفال كلية الهندسة فى مظاهرة سلمية تطوف بالجامعة ليعتصروا بعدها مؤتمرا يطن الطلاب فيه مطالبهم، ويحاولون إيصالها للمسؤولين، وبالفعل دعا فريد حسنين الجميع للخروج فى المسيرة التى طوفت بالجامعة، وكانت فى كل لحظة تتمدد وتكرر بعدد طلابي من كليات الحرم الجامعى.. ثم توجهت المسيرة إلى قاعة الاحتفالات بالجامعة فوجد أفرادها القاعة مغلقة إنك أن كان قد وصل للنظام أو على أقل تقدير للحرم الجامعى، خبر يؤكد ما اعتزمه الطلبة لأبد نقله عبد الحميد حسن — للزعيم الطلابي — بعد أن طلب منه أحمد شرف فتح القاعة، وأعلمه بالغرض من التفتح (تعلما أن نقحمها فيما بعد).

وقف محمد فريد حسنين على سلم القاعة يخطب فى زملائه.

— كفنا صمتا.. كفنا كبتا دلم خمسة عشر علما (الصحيح أربعة عشر عاما بعد أحداث مارس ١٩٥٤) لا بد أن نخرج ما فى قلوبنا.

ثم دعا الجميع للذهاب إلى مدرج الحميد بدر بكاية الحقوق وهناك رأى الجميع لوى مفاجآت عبد الحميد حسن.. التى يصفها أحمد شرف بقوله:

بجوار المدرج لمحت عبد الحميد حسن، وعلى باب المدرج، رأيت قوات



حرس الجامعة وقد اصطفت لحراسته، عندها أدركت صحة تحذير د. محمود شريف (هل تذكرون التحذير في الفصل الماضي). جريت إلى عبد الحميد حسن صرخا:

— لماذا لم تقدم طلبا رسميا بعد المؤتمر؟

— طلبت لكن حرس الجامعة رفض.

هنا طلب قادة المسيرة من الطلاب أن يهرولوا إلى مدرج ٧٨ في كلية الآداب، وهرول الحرس الجامعي وراءهم لكن الطلاب سبقوا الحرس وسيطروا على المكان وعقدوا مؤتمرهم.

ولقد حاول أحمد شرف أن يجعل نبرة المؤتمر هادئة، وأن يبذل جهده كله في أن يخرج المؤتمر بمطالب تهدف إلى وصل السلطة الثورية (جمال عبد الناصر) بالقاعدة الثورية (جماهير ١٠،٩ يونيو ١٩٦٧) لكن أحمد شرف لم يكن يعلم أن سهام صبرى في الطريق إليه!!

وسهام صبرى هي أسطورة الحركة الطلابية، فتاة قوية البدن، قوية الجنان، (كانت طالبة بكلية الهندسة جامعة القاهرة، ولها دور كبير للغاية ومؤثر للغاية أيضا في الحركة، سنتابعه حين نصل إلى أحداث ١٩٧٢م وأحداث ٧٣ م أيضا).

دخلت سهام صبرى إلى القاعة (مدرج ٧٨ بكلية الآداب) تصرخ (أحمد شرف لا يعرف أن كلمات سهام صبرى صراخ، وصرختها كلام شديد المعنوية، والحزم، والقوة أيضا) قالت سهام إنها جاءت للتو من حلوان، ولها شهيت للمنبحة الخائنة التي أعدتها للشرطة للعمل، ورأت دم المال يسيل، بعد أن فتحت للشرطة النار على الأمنيين الذين استجلبوا لدعوة للشرطة وللنظام بأن تكون المظاهرة سلمية، وفي حدود حلوان الضاحية!.

على إثر كلمات سهام الصرخة ارتفعت وسط الطلاب الهتافات المعادية للنظام، وانطلقت مظاهرة صاخبة من المدرج، انضم إليها الطلاب الذين لم يحضروا المؤتمر، واتجهت المظاهرة إلى أبواب الجامعة، فوجدوا أن الحرس الجامعي قد أحكم إغلاقها..

فتمالت الهتافات المنددة بالديكتاتورية العسكرية ويحكم الفرد المطلق.

راحت المظاهرة تطن الاحتجاج على ضرب العمال بوحشية، وفي الحقيقة على ضرب كل من يريد أن يشارك المظاهرة ولو بإحدى!!

كانت المظاهرة تغلي وتهدر بالضرب.. وفي سرعة تجمع أعضاء منظمة الشباب، أحمد يوسف (الآن أستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ومدير معهد الدراسات العربية) وأسامة القرطبي حرب، وعبد القادر شهاب (نائب رئيس تحرير المصور الآن) وعثمان محمد عثمان (أستاذ ومستشار التخطيط بالمعهد القومي للتخطيط الآن)، وأمل الشاذلي (رئيس قسم العلاقات الخارجية بجريدة العالم اليوم الآن) وصالح سمرة (مهندس وعضو التجمع في دكرنس الآن...) وعثمان عزلم (مهندس ورجل أعمال الآن) ومسيد عمر سرخان (مهندس الآن) وعلاء حمروش (توفي وقتناه بعد أن صار أستاذا للفلسفة بكلية أدب بنها جامعة الزقازيق، ورئيسا للمركز القومي لتقافة الطفل).. ولم يحضر الاجتماع محمد فريد حسنين، عضو المنظمة الذي خرج عن الخط وراح يندد بالديكتاتورية العسكرية ويحكم الفرد المطلق وسياسة تكميم الأقواء في المظاهرة التي كان يتلمى عندها خارج المدرج، قرر المجتمعون ضرورة تكوين وفد يقابل مدير الجامعة (الوظيفة الآن رئيس الجامعة) وتم اختيار علاء حمروش فقدا للوفد.

وهنا نتوقف لنرى المعجب، منظمة الشباب التي ذهب إليها أحمد شرف بالأمس، فلم يستطيعوا العثور على أحمد كامل مسئولها (حسب زعم د. عادل عبد الفتاح أمين للشباب) ولم يستطيعوا الاتصال بعلي صبرى (حسب زعم نفس الزاعم)، وتركه (أحمد شرف) ملطوعا أمام الت نصب للتكرار في مواجهة بولية الجامعة أكثر من ساعة في انتظار التعليمات كما مر بنا، فأثقت (خوفا من المسئولية بالطبع) واستطاعت أن تقبل الصعاب .. أن تمتدعي أحمد شرف من الجامعة الصلخبة مقولة الأبواب بالحرس الجامعي!!

في المنظمة وجد أحمد شرف د. عادل عبد الفتاح وسط مجموعة من سكرتارية المهام.

يقول أحمد شرف: "بادرنى عادل عبد الفتاح قائلا:"

— عملتها وتسرفت منك يا فالح!! شليف طلعت غشيم لزاى؟

(لا أريد أن أعقب ولحكوا أنتم بأنفسكم على هذه الكلمات!!)

قال أحمد شرف: لأنكم تركتموني وحدي بجهدى الفردي، وجهد مجموعة من الزملاء، فلم نستطع أن نصل إلى ما نرجوه، الحبيب فى تخلفكم وإيس فى غشيمى لو غشمنأ.

بالطبع استطاعت المنظمة وقتها العثور على الأستاذ أحمد كامل، الذى بلادر واجتمع بأحمد شرف لو لكن أكثر تواضعا ونقول التقى به.

يقول أحمد شرف "طلب منى (أحمد كامل) أن أضع تصورا للأحداث فى الأيام المقبلة، حدثته عن فكرة جدار الصمت المنهار (يعنى أن الشعب لم يعد يطيق السكوت، والاستبعاد التقريضى) صدق على ما أقول، تحمس لما أطلب (!!!)، عندئذ طلبت منه أن يمهلىنى إلى الحد حتى أكتب له تصورا أعم عن الأحداث، وكيفية شق مجرى السيل المصاحب لها (يقصد السيل المعادى للنظام وعتاقته الهادرة) وافق على ذلك واتفقا على اللقاء فى الثانية عشرة من ظهر الخميس ٢٢ فبراير ١٩٦٨م."

لكن مفاجأة غريبة — أخرى — كفت فى انتظار أحمد شرف...



(٥)

---

هوہ سیادتک ..  
مباحث ؟ !

---



متى تتحرك الجماهير حركة صلخبة عنيفة ؟

سؤال حير المثقفين.. وحير المحللين.. وحير السلطة أيضاً!!

المثقفون أراحوا أنفسهم وضمائرهم وعقولهم أيضاً !! ولانها علينا من اذنهام سبل من الاكوال فى جلساتهم الخاصة، وقطرات قليلة من الكتلت... راح السبل - بقطراته المكتوبة المطنة - يؤكد أننا - الشعب المصرى - شعب خضوع ، وأن صيرنا حير الصابرين، وهو قادر على أن يصيب القنبى لوب - عليه السلام - نفسه بالدهشة، وبعضهم تبنى مقولة زرعها الحملة الفرنسية (فما زرعته من توير للغالين!!)، وتشير إلى أن مصر ذات مصدر وحيد للمياه (النيل)، وأنها واد محصور بين صحراوات، جعل شعبها محصوراً أسيراً فى مواجهة الظالمين من حكماء، أما توزيع المياه فالتقضى وجود سلطة مركزية شديدة البطش .. لترضى الناس بطشها لتنظم لهم أمور حياتهم، الأمر الذى جعل الفرعون إلهاً بعد، فما بالك بالطاعة !!.

لما المحللون قد أراحوا أنفسهم وضمائرهم، وعقولهم أيضاً، وخرجوا علينا بنظرية رد الفعل الوقتى، وقالوا إن الزراعة قد جعلت الشعب فى مصر شديد المحافظة (وهو لفظ رقيق يصف الجمود والرجعية ولتمسك بالسلوك القديم)، وبنوا على ذلك - فى نظرية رد الفعل - أن شعبنا لا يعرف إلا الغضب الوقتى والانتفاخ الموقوت (نسبة إلى القنبلة الزمنية) اللذين يتفجران بين الحين والحين فى درب استسلامه الطويل جداً، وعلى محطلات شديدة التباعد.

وكان للسلطة رأى ثالث.. إذ تبنت دوماً نظرية المؤامرة الخارجية والعناصر المنسمة والأفكار المستوردة (١١) وكلها لتباج تسارع السلطة بتفهمها بالتفريز بالشعب المعامل الصبور.

إذا قلت للمتقين، أن شعبنا عرف التمرد والفعل الصالحين والثورات، قالوا: 'مطهش'، أنه الاستثناء الذى يؤكد خضوعه وتأليهه وملييته فى مواجهة السلطة، ولا ينفى القاعدة... إذا قلت للمحليين: إن شعبنا أثبت فى لحظات كثيرة أنه مع الجديد والتطور والتحديث، قالوا 'مطهش'!! أنظر، إلى أدوات الزراعة، إن فلاح اليوم مازال يتعامل مع أرضه مثلما كان جده الأعلى يتعامل معها، والنيل — بعده — وأيداً لم يقطع بعد فى حجر مصر.

وإذا قلت للسلطة: هل من المعقول ألا يدعى إلى التغيير فى مصر إلى الديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، إلا للعلاء والمنتمون، ولصاحب الأفكار المستوردة (نحن نؤمن جداً باستيراد نتائج فكر المجتمعات الغربية، من أدوات ومكينات تسليية، ولا نؤمن باستيراد الفكر الذى صنع هذه الأدوات والمكينات والتسليية!!) إذا قلت ذلك، قالت السلطة 'مطهش'، القاعدة العريضة سليمة، تحول إثارتهما قوة ضالة (مضلة فى لصن الأحوال)، متاجرة بالآلام الكادحين، وبمشاكل يرثها كل عهد من العهد الذى يسبقه.

هكذا ارتاح المتقنون، والمحلون وحلوات السلطة أن تستريح.. ولدت 'راحة' الثلاثة إلى أن نلت الحقيقة فى الأراج.. لأراج العبارة وأراج المباحث العلمية!!!

هل نوقف الحقيقة!!!

فلنوقفها..

ليست الحقيقة هى ما قاله المتقنون.

ليست الحقيقة هى ما قاله المحلون.

وليست الحقيقة هى ما ترددده السلطة.

الحقيقة لا تنفى إلا فى ركاب العلم.. وتأتى كلا، يرفض أن تلتقط منه — حسب النوايا — البعض وتتلمس البعض، العلم لا يقل الانتقاء، فليست هناك ظاهرة لا ترتبط بغيرها من الظواهر، تؤثر وتتأثر.. لكنها فى النهاية تحل من الدخل مهما كانت قوة العناصر الخارجية المؤثرة.



الإنسان يستغل طاقة عدونه في التنافس، والتفوق، وتحقيق الذات.. إنها طاقة خلاقية.. لما إذا اختفت هذه الطاقة الخلاقة، صارت خلاقية.. وعبرت عن نفسها بالعنف الجموح، العنف الذي يتفجر بسبب واضح، لكنه يتفجر — أيضاً — بلا هدف واضح.

وشعبنا عرف العنف الخلاق.. عرفه في ثورته على المماليك، التي أدت إلى "المجانا كلونا المصرية" ١٧٩٥م، تلك الوثيقة التي حددت العلاقة بين السلطة وبين الشعب (بمفاهيم عصرها)، قبل وصول الحملة الفرنسية (التتورية!!!!) وعرفه في ثورة القاهرة الأولى والثانية ضد فظائع الاحتلال الفرنسي (التتورية!) وعرفه وهو يخرج قلوب المرتزقة الذين جاؤوا مع العثمانيين وأرلوا مصر المحررة نهية عثمانية من جديد، وعرفه مع عرابي العظيم، وعبدالله نديم المتف لكامل، ومع ثورة ١٩١٩م التي استمرت سنوت خمس (هل تتصورون!!) وعرفه في انتفاضتي ١٩٤٦م (حركة العمال والطلبة)، وعرفه في مقاومة بلوكات النظام لجيوش الاحتلال البريطاني في الإسماعيلية ١٩٥٢ وفي مقاومة العدوان ١٩٥٦م، وفي بناء السد العالي (عنف خلاق للإرادة المصرية في مواجهة إرادة الخنق الاستعمارية قلنا ح بنبي وأدى إحنا بنينا السد العالي)، وعرفه في عبور قناة السويس وحرب أكتوبر الخالدة، وفي حركة الطلبة ٦٨-١٩٧٧ قبلها التي كانت أول جسر — حركة الطلبة — لهذا العبور العظيم.

وشعبنا عرف العنف الجموح في حريق القاهرة ١٩٥٢، وفي غضبة يناير ١٩٧٧، وقبلها في قتلهم بيوت المماليك ونهبها، وقتلهم وتشريدهم في فترات كثيرة.

شعبنا — إذن — عرف العنف، خلاقية وجامحه..

ولكننا لم نرد على السؤال الأول: متى تتحرك الجماهير حركة صليبية عنيفة!!! يستلزم الأمر أموراً ثلاثة: وعي كامل والوعي الكامل في لحظة تاريخية محددة، هو غضب يمتلك الوسيلة (وخل بالك من حكاية الوسيلة هذه)، الناس تعرف آلامها، لكنك لو كلمتها، فلجأك بسؤال: "وماذا فعل ١٢"، إن سؤالهم هذا بحث عن الوسيلة، فمعرفة الآلام والآمال هي الوعي المنغرس.. أما لكتمال الوعي فوأتى حين يرتبط الوعي

المنقوص بالوسيلة فيكمل (أو الوسيلة وطيفة المنقذين، بمعنى أن المنقذين هم المنوطون في كل المجتمعات بأن يطعوا الناس الوسائل التي تمكنهم من تحقيق آمالهم، بالضبط على السلطة طبعاً... — ليا كان المدى الذي يصل إليه الضغط وهذا يستلزم أن يكون المنقون أولاً، ملتحمين بالناس، يتعلمون منهم، ثم يبلورون ما حصلوا عليه، ويكتشفون الوسائل الممكنة، والتي من الممكن أن تصبح أدوات وآليات للضغط المستمر الفعال... لكن المنقذين أرحوا أنفسهم وضمائرهم وعقولهم أيضاً بل ولأيديهم التي فضوها من الأمر، مكثفين بمهجمة الشعب السلي في قدايمهم الخاصة!!!)، أما البعض منهم في الاتجاهات السلفية، ومن باب الراحة أيضاً، فقد تموا الوسيلة الخطأ، وهي العنف الجموح غير الخلاق، متصورين أن القوضى ستقودهم إلى كرامى الحكم أنهم يفضون الطرف عما حدث في السودان، وفي أفغانستان والذي يؤكد أن القوضى لا تقود إلا إلى قوضى لشدة، بعد أن تسقط فرضاهم الحكم للقاء ويتولون هم أمور الدول...).

الأمر الثاني بعد الوعي الكامل (الضبط + الوسيلة) هو لحظة التفجر، وهى لحظة تفوق لحدس من تصوروا من قبل أنهم سينجون، أى أنها لحظة — دقاً — ما تكون مسبقة، يصل شعبي علم وحركة ثقافية نابضة بالعنفون تؤدي إلى التفات علم، يكاد يؤتى ثماره، ولا تحدث في غيبة من الأحداث الكبرى... حريق القاهرة جاء بعد انتفاضة شعبية عظيمة ظن الناس أنها بضغطها المتواصل من ٤٦ إلى ١٩٥٢ سوف تحقق ما يصبون إليه، وحركة الطلبة جاءت بعد حلم عظيم تصور الناس أنه سيتحقق ثم فوجئوا بأنه قد ضاع من أيديهم.. حلم ثورة ٢٣ يوليو، وغضبة ١٩٧٧م جاءت بعد حركة الطلبة والفتب الديموقراطى الذى أحدثته في جدار النزعة التفاوضية، ذلك الفتب الذى أشعر الناس بأن السلطة قد تم أضعاف تشدها في مولجتهما فلما استأست، وتحشد الشعب كله، خرجوا ضدها، وكل حركات العنف الخلاق جاءت بعد نجاحات سابقة سرق بعدها الأمل أو حلول المتسلطون سرقة.

الأمر الثالث: هو إدارة التفجر فلا يكفى التفجر (وإلا كان العنف جموحاً) المهم أن يدرك هذا التفجر وإدارته تعود إلى التحقق بالوسيلة (الكتمال الوعى)، بالإضافة إلى برنامج للتغيير ينبع من الجماهير، وتصبح مستعدة للدفاع عنه، ولا

تهدم حركتها إلا بتحقيقه (أو على الأقل بتحقيق بعضه).

أمور ثلاثة:

وكلفت الأمور الثلاثة.. مكتملة في حركة الجيل الذي واجه عبد الناصر والسادات.. ولهذا نجح.

كان لديه وعى بالغضب وبالوسيلة الصحيحة.. فكان وعيه كاملاً.

وكلفت لديه لحظات تفجر، وهي محاولات السلطة لأن يعود الأمر كما كان، ورفضها للمشاركة غير الصورية.. وإصرارها على "التفويض" ولها التي ستحدد مسار التغيير واستغفه أيضاً، ولها صلحة الكلمة الأولى والأخيرة في القضية الوطنية، وفي أمور الحرب أو التراجع عنها (على شكل تأجيل مستمر ومبشرات لا ينفذ لها معين، وتسويق واضح للعيان).

ولستطاع الجيل إدارة لحظات التفجر باعتصاماته التي تتفاوض باسمه، وبلجاته الطلابية العليا التي تمثله، وبلجونه إلى حضن الجماهير في التحرير ١٩٧٢، وكل الأحياء في ١٩٧٣. ثم بتوسيع دائرة المعارضة عالية الصوت بضم الشخصيات العامة إلى الإيمان ببرنامجه، ولقناع القنابل بتبني أهدافه المستقاة من طموحات الشعب.

والآن تستكمل الخيط (ألمين أن يتضح لنا ما فصلناه في أمور التحرك الجماهيري وضوحاً تطبيقياً):

قلنا: إن مفاجأة غريبة كانت في انتظار أحمد شرف المتهم الأول في أحداث ١٩٦٨ فيبعد أن أفتح أحمد كامل بضرورة ربط الجماهير بالسلطة الثورية، لإحداث التغيير المطلوب أحاله السيد أحمد كامل إلى مجموعة من سكرتارية اللجنة المركزية (مسئولة عن النشاطات النوعية) كانت مكونة فيما يذكر أحمد شرف من عائل عبد الفتاح وعزت عبد القهي (لا أعرف أين أراضيه الآن)، وهشام العشري (يقال أنه أصبح من مريدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة المنورة الآن) ... وكمال قشيش (لمين عام لمئة الحكم المطي، بوزارة الحكم المطي الآن) وعلماس للدندراوي

(توفى إلى رحمة الله) وقد حاولت المجموعة المذكورة بكل طاقاتها وعنادها أن تجر أحمد شرف إلى الوراء، إلى الاستكفة التفاوضية (تمكين القيادة السياسية من الفعل السياسي الثوري في جو من الاستقار بما يعنى "بلا جماهير بلا وجمع دماغ"، "مال للناس وهذا الأمر الذى يخصهم ١١١١") وفى سبيل تحقيق الاستكفة التفاوضية تلك، راحت اللجنة تدرس كيف تمنع خروج مظاهرات الطلبة من الجامعة إلى الشارع بعد غد\* (السبت ٢٤ فبراير ١٩٦٨م....).

للحقيقة التى لم يذكرها أحمد شرف ولتى تحل التناقض، بين توجهات أحمد كامل ولجنته الخاصة المنبثقة من اللجنة المركزية للمنظمة (التي هو أمينها ١١)، هى أن كان هناك صراع خفى بين السيد على صبرى ورجاله فى المنظمة (وكان د. علال عبد الفتاح من رجاله)، وبين الأمين العام للمنظمة الشبابية أحمد كامل، (الم تلاحظوا أن علال عبد الفتاح قال لأحمد شرف قبل احتفالات يوم الطلاب العلمى، أن أحمد كامل غير موجود وأنه سيتصل بالسيد على صبرى فى منزله).

لقد كان على صبرى صاحب الاتجاه التفاوضى.. "بلا جماهير بلا بتاع"... يعدها فى ١٥ مايو ١٩٧١ تعجب على صبرى كيف لم تخرج الجماهير من أجل إعلانه ١؟، وكيف تنفست الصعداء عندما أزلحه المسافات ومجموعته عن السلطة، بالرغم من أنه كان يدافع عن الديمقراطية (كما قال)!!!!].

ولتترك منذ الآن وإلى غير عودة منظمة الشباب، فهى بصراعها الدلظى قد ارتضت مكافأ خلف الناس، حاولت منه أن تجرهم إلى الخلف، أن تجرهم من الرغبة فى المشاركة فى اتخاذ القرار إلى أرض الضياع التفاوضى التى لا تعرف إلا الانضاءات للفتنة، إلى هوية حقيقة لا يخفى منها أن سماها هوكل — ربما حتى لا يفت فى عضد الآمال الثورية — نكست ومنها نكسة ١٩٦٧م ...

#### • الآن يتكلم محمد فريد حسنين:

لنترك المنظمة وقد انفلتت منها الأمر، وانفلتت من مخططها للشارع، وانفلتت هى من يد التاريخ، لقد أصبحت خارج التاريخ، ذلك أنها اضطربت وهى تتخار بين التفاوض

الجيل الذي واجه رمضان جمال عبد الناصر والسادات

والسيطرة البيروقراطية (على صيرى) وبين إرادة الجماهير وحققا في المشاركة (الشباب ... هي التي كانت منظمة الشباب!!!).

وليضاً لنترك المنهم الأول إلى المنهم الثاني 'محمد فريد حسنين'.

لقد عاد محمد فريد حسنين من النمسا التي ذهب إليها عام ١٩٥٧م ليدرس الهندسة، عاد وقد جعلته الغربية أكثر انتماءاً لبلاده ولجمال عبد الناصر، عاد مشبعاً بمقالات محمد حسنين هيكل في الأهرام.

يقول: كنا طلابين من ٥٦ وكنا نظم بعد الناصر مرتين في الأسبوع على الأقل.. بيكلمنا.. بنكلمه"، ولقد كان هناك من يحاربون جمال عبد الناصر من الخارج "الإخوان المسلمون" بقيادة سعيد رمضان، حزب لتحرير الإسلامى والبعثيون، ونشطنا فى اتحاد لطلبة العرب لمقاومة هذه الاتجاهات وخصوصاً أن الشعب النصارى كان معجاً بجمال عبد الناصر، وكلما تكلمنا عنه قالوا: أنت مصرى؟!... ناصر.. ناصر".

وعاد محمد فريد حسنين إلى مصر فى عام ١٩٦٥، ولم يكمل الهندسة، ليلتحق بكلية الهندسة جامعة القاهرة وليصدم صدمته الأولى، بأن "الناس فى مصر كانت تشكو من مشاكل التطبيق الاشتراكى، لكن منظمة الشباب حلت لنا الإشكال، قالت: إن فيه تناقض رئيسى بيننا وبين الاستعمار التقليدى والجديد، وتتناقض ثاقوية بيننا وبين بعض (يقصد الطبقات فى مصر)، وأن علينا أن نهتم بالتناقض الرئيسى أكثر...، ومع هذا قبضت السلطة — بعدها بقليل — على من يهتمون بالتناقض الرئيسى، مجموعة أسموهم للقوميين العرب، وأسموهم الماركسيين، وقبضوا عليهم داخل منظمة الشباب، [هل تذكر الفصل الأول !!!].

كانت — تلك — هى الصدمة الأولى فقد كان شاهداً على وطنية وثقافة من قبضوا عليهم بحجة أنهم معادون للنظام!!.

يقول محمد فريد خميس: "قبضوا عليهم برغم أنهم حلوا أنفسهم — القوميون العرب — وانضموا للتنظيم المائيسى، وكان مسئولاً عنهم سلمى شرف". كانوا —

هؤلاء القوميون — زملاءه في هنتمة .. سمير حمزة، بهاء عبد الفتاح، عثمان عزلم، ويقول محمد فريد حسنين: "إن سامي شرف (وكلفت هذه المجموعة من رجاله، إذ كان يستفيد من علاقتهما في منطقة الشام في أمور يتم تنفيذها لعبد الناصر بطريقة مخبرية، قد لا يعلم عنها كل الرجال كل شيء) ذهب إليهم قس المسجون وضريهم عريانيين بالكرياج بنفسه، أزاى يبقوا رجالته ويعارضوا النظام!!؟ (حتى من دخله!!)، ولما كل الناس خرجوا من السجن صمم سامي شرف على أن رجالته يفضلوا محبوسين!! فرجالته إذا عملوا كده لا يمكن الغزو عنهم".

#### وجابت للنكسة.

ويقول محمد فريد حسنين كان عندنا سكشنيين ورش (أقل هنا عن تسجيل صوتي لمحمد فريد حسنين) نعمل شوية حاجات ونقعد نعط على اللي حصل للبلاد، وكان من ضمن اللي بيعملوا محمود كمال. خاله يبقى زكريا محيى الدين، وإبراهيم أحمد مكلو...".

ويقول: "استقلت من المنظمة (مثل كثير من الشباب ومثل هؤلاء الذين أعلنوا من جانبهم حل المنظمة التبشيرية، هل يذكر القارئ، ما جاء في الفصل الثاني؟) ورغم ذلك كنت أحضر اجتماعات وحدة كلية الهندسة!! إلى أن جمدها!!! قالوا مادام كل ما بتجتمعوا بتعملوا دوشة إنا ح نجمكم".

ويذكر محمد فريد حسنين اليوم الذى زارهم فيه د. حسين كامل بهاء الدين — أمين المنظمة حتى ٦٨ — ووزير التعليم الحالى، فيقول قالوا: الدكتور حسين كامل ح يجتمع بيكم، قلت موش عزيز أروح، أنا ما بعرض أسكت، لكنهم ضغطوا عليا رحبت، كل ما أكلمك عن النكسة، وضرورة مشاركة الناس في إحداث التغيير المطلوب هذا الكلام قبل مظاهر إلى الطبعة التى لا ينفك المطلون يكونون أنها كانت قد خرجت كرد فعل لأحكام الطيران!!)، يتسم الدكتور حسين ويقول: فريد منكّر بحكاية صاحبه قس كلية الهندسة: (يقصد أفراد التنظيم الذى قبض عليه بحجة معادلاته للنظام)، فرتبها مرتين، وبعدين ماقرتش أسكت، قلت له حضرتك ليه بتشوه مقصدي...؟ ليه، ما بترش على اللي با أقوله.. بعدها جه تليفون من مكتب جمال عبد الناصر، والظاهر إنه قال لهم

عاملوا شباب هندسة بمنتهى اللطف، فالدكتور حسين كامل بقى كويس معانا.

هل تذكرون أننا قلنا أن الشباب كان يهاجم نظم عبد الناصر ويستثنى الزعيم شخصياً ؟!

### • رُكِبَ شعراوي جمعة تخبط في بعضها!!

يقول محمد فريد حسنين: كانوا (يقصد المسئولين) يستغربوا إزاي إحنا ننتقد جمال عبد الناصر، شعراوي جمعة (كان وزير الداخلية جمال عبد الناصر) مرة قال لى: أنت بتتكلم عن جمال عبد الناصر، كده إزاي؟! ده أنا لحد دلوقت لما بيكلمنى الرئيس فى التليفون ركبى بتتخبط فى بعضها!!.. وكنا بنقول لهم زى ما ينسقف له، ننتقده ونشخط فيه كمان... " (هل ينكر لقاريه أننا قلنا أن العلاقة بين جولنا وبين جمال عبد الناصر كانت شديدة الخصوصية).

### • ثم نخل في الأهم:

عندما جاءت مظاهرات ١٩٦٨م (كان الشباب قبلها يتكلم عن التغيير علناً نقلاً همسات الليوت وصراخ قلبه إلى المسئولين، وكان الشباب قد عرف من حركة ١٩٤٦م. حركة العمال والطلبة (عن طريق قراءة ومن بعض القادة لشعبيين المطاردين وبينهم قيادات للحركة العمالية) كيف تكون الوسيلة مؤتمرات، إذا لم تصل إلى هدفها تحولت إلى مظاهرة، أو تحولت إلى اعتصام، فإذا لم ينجح الاعتصام فى تحقيق الهدف، خرجت المظاهرات، أى أنه حسب تحليلنا كان الشباب يملك وعياً، الغضب والوسيلة، ولما جاءت تصرفات السلطة مع العمال الذين خرجوا ينددون بأن أحكام الطيران الهزيلة تعنى أن السلطة، تد خلفة، وأنها لا تعد إلى تغيير حقيقى، جاءت لحظة التفجر (حسب تحليلنا أيضاً).

يقول محمد فريد حسنين مكمل ما بدأه أحمد شرف: تلى لاجتماع كلية الآداب (مدرج ٧٨ بكلية الآداب) دخلت شمال فى النظام، فى أفعاله التى أدت إلى النكسة، وفى ثرائهم أيضاً، تكلمت عن الغيالات لالى ورا الميريدان، (فبلا على صبرى وفيللى ينتسى جمال عبد الناصر الدكتور هدى والسيدة منى) ساعها كان كل الشهداء لالى مقوا فى ٥٦ وفى ١٩٦٧م، أمام عينيا .. واللى موتتهم الثورة كمان فى السجون والمعتقلات برضه كانوا أقدم عينى.. قلت: ضيعتوا القلب، وموتوا الناس، ولمسه قاعدين، وقرر المؤتمر أن

يكون لجنة من اثني عشر طالباً، من كل كلية اثنان، يروحوا يقابلوا جمال عبد الناصر؟ ويقولوا له مطالب الجامعة، وكونا اللجنة لأكثر منها رشيقي رفعت ودمسمير غطاس (طبيب أسنان يعمل في منظمة التحرير الفلسطينية الآن)، وعلاء حمروش، وفكر أنه ما كانش فيها بنات! .. وجلت مهام صبرى وشيبت في خروج مظاهرة (راجع الفصل القاتل)، والمظاهرة بقت تلف جوه الجامعة وتدد بالنظم.

بعد الاجتماع قالوا لنا أن وكيل الجامعة عايز يقللنا، دخلنا له (اللجنة المنتخبة) كان معاه د. طهمة الجرف (استاذ القانون في حقوق القاهرة، وعضو التنظيم الطلابي، تذكرونه جيداً صوف يأتي ذكره مرة أخرى بعد مظاهرات ١٩٧٣م) وقال لنا (وكيل الجامعة): إنتوا قلتوا، وقلتوا، قلنا له: إحنا ح نقبل جمال عبد الناصر، وح نقول له كل اللي قلناه، إحنا كنا عارفين إن ما فيش في إيده حلجة (يقصد وكيل الجامعة)، وطلبنا منه ورق وقلام عشان نصيغ مطالبنا اللي ح نعرضها على الرئيس، وفجاء صاح د. طهمة الجرف:

— بصفتكم إيه؟!

— بصفتنا جماهير الطلبة.. وممثلهم المنتخبين..

— إنتوا ما تزيروش عن ٣٠٠ وأنا مصوركم..

ساعتها سلله ولحد من المجموعة:

— هو سيداتك مباحث؟!

أسكتنا وكيل الجامعة.. وألقا ورق وقلام، وألقا لودة (كلفت مقر اجتماع اللجنة الطلابية العليا فيما بعد في اعتصام عام ١٩٧٢) دخلنا الأودة وقضنا نكتب، جاء عبد الحميد حسن (اتم تعرفونه)، قام الولاد عايزين يضيروا، أنا حُصت، وسابنا عبد الحميد، وخرج.

(بعدما اختاره جمال عبد الناصر ممثلاً للطلاب، ثم للشباب كله، لكن الطلاب كانوا يحبون لجمال عبد الناصر رداً صلياً على هذا الأمر كان لا بد وأن يذهله لقد أدخل ردهم مسلمي شرف وأوقعه في حيص بيص قلم يعرف ما الذي يقوله لجمال عبد الناصر ثم علم جمال عبد الناصر بما نبره له الطلاب قرر أن يمتدحهم لكن وقت هذا الكلام لم يحن بعد).



---

السادات يدخن  
الـ "كنت" في  
مجلس الأمة

---



### لمصر أربعة ثوابت .

وعندما نقول أن الثوابت لمصر ، فإننا نعني أنها لشعبها . . شعبها كله ، باختلاف طبقاته وعقده ( لا يشذ عن هذه القاعدة إلا أصحاب المصالح الوقتية للزخرفة والمؤنثة — وهم يشكلون طبقة وأنصارها من المستغلين في كل وقت بالطبع وهو شذوذ يؤكد القاعدة ولا ينفيها . )

هذه الثوابت الأربعة تولدت في كفاح طويل مرير ، تلا تخبطاً أطول وأمر ، إن ثلاثمائة سنة ، قد مرت منذ بداية القرن الثامن عشر ، ومصر — شعبها — تكتشف ثوابتها وتكتشف سبيلها للتمسك بهذه الثوابت وتحقيقها . . ( قبل وصول الحملة الفرنسية بمائة سنة على الأقل ) ، وثوابت مصر الأربعة كانت ومازالت هي الديمقراطية ، التحرر الوطني ، العدالة الاجتماعية ، الانتماء العربي .

هذه الثوابت يتفق عليها الجميع ، وإن اختلفت تصورات الجميع عنها — أيضاً — اختلافاً كبيراً ( كيفية تحقيقها ، والكيفية التي تكون عليها لحظة التحقق ، ومن هي القوى صاحبة المصلحة التي تريد وتستطيع تحقيقها ، ولمن الفائدة من وراء التحقق في المقام الأول ، وليس اختلافاً في الرغبة فيها والسعي من أجلها ، أو حتى تمنيتها ، وهذا أضيق الإيمان ) .

وهذه الثوابت — أيضاً — وبحكم التطور ، اختلفت تصوراتها لدى الجميع من عصر إلى عصر ( ولختلفت مسمياتها بالطبع ) ، فالتحرر الوطني مثلاً ، اتخذ عدة صور متعاقبة ، تحرر دخل الخلافة الإسلامية ، تحرر يعترض على الخلافة الإسلامية ( التي شاهدها قاعيل مستغلاها ) ، ويتمسك بالجماعة الإسلامية ( الروابط التي تجمع كل الدول الإسلامية ) ثم تحرر مصرى يعمق مقولة مصر للمصريين ، ثم

تحرر وطني لدخل انتماء عربي للغة، إسلامي للثقافة (تتأثر ثقافته بثقافة الآخر وأيضاً بثقافة الأقليات، التي يتضمنها نسجه، مثلما كان حال الثقافة الإسلامية منذ عرفها التاريخ، إلى أن عرفت التاريخ، إلى أن عرفناها هي التاريخ.. إلى أن عرفناها في ذمة التاريخ. تاريخنا المشترك في منطقة متصلة جغرافياً مهيأة للوحدة).

ومثل لتحرر الوطني اتخذت بقية الثوابت صوراً ارتقائية، ومسميات متوالية، بحسب الثقافات السائدة في كل عصر من تلك الصور.

قلنا أن هذه ثوابت الشعب، ولأنها شعبية ذات جذور غائرة في وجدان المصريين الجمعي، وفي نفوسهم، فإن هذا الشعب لم يعشق إلا من تمسكوا بها وحاولوا تحقيقها، ولم يعط ولاء إلا لمن أخلصوا لها، ولا دموعه في الجنازات المهولة الهائلة أيضاً. .

هكذا، وبها أحب الشعب شيخ العرب همام وتغنى بمسيرته.

وأحب عمر مكرم وسار وراءه.

وأحب أحمد عرابي (وكيل الأمة) وثار به.

وأحب سعد زغلول ومليقه ثائراً.

وأحب جمال عبد الناصر ثائراً بالنيابة عنه!!.

ثم أحب ألا ينوب عنه أحد ولا يفوض أحداً في أمور ثوابته، حتى جمال عبد الناصر بجلال قدره، أحب أن ينوب عن نفسه ولا يفوض من يحبهم. . أحب الديمقراطية لكثير من أحبائه، هكذا علمه الأحباء بتجاوزاتهم بل بسقطاتهم!!، وآه من طعنة للحبيب!!!.

وفي عجلة (بينما الأمر يحتاج إلى تفصيل ومناقشة ومراجعة للذات القومية وثوابتها التاريخية)، نقول: كانت مصر قبل القرن الثامن عشر مدينتين كبيرتين (القاهرة وبمباط) وأراضى زراعية كبيرة خاضعة لنظام الاسترقاق ولأن التجارة

كانت مزدهرة قبل اكتشاف رأس الرجا الصالح، وتحول طريق التجارة إلى طريقه، مبتعدة عن القنصل الإداري والأمن في نهاية عصر المماليك في مصر. أيضاً كانت قد ازدهرت بعض الصناعات، لم تشر المدينتان بالأم القلاحين تحت كراييج الاترلم، ذلك أن المتعلمين (المتقنين) منذ بدء التاريخ في مصر، كانوا ينفصلون عن قراهم ليعيشوا حول القصر (قصر أى حاكم) يصنعون حياتهم المعزولة، وقد انحصرت مهمتهم في خدمة تطلعاتهم الوظيفية وفي الحفاظ عليها وفي الخدمة العلمية ضيقة الأفق عندما يلجأ إليهم الأهل طلباً للعون في حل مشاكلهم (مشاكل الأهل) الإدارية الوقتية مع السلطات حولاً سلمية ولولبية أيضاً، بعدها، مثلاً قبلها، يبقى الأهل معزولين عن أبنائهم المتعلمين ويبقى المتعلمون معزولين عن أهلهم (وهو أمر ظل يضاعف المتعلمين والأهل، إذ أبقى المتعلمين بلا ظهر حقيقى من الناس، وأبقى الناس بلا طليعة، تستطيع أن تحول الوعي الغاضب من الاستغلال إلى وعى كامل يمتلك الوسيلة التي تحارب هذا الاستغلال (هل تذكر الوعي والوسيلة، من الفصل الفائت؟).

وقد دخل القرن الثامن عشر والتأثر التكريجى السلبى لاكتشاف رأس الرجا الصالح وتحول الطريق التجارى العلمى بعيداً عن مصر، قد وصل إلى مده قنصل الدخل العلم، ونقل الاهتمام بالزراعة ومشروعات الرى إلى حد لا يمكن قبوله . شئى واحد لم يتخلص، هو اهتمام خليفة المسلمين (العثماني) بخراج مصر!!!، ضارباً عرض الحائط بالوسيلة التي يجمع بها الخراج من المسلمين !! (ومن المضحكات المبكيات "وكم ذا بمصر ! .." أننا ظللنا ندفع هذا الخراج - الجزية !! - للحكم التركي الذي لم يرث الخلافة، حتى سنوات من حكم جمال عبد الناصر . بينما كانت الخلافة قبلها - بأكثر من ثلاثين سنة - قد تهاوت وشبعت موتاً!!).

ولأن الخليفة لم يكن يهتم إلا بخراج مصر، رأى شيخ البلد ( كبير المماليك المقيمين في مصر الخاضعين السلطة العثمانية المسماة جوراً بالخلافة الإسلامية)، أنه أهم من لوالى الذي يعينه السلطان من لدنه، والذي يلقى ويسروح قبل أن تسمح له منو الإقامة بأن تحو مصر في عينيه، وهكذا بدأ صراع شيخ البلد

والوالى، وبدأ صراع بين المماليك المقيمين أنفسهم على وظيفة شيخ البلد، وكان الصراع على السلطة، ومن أجلها.. اشتدت الصراعات، بينما اقتصاديات مصر تنهار تجارياً وصناعياً وزراعياً، وتولد التجارى الأجنبى يزداد مستخدماً مسيحي للشرق التابعين لكنفس غربية (اشولم)، ويهود الشرق التابعين لأى استقلال لياً كان منبعه والذين حل لهم عبر التاريخ أن يكونوا أدوات ظلم للأغيار من غير اليهود، دعم له متخذاً من القاهرة، والإسكندرية (التي بدأت تلخذ وضعها) مستقراً له وللوثبة الأجنبية المزمعة، التي راحت تهدد لها الإرساليات التبشيرية المنتشرة فى عسوم قطر - كاتوليك ثم بروتستانت - ويخلصه فى صعيد مصر.

ولستخدم المماليك فى صراعاتهم على وظيفة شيخ البلد، وفى تأكيد سلطاتهم فى مواجهة والى العثماني، عرب مصر (البدو) المقاتلين، وخطوا الصعيد ملجأ لهم ومكناً للتفضاض من جديد حيث توجد القبائل التي لم تعرف كبدو الشمال لشرقي، خير الزراعة الصميم فى الوجه البحرى .

ولأن الخليفة أيضاً لم يكن يهتم إلا بخراج مصر، بدأ معدل تغير الملتزمين الزراعيين يتزايد، فالذى كان يعد بزيادة فى خراج منطقة، كانوا يعزلون غيره ويولونه ويلتزمها، ويزداد ظلماً وجوراً.

هكذا تحدث آلام المدن والقرى حين تشتد العسف على التجار والمتعلمين (وأغلبهم من الأزهريين)، متكما كان التصرف زائداً على الفلاحين فى كل القرى المصرية.

وهكذا أيضاً قويت شوكة عرب مصر (بدوها)، وبعضهم كالهوارة لبقى على صلاته البدوية، وحصل على الالتزام الزراعى ، - أى أنهم تملكوا الحسنيين، القوة المسلحة، والسيطرة على خير الوادى الخصيب. ومن هؤلاء الأخيرين ظهير شيخ العرب همام.

تدخل شيخ العرب همام وهو من الهوارة - برجاله المقاتلين الأشاوس فى صراع السلطة فى القاهرة، واستقبل الباكوات لاثنتين به، يستعينون بقوته

— ويقولته — على الغرماء واكتشف المستور فصطلت الهالة المقدمة للخلافة وبيان الأمر أمر خراج وحسب، ففكر الشيخ همام بأن يمد حدود التزامه ثم انتهى به التفكير الى الاستقلال بالصعيد، على أن يدفع خراجها، (وكان الصعيد وقتها متقدماً تجارياً وصناعياً وله علاقات مثمرة مادياً مع أفريقيا).

هكذا بدلت فكرة الاستقلال، أو التحرر داخل المنظومة الخلافة، أو منظومة الخلافة، والحق أن شيخ العرب همام أظهر براعة شديدة في إدارة أمور الصعيد. . مظهراً جلياً للديموقراطية وجنيئاً للعدل الاجتماعي، جعله أسطورة وموالاً شعبياً يتفنى به الصعيديون حتى اليوم.

بعدها، قاد على بك الكبير الشيخ همام، (وخل بالك من قلد هذه)، وأعلن وهو "شيخ البلد" استقلاله بمصر. . واستخدم السلطان العثماني (خليفة المسلمين!!) الخائن محمد بك أبا الذهب لضرب الاثنين: على بك الكبير وشيخ العرب همام. . (ضرب للنزعة الاستقلالية). واستخدم كبار قواد جنده العثمانيين، لضرب المماليك في رحلات متتابعة، أثبتت في كل مرة شيخاً للبلد في مواجهة بقية المماليك الطامعين المتصارعين على المشيخة (الأمر الذي استمر إلى التسعينيات من القرن الثامن عشر.. قبل مجيء الحملة الفرنسية بسنوات قليلة، وكان من الممكن أن يستمر لولا أن جاءت الحملة).

هذا الاضطراب الشديد أدى لظهور قوة "مشايخ الأزهر" متقوى العصر وتدخلهم في الحياة السياسية كزعامات للناس الذين لم يعودوا يطبقون صبراً على الظلم الجائر والفساد الإداري المتفشى. هذا التدخل الذي انتهى إلى وثيقة بين الحكم والمحكومين عام ١٧٩٥م سميت (الملجأ كارتا المصرية)، كان المشايخ فيها مسئولين عن الديموقراطية (بمواصفات عصرهم)، عن العدل الاجتماعي بلفظة عصرهم، بينما اخطأ لديهم. . وهم المشايخ — الاستقلال والخضوع للسلطة الدينية الأعلى (الخلافة).

وفي تلك الفترة انقضت الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م بصدمتها الكبرى

حضارة مظهرية وبربرية كلمنة، فبدأ عمر مكرم - الشيخ - الذي فر إلى الشام يدير مع العثمانيين (الذين استعناوا بالانجليز!!) عملية تحرير مصر . . وانكشف له المستور - وهو للشيخ - من أمور الخلافة الإسلامية!!.

لذلك، عندما تحررت مصر من الفرنسيين أراد عمر مكرم أن يستكمل تحريرها، وكان وقتها يحارب ثلاث دول عظمى، أرادت أن تترك الفرنسيين قسى مصر، وأخطأ عمر مكرم عندما كون لمصر جيشاً من المرتقة (لم يكن لمصر جيش منذ انتهاء عصر الفراعين، إلا من المرتقة) - وهكذا يأتي خطأ للشيخ متسقاً مع ثقافة وقته - وهكذا لمع نجم محمد على، الذي نقض أولاً على عمر مكرم ثم على المماليك . . ومع محمد على بدأت المسألة (التي يتكلم عنها المرتدون ثقافياً على أنها تكوين وبناء مصر الحديثة).

أراد محمد على استكمال مسيرة الاستقلال، بتكوين إمبراطوريته التركية الخاصة، عمد إلى تطوير الزراعة المصرية (ليتوافر لمشاريعه دخل كبير بحققها) وتطوير الصناعة العسكرية (لتحقيق مشروعه) واختطف في تطوير مصر نموذجاً شبيهاً بالنموذج الغربى (فرمى في الأغلب)، بينما كانت اليابان تصنع نموذجها القومى الخاص (هل حقق للنموذج اليابانى كل هذا التقدم لأنه خلص وليس صورة من النموذج الغربى!!؟! أظن ذلك، فإني أى محاولة للتقدم لا تتسق وثقافات الأرض الناشئة عليها محكوم عليها أن تبقى دقما بلا جذور، لو أن تبقى مثما يقول المثل العالى: "زى القرع يمد لبره" وهكذا يتمكن من هم "بره" من السيطرة عليها وأهم ما يريونه من سيطرة هو التحجيم)، وعندما قامت الدول العظمى قومة رجل واحد على محمد على، وأجبرته على التفرقع، نسي خططه فى تطوير مصر، وأغلق المصانع، وطارد العقدين من البعثات، ومنهم لو على رأسهم رفاعة الطهطاوى العظيم، لكن محمد على كان قد أخطأ خطأ عمر مكرم (وكلمنا الأمر انتقم القدر!!)، فإذا كان عمر مكرم قد كون لمصر جيشاً من المرتقة لودى باستقلالها، فقد كون محمد على جيشاً من المصريين . . لودى بأحلامه فى أسرته.. فمن هذا الجيش جاء أحمد عرابى . . ليقبض مرة أخرى على الثوابت المصرية، وكيلاً للأمة



يعاونه مثقف الأمة الأعظم عبدالله نديم، صلتحين "مصر للمصريين" (وايست لأسرة محمد علي وعملاتها من الشركس والأتركة، وايست أيضاً للباب العالي الذي لا يعترف بحقوق المصريين، ولا يهتم إلا بنتائج عرقهم من خراج الأرض).

ولأن عرابي تمسك بالثوابت المصرية كلها، ولم يفلت شيئاً منها.. لم تمهله الدول العظمى وسارعت بالتدخل والاحتلال، قبل أن يولد الجنين، وقلوبها للجنين مقاومة هي الأروع، ونهزم هزيمة العظماء، إلى حين، وكما انهزم أصبحت الأسرة العلوية (أسرة محمد علي) "مُشخِخة" في يد الانجليز.. حتى آخر مندوبيها في مصر، فاروق الأول ملك مصر وابنه الرضيع.

لكننا قلنا أن الثورة العربية انهزمت هزيمة العظماء إلى حين.. ذلك أنه من مدرسة الألفقي التي جاء منها عرابي ونديم.. جاء سعد زغلول قابضاً على الثوابت المصرية، (متخفياً من الحل الاجتماعي) جاء بتوكيل من الأمة. (جمع للشعب له الامضاءات وكيلاً عنه في بحث مسألة الاستقلال مثلما جمع عبد الله لنديم امضاءات المصريين من كل حذب وصوب لأحمد عرابي.. وقد لا نكون مغالين إذا قلنا أن الثورة العربية التي انهزمت ١٨٨٢، قد قلمت مرة أخرى في عام ١٩١٩) وسانده الشعب بثورة هي الأعظم، فلما نجح نجاحاً مذهلاً في المجلس النيابي، صمم على تهنة الشعب ليتحول من وكيل للثقلين إلى المفوض عن الأمة للهائلة، فالتهمز الانجليز الفرصة وقضوا على ثورة ١٩١٩ العظيمة، وعلى المجلس النيابي (في حلقة السردار) وعلى دستور ١٩٢٣ المستحدث، حلم الأمة المصرية بعدها بمنولات، بعد أن أغنى العمل به واستبدله "صنفي" بدستور ١٩٣٠. الذي أضعف دور الأمة. وغالى في دور الملك بطلنته من الوزراء).

عاد الوفد — بعد وفاة سعد زغلول — وفاة من لم يع للدرس جيداً... — مرة أخرى بقيادة مصطفى النحاس يبحث عما كان في يده لو ما كان بعضه في يديه — الديمقراطية والاستقلال — محققاً بعض أسس الحل الاجتماعي (التعليم) موجلاً، كثيراً منها إلى أن سبقت الحركة الشعبية خطاه في انتفاضة ١٩٤٦م (هل تنكر ما

كتبناه عنها؟) ليعلوه الوفد محاولة للحاق بالحركة الشعبية في إلغاء معاهدة ١٩٣٦ التي وقعتها الوفد - نفسه - مع الإنجليز، وإعلان الكفاح المسلح أو مساعدته، ويزداد تجبر الإنجليز (فعلتهم المشينة ضد ضباط وجنود الشرطة في الإسماعيلية، التي تشبه فعلتهم المشينة في دنشواي وأفعالهم الشنعاء أثناء ثورة ١٩) وانتفاضة ١٩٣٥، فتحترق القاهرة ويحترق معها الوفد (خضع الوفد للملك وأعلن الأحكام العرفية لتقييد حركة الجماهير، صلباً جماهيره) ليجدها الملك فرصته في عزل الوفد، دون أن يجد الوفد من يبيكه وقتها (هناك من يبيكونه الآن!).

ثم يجيء جمال عبد الناصر وتغيض ثورته على الثوابت المصرية (مخفضة هذه المرة من الديمقراطية) وتحقق الثورة إنجازات كبيرة وعظيمة وتحقق كسلطة مآسى فظيعة ورهيبة، فيسهل الانقضاض عليها عام ١٩٧٤م (ليست حقيقة أنه قد تم الانقضاض على الثورة في ١٥ مايو ١٩٧١، فالذي تم وقتها انقضاض على رجال عبد الناصر الذين رآهم الشعب في ذلك الوقت أسوأ من ثور السادات شخصياً، وقد كانوا أسوأ منه في سنوات حكمه الأولى بالفعل)، دون أن تجد قوة شعبية كافية تقف من أجلها فقد كانت للثورة قد عودت الشعب على أنها تضرب اعداءها، وتضرب أصحاب المصلحة أيضاً إذا أرادوا المشاركة في حماية مصالحهم! أضف إلى ذلك، أن التفويض الذي عودوا عليه الشعب يسمح لمن يمسك بمقاييد الأمور بأن يركب أي موجة، وقد لعب السادات على الناس لعبة الديمقراطية فلم يعرفوا أنها لعبة وشربوها...، ذلك أن السادات وقتها رفع شعار الديمقراطية (لنخلص) مرحلياً كما أشار عليه محمد حسنين هيكل، ثم أظهر أنها فيما بعد.

هذه المعجالة (وإن بدت مطولة) ربما تكون قد أظهرت لنا رحلة الشعب مع ثوابته الأربعة ومع من أحبهم ممن أخذوا الكل أو لأغلب هذه الثوابت المصرية تلك الثوابت التي تأكد لنا أنها تؤخذ ككل ولأن التضحية بواحد منها يهزم الكل، مهما حسنت النوايا، ومهما بدت لنا - وهي حقيقة - عظمة للقادة المستمسكين بها.

ربما بهذا الوعي (الوعي بضرورة اكتمال الثوابت المصرية حتى لا تنهزم

من جديد ولجہ الجيل جمال عبد الناصر، ولجہ السادات.. مصمماً على الاستقلال (التحرر) والديمقراطية (حرية الرأي والمشاركة ورفض التقييد) والعدل الاجتماعي (الاشتراكية) والانتماء العربي تحقيقاً للأمن القومي المصري (خلى بالك من كلمة المصري هذه)، وتحقيقاً للحلم العربي التطوري التلقائي في عالم لا يعترف بغير الكائنات الكبرى.. كل هؤلاء معاً، فهم معاً مصر الحديثة القوية المتناغمة مع عصرها، والتي لا يمكن هزيمتها ولو أراد الظالمون.

لكن حركة ٦٨ انطلقت من مواقع مختلفة فكرياً.. من مواقع ترى ضرورة تطوير النظام، ومواقع فكرية أخرى ترى أن لا بد وأن يتغير النظام (بالضغط الشعبي) لتحقيق الديمقراطية رافعة للشعار الجميل (لا شرعية بدون ديمقراطية)، لهذا كان شعارات ١٩٦٨ خليطاً من الثوابت المصرية الأربعة كلها.

والآن لنترك هذه الثوابت قليلاً، سوف نعود إليها سريعاً، ولننتظر أننا ما زلنا مع محمد فريد حسنين، الذي وعدوه أن تقابل اللجنة المكونة من اثني عشر طالباً من مختلف الكليات جمال عبد الناصر.

يقول محمد فريد حسنين:

كانت إجازة عيد الوحدة (كانت مصر ما زالت تحتل بعيد الوحدة رغم الانفصال)، قابلنا الدكتور مرمي مدير الجامعة وكان رجلاً محترماً ووقوراً وعظيماً قال لنا: عربيات الرئاسة ح تيجي تآخذكم، لكن فجأة جه دكتور لبيب شقير (وزير التعليم وقتها)، علاء حمروش رحمه الله بدأ الكلام معه، وشرح مطالب الطلبة، ولما قلت: أنا فريد حسنين قال لي بلهجة خاصة، أهلاً يا سي فريد أنا عايز أسمك (من سمات ذلك العصر أن المسؤولين فيه كانوا يشعرونك بأنهم يطمون عنك كل شيء.. طبعاً يفرض إرهابك، لقد كان المسؤولون يخافون - هم أنفسهم سطوة المخابرات القاهرة، وكانوا لهذا يتمنون قاهرهم عند التعامل مع غيرهم، وهذه أهم خصائص الديكتاتورية حتى وإن كانت ثورية!!!) وقلت: أنا باعتبار أنني حصل ده حاجة إيجابية والشباب عايز يشارك (خلى بالك من الكلام

لكي نقتل رجوعنا إلى المحللين حصى النية!!). ويقترح أن حد ييجى من النظام يوم السبت يقول للناس إحنا متغهمين مشاعركم، وقلوبنا معكم، وسيتم التغيير الذى تريدون (مرة أخرى خل بالك من الكلام... للمشاركة والتغيير).

ومرة أخرى فلجاهم د. لبيب شفيق..

— أنتم لا تعبرون عن الجامعة، أنتم لستم اتحادات الطلبة، أن يتم مؤتمر يوم السبت (هكذا!!)، بالأمر!!، إفتوا تروحوأ وده أحسن، ومش وقت اللي إفتوا بتعملوه ده (دائماً الوقت لا يكون وقت تدخل من الجماهير، فأوقفت الثورة كلها كما قلنا — وحتى الآن — أوقفت عصبية واعدلواها دقماً متربصون، ومنعطفتها تاريخية!!)، وبعد أربع ساعات مناقشة، صمم فيها على رأيه، قلم يمشى، اعترضت طريقه:

— أنت رايح فين؟، وليه التعالى ده كله؟، إنت وزير نكسة!.

(كان يقصد أنه كان عضواً فى وزارة النكسة).

— موسى ديوان مش ح يقرر يكثرنا بيلدنا ولاظاهر أن أنتم ح تقررأ.

(الحكومات الديكتاتورية تظن أن كفر المواطنين ببلادهم، يريح دماغهم، ويطلق يدها.. ولا تعرف، أو هى تعرف، أنه المفجر للعنف، ولعمل الأكر فى استشرائه، وربما — أيضاً — تتصور — هذه الحكومات أن العنف أرحم من المشاركة، فالعنف فرصتها فى إسكات كل الأصوات من حولها، لأنها تقاوم العنف!!، إنه بيت جحا للشمولى... لكن الحكومات الديكتاتورية لا بد تنفع للثمن).

— لو كانت السفارة فى بيروتكم نقصت رغيف كنتوا تغيرتم ، إنت عارف إيه

اللى ح يحصل يوم السبت!!؟ لو كنت عارف ما كنتش تتصرف كده.

وبالطبع لم يرسل النظم لحداً يوم السبت وخرجت المظاهرات العارمة مظاهرات ٦٨، أخرجاها من صمم وزراء النظم، وأصاره فى التنظيم الطلابى على أنهم لا يمثلون القاعدة الطلابية!!، فشل النظم فى احتواء الموقف.. لماذا؟ لأنه أصر على التفاوض (إحنا ح نعمل للي إفتوا عايزينه ويلاش تتكفلوا احسن أعداء

للثورة تستغل الموقف) ولأن الشباب أصر على المشاركة، التي يعبر عنها محمد فريد حصنين بقوله "أما كنا بنقول عاززين ديموقراطية حقيقية، كنا بنقول بكده كل حاجة (خل بالك أن الشباب كان يعرف بأن جمال عبد الناصر مستمسك بثوابت مصر كلها ما عدا الديمقراطية، وهذا يشرح كلمة محمد فريد حصنين).

وهكذا لم يرض النظم بالنظام، دفناً رأسه في الرمال، وكانت الرمال هي زمة بأن قادة الطلبة الذين أقرزتهم الأحداث والمؤتمرات لا يمثلون الطلاب، مراناً رماناً خاسراً بأن شيئاً لن يحدث وأنه — بذلك — يكون قد نخلص من الأزمة كلها.

هكذا نحل النظم في الأزمة كلها.

#### • السر الرهيب عند الدكتور أسامة:

قصة — أخرى — طريفة يقصها محمد فريد حصنين . . وفي طرائفها دلالتها.. يقول:

"خرجنا من اجتماعاتنا مع د. ليبيب شفيق، ركبت عربيتي، وبينما كنت أمر أمام مقر لجنة الاتحاد الاشتراكي بمحافظة الجيزة ، وجدت عربة د. أسامة الخولي راكبة أمامها، طلبت من الفرش أن يبلغه بأنني أحتاج إليه (كان د. أسامة الخولي وكلياً لكلية الهندسة، وعضواً بالاتحاد الاشتراكي، وبعدما صار مستشارنا التقافي في موسكو).

خرج لي للدكتور أسامة، بدأت أشرح له ما حدث، فقال:

— روح دلوقت وتعال لي البيت (صباح يوم ٢٣ فبراير ١٩٦٨م).

رحت له الصبح، قال لي: هناك اتجاهان لدخل النظم، اتجاه يؤكد ضرورة لضرب بيد من حديد ونار على أيدي من يريدون المشاركة بالرأى في صناعة مستقبل بلادهم، وتصحيح أخطاء النظم، بحجة أنه "مقيش وقت للكلام ده" (كلمتهم للخالدة) واتجاه آخر يرى أن الطلبة معزورون، وأن السلطة يجب أن تعملهم

بـ "الراحة" وتسمع لآلى عزيزين يقولوه، لكن الخوف إن المظاهرات تجعل أصحاب الرأى المتشدد، أعلى صوتاً من غيرهم وتعطيهم فرصة لرفض للتخيير، الذى يسعى إليه المستبثرون فى النظم، ويكادون يصلون فيه إلى نتائج فى صالح البلاد، وهكذا مستغلون بحركتكم (الطلائبة) عملاً يتم لمصلحة مصر الآن، والموضوع مش لعب عيال... ده مصير أمة!!!.

طرافة هذه القصة تكمن فى مداراة مسألة التفرير... إذا سكتكم سيتم عمل كبير لمصر، وإذا تكلمتم سيعاند النظم وسيسمع رأى أصحاب الموقف المتشدد داخله، أما الرغبة فى المشاركة (وكننت بعد سلمية) فهي "لعب عيال"!!.. أما دلالة القصة فترينا أن الحزب الشعبى (الاتحاد الاشتراكى العربى) كان يدعم الفكر العسكرى فى إدارة شئون الأمة، (فقد الوحدة العسكرية مسئول عن توفير احتياجتك المعيشية وعن قيامك لكن أن تطلب شيئاً بنفسك فهذا يعرضك للعقاب، بل لمحكمة عسكرية).

هكذا يدير العسكريون الأمور.. فى السلطة وفى التنظيم الشعبى أيضاً!!!.

والأكثر طرافة، أن محمد فريد حصنين، اختر دلخله، وكان امترازه دليل براعة سياسية.. يقول - بشجاعة الصديق -: "رحت يوم السبت للكلية، وفى ذهنى أن لا شأن لى بأى شىء... حاول الطالبة معى أن تكمل ما بدأناه.. قلت.. ماليش دعوه.. قلوا لى أنت وانت!!، وفجأة تقيت الولاد من كلية العلوم كسروا باب للكلية، وخرجوا بمظاهرة، كان بقودهم طالب للأسف لا أنكر اسمه (لخوته لديهم محل فول فى الحصين) ... حصيت ساعتها أن المجموع رأيهم أصبح.. وأفضل من رأى الفرد، قلت للدكتور أسامة الخولى والدكتور محمود شريف وكنا يقان فى حوش الهندسة:

— لنا من دلوقت ح تصرف من دماغى.

(كان يقصد ضد الأوامر للتنظيمية للاتحاد الاشتراكى، ولتى جاء الدكتور محمود الشريف (طبيب.. ووزير الحكم المطلى الآن) إلى حوش كلية الهندسة غالباً

للاشراف على تنفيذها.

ويستطرد محمد فريد حسنين: وجريت وراء المظاهرات!!.

هكذا حسمها الطلاب العادى وسبق قيادته.. بينما السلطة تراهن على أن للقيادات لا تمثل جموع الطلاب، وأن المعارضين عدد محدود، لقد صحت السلطة من غورتها فإذا المعارضون يملأون الشوارع صخياً، وشعارات تهدف بسقوطها، وغضباً تفجرت منه الصدور.

كتب رماح أسعد فى كتابه "سطور من يوميات الحركة الطلابية المصرية ١٩٧٨-١٩٧٣" ص ٣٣، وما بعدها).

كالميل تتحقق الجموع الساخطة (من جامعة عين شمس)، والسخط جاء من أن السلطة لا تريد أن تنقاهم مما يشي برغبتها فى إبقاء الأمور على ما هى عليه (دون تغيير) إلى ميدان العباسية فشارع رمسيس، فمنطقة وسط البلد..

ومن جامعة القاهرة تنطلق المسيرة فى اتجاه كوبرى الجامعة ومنه إلى شارع قصر العيني ليجتمع الطلاب فى حلقة بلا نهاية أمام مقر مجلس الأمة .

ويقول محمد فريد حسنين: وصلنا مجلس الأمة، نظرت حولى وجنت أعداداً كبيرة (يقصد إعداداً كبيرة من المتظاهرين) بدأت أترعب وركبى تتخبط فى بعض.. لقد خرج العفريت فكيف ملتصرف فيه!!.

دخلت مجلس الأمة بمعلونة ضابط صحت فيه: لازم أقلل حد كبير، لكبير رأس.. بعد دخولى وجنت أقور السادات ومعه نوال عامر.. قالت له أنا عايزك تجيبلى ميكرفون لأم الناس دى كلها حول ورقة يوم الأربعاء (مطالب الطلاب.. هل تذكرها؟).. جابولى ميكرفون بعد ما عرفوا إنى من كلية الهندسة، وظهر السادات إلى جانبى فى الشباك وكان يدخن سجائر (لقد كان محتفظاً بالبايب لحنما يبقى رئيس).. واسه بتكلم، ولحد قال "كنت واقف جنبه ليه؟" وتصلح الطلاب فى غضب، وفجأة قال طالب لأقور السادات.

— أنت بتشرب كنت والناس مش لاقه تاكل؟؟؟.

نور أسرع بإطفاء الميجارة فصاح فيه الطالب فى غضب:

— وبتطفئها من نصها كمان؟؟؟.

فقر محمد فريد حصنين من الشباك بينما السادات.. يطلب من الطلاب تكوين وفد منهم يمثل الكليات المختلفة لعرض مطالبهم أمام مجلس الأمة (كان السادات رئيس مجلس الأمة وقتها، والذى غير اسمه فيما بعد إلى مجلس الشعب) مقسماً بشرفه أن من سيدخلون إليه لن يصيبهم أى سوء.. (بالطبع قبض على أعضاء الوفد المنتخب، عند فجر اليوم التالى، وكان السادات إذا ما أقسم بشرفه بعد ذلك وقد غدا رئيساً للجمهورية، يتساءل الطلاب.. أى شرف؟؟ شرف ٦٨؟؟).

يقول "رماح أسعد" وتشعب الحوار (داخل المجلس بين أعضائه ووفد الطلاب المنتخب) من أحكام الطيران إلى الهزيمة إلى الديمقراطية (خل بالك من الترتيب الذى وضع به "رماح" كلمته.. أحكام الطيران.. الهزيمة.. الديمقراطية.. (فأحكام الطيران كنت لحظة التفجر.. لكن لحظة التفجر هذه كان قد سبقها — كما وضحنا — غضب عرف الوسيلة، فأصبح وعياً متكاملًا.. والغضب هذا، هو الذى يحرك الجماهير، وإن احتاج تحركهم إلى شعلة للتفجر)، بعد التفجر، يعبر الغضب عن نفسه بالهزيمة وبالمطالبة بالديمقراطية.. هل غدت الأمور واضحة؟)، وانتهى الحوار بقيام رئيس المجلس بجمع أسماء وبيانات الطلاب!!، (تمهيداً للقبض عليهم تبعاً لشرف ٦٨!!).

ولم يكن حظ طلاب عين شمس أفضل من طلاب جامعة القاهرة الذين قابلوا السادات — يقول معتز حقلوى فى شهادته<sup>(٢)</sup>، أن طلبة عين شمس كونوا وفداً، ذهب إلى بيت الرئيس جمال عبد الناصر قابل الوفد السيد محمد أحمدسكرتير عبد الناصر، وسلمه مطالب الطلاب، فاستأذن السيد محمد أحمد خارجاً، ليعود بعد عشر

(٢) راجع شهادة معتز حقلوى فى الملاحق.



دقائق ويخير الطلاب بأن عبد الناصر، سيرد على هذه المطالب في خطبة جماهيرية عامة، وأنه - الرئيس - يعرف أن وطنية الطلاب هي التي دفعتهم إلى تقديم هذه المطالب له ، وهو بدوره يطلب منكم أن تعودوا إلى الجامعة وتخبروا الطلاب برأيه وتفضوا الاعتصام.. واستجاب الطلبة لمطلب الرئيس (كانوا يصدقونه!)، وعلوا منازلهم ليقيض عليهم في الفجر(!!)، بعد أقل من ١٢ ساعة من انتهاء لقاءهم بمسكثير الرئيس جمال عبد الناصر!!!.

وكانت هذه المرة هي المرة الأخيرة التي يثق فيها الطلاب بالسلطة (الرئيس لديهم حق؟).

### • وكانت النتيجة أن اشتمت المظاهرات:

في اليوم التالي كانت المظاهرات أعنف.

يقول رماح أسعد: في مظاهرات عين شمس بسقوط أول شهيد للحركة (مضروباً بالرصاص.. ولم يكن طالباً..) فحمله المتظاهرون مضرباً بدمائه إلى بيت عبد الناصر، رافعين شعارات الديمقراطية، وإقالة شعراوي جمعة وزير الداخلية (أعلن وزير الداخلية في ٢٨/٢/٥٧ عن عدم سقوط قتلى في الأحداث الطلابية (منتهى الصدق!!)، بينما أثبت التحقيق الذي أجراه فريد النيب وكيل نيابة شرق القاهرة واقتد أن الشهيد قُتل نتيجة إصابته بمقذوف ناري من عيار ٣٠٣ لي أمفيد، وأن المقذوف استخرج من رقبته، أي أن الطلقات لم تكن موجهة إلى الأقدام، كما أثبتت التحقيقات أن قوات الأمن أطلقت النار في المليان وأحدثت العديد من الإصابات بجموع المتظاهرين..).

لكنه برغم استئساد السلطة هذا، اضطر جمال عبد الناصر إلى التراجع لأول مرة منذ انتخابه رئيساً للجمهورية في عام ١٩٥٤، وخضع لمطلب الجماهير، وقرر إعادة محاكمة ضباط الطيران.. في محاولة لإثبات أن اعتراض الطلاب منصوب فقط على موضوع الطيران، وأن الديمقراطية - التي لا يقبلها - لم تكن الدافع وراء حركتهم! لكن الأمر لم يكن أمر محاكمة ضباط الطيران، كان أكبر من هذا (هل

تذكرون رندا على المحللين حصى النية!!) قلم يؤد رضوخ جمال عبد الناصر إلى توقف الحركة (أو كان الأمر أمر طيران "وخلص" لتوقفت المظاهرات بعد أن وصلت إلى غرضها، وتحقق لها ما تريده).

ولأن الأمر لم يكن أمر أحكام طيران و"بس"، استمر اعتصام الطلاب المحاصرين داخل هتسة للقاهرة برغم تراجع عبد الناصر وما أدراك ما تراجع عبد الناصر، مطمئن أن اعتصامهم لن ينتهى حتى تحقيق مطالب الطلاب.. وكانت للمطالب:

- ١- الإفراج الفوري عن الطلاب المعتقلين.
  - ٢- حرية الرأي والصحافة.
  - ٣- مجلس حر يمارس حياة نيابية سليمة.. (المقصود مجلس أمة حر!!).
  - ٤- إبعاد المخابرات والمباحث عن الطلاب في الجامعة.
  - ٥- إلغاء القوانين المقيدة للحريات ووقف العمل بها.
  - ٦- التحقيق الجدى فى حادث العمال فى حلوان.
  - ٧- توضيح حقيقة المسألة فى قضية الطيران.
  - ٨- التحقيق فى انتهاك حرمة الجامعات واعتداء الشرطة على الطلبة.
- والآن ملاحظة فى غاية الذكاء:

وبلاحظ د. أحمد عبدالله (أحمد عبدالله رزة كما كان ينطق السادات اسمه كاملاً، وكان قائد اعتصام جامعة القاهرة المنتخب علم ١٩٧٢م) أنه يتضح من المطالب أن ثلاثة منها تدور حول المسألة الديمقراطية، بينما تشير ثلاثة أخرى منها إلى غياب الديمقراطية فى الجامعة بوجه خاص، ويركز مطلبان فقط على قضية الطيران والأحداث التى أنت (قضية الطيران) إليها (الطلبة والميسرة فى مصر د. أحمد عبدالله. دار سينما للنشر ص ١٨٦).

برغم هذا أخذ المطولون حصنو النية للمطلب السابع (!!) وجعلوا الحركة كلها

رد فعل له.. مجرد رد فعل!!!!..

وانعد إلى الاعتصام فى كلية الهندسة، فقد استمر، وتبادل فيه الطلبة وقوات الأمن الحواراتارة وإلقاء الطوب وللقنابل المسيلة للدموع مرات، وزار المسئولون الاعتصام لإقناع الطلبة بفضه، لكن الحوارات انتهت بالفشل فلم تكن لدى المسئولين حجج قوية تبرر ما يحدث.. ولم تكن لديهم نية فى إذعان أكبر وقبول كل مطالب الطلاب التى تكور حول تعميق الديمقراطية، ورفض استفراد جمال عبد الناصر بالسلطة (وسعى الطلبة للجداد إلى المشاركة التى يجب أن تتاح لكل مصرى يريد أن يخدم بلاده برليه ويفعله الذى يحول الرأى إلى حقيقة، على أن يكون قادراً بمؤسساته ومنظمات المجتمع المدنى على أن يضبط ضغطاً مستمراً "سلمياً" حتى تتحقق هذه المطالب).



(٧)

غلطة عُمر جمال  
عبد الناصر



الديموقراطية . . هل هي - بالنسبة لنا - بيضة لديك !!!

فيما يبدو - وحتى إشعار آخر - هي كذلك !!

هل صارت المستحيلات - في زماننا - هي الخول والعفاء والخل الوفى ..

والديموقراطية !!!

فيما يبدو - وحتى إشعار آخر - صارت كذلك .

لقد غدت للديموقراطية ( ليمونة المحايه ، التي فيها الدواء والنجاة ، والتي هي أيضاً - بعيدة المنال ، بيننا وبينها دروب - وضروب - من لثيه والانتظار والأموال ) بيضة لديك ورابعة للمستحيلات... غدت كذلك ، ليس لأن السلطة الحاكمة لا تقبلها - كاملة - لنفسها ( عيب في حقها !! ) ولكن ( وهذا ما يؤسف له ، وما لا يمكن تبريره ) لأن المتقين أيضاً - كالسلطة - لا يقبلونها لنا !!!! ( وهذا هو السر في أن أحداً لا يدافع عنها الدفاع المرجو لا يضغط من أجلها للضغط المطلوب !! ) .

قد يصدمكم هذا الرأي . . لكنه للأسف - ليس بعيداً عن الحقيقة !!

متقوا اليسار . . ( بكافة اتجاهاتهم ودرجات ألوانهم ) يرى أغلبهم ( وليس كل من يرى يعلن ما يراه ) أن ظروفنا ما لم تتضح ! وعلاقات ما لم تفرض نفسها - بعد - على الواقع الاجتماعي - الاقتصادي ، لذا فنحن غير مؤهلين لممارسة ديموقراطية سليمة ( كاملة ) في مصر ، ( الأمر الذي يجعلنا نصيح صيحة قيصر في المسرحية لشكسبيرية الشهيرة ، وهو يتلقى طعنات رجاله وأصدقائه ومحبيه... حتى أنت يا هيكل !!!! حتى أنت يا أحمد بهاء الدين يرحمك الله !!!! )

متقوا اليمين . . ( إذا كانوا غير متطرفين دينياً ، غير سلفيين اتجاهاً ) يرون أنهم يجب أن يمارسوا الديموقراطية بالنيابة عنا ، فهم العارفون ، ونحن السامعون - الجاهل سياسياً ، الأمي في نسبة محيرة من أبنائه أصحاب المصلحة .

متقوا اليمين . . ( إذا كانوا متطرفين دينياً غير سلفيين اتجاهاً ) يرون أن

لديموقراطية لا تشبه للشورى القرآنية شياً إطلاقاً الأصل ، كما يرون أن الشورى الإسلامية نفسها غير ملازمة للحاكم، ولكنها قضية "قننلس" برأى العارفين، وهم بهذا — أيضاً — فى أفضل أحوالهم يريدون أن يمارسوها بالتبعية عنا (متلايين مع غيرهم من اليمينيين) بزعم أنهم أهل الحل والعقد .

متفقوا اليمين . . (إذا كانوا متطرفين دينياً . . . مسلفيين اتجاهاً) فإنهم يقررون فى عجلة مذهلة فى حصمها!! ألا ديموقراطية فى الإسلام ، فهى بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار !!

متفقوا الوسط . . (وهى تسمية خاصة فى مصر وحدها، فليس فى العالم من يمكن أن يتصف بهذه الصفة إلا هؤلاء الذين لا يملكون فكراً محدداً، أصحاب نظرية التجربة والخطأ — علناً، للمصلحة والمصلحة سرّاً، وهم متفقوا للحزب الوطنى الديموقراطى . اعتادوا واعتادنا منهم (منذ كانوا متفقى حزب مصر ، ومن قبله الاتحاد الاشتراكى العربى وتنظيمه الطليعى، ومن قبلهما الاتحاد للقومى وقبلهم هيئة التحرير) أن يتكلموا فى كل عصر عن تلك الإنفراجة الديموقراطية التى لم تحدث من قبل !! ولتى لا ينكرها إلا حاد، ولتى تضطربنا — إذا ما كنا منصفين — إلى تقبيل أيدينا وجهاً وظهراً، فليس فى الديموقراطية أفضل مما كان!!) ويكون!!) وسيكون!!) عندما يرى سيادة للرئيس أن الوقت مناسب لها... أما السلطة — بجلال قدرها — فنكتفى بأن نقول : " عندنا ديموقراطية "

### ❖ " ياعينى على الديموقراطية !! "

هكذا أصبحت الديموقراطية ( الحقبة ، غير الصورية ) الحسنة التى لا يطلب يدها أحد . . . وأين؟! فى مصر !!. مصر صاحبة أول برلمان فى الشرق كله (١٨٦٦م) ولول تجربة حزبية حديثة ( تعدنية ) فى الشرق الأوسط عام (١٩٠٧م)، ولول دستور عربى (١٩٢٣) ، ولول محليات ديموقراطية أيضاً ، ولول جمعيات أهلية وقوية ومهنية ، ولول حركة نقابية، ولول انتباهة إلى حقوق الإنسان فى المنطقة ، وكل ما سبق (وما سبق مصر للجمع)، هو دعامة حياة



ديموقراطية حقه (إذا أردنا) لكن المشكلة أن أحداً لن يريد.

### ❖ مأساة جيلنا .. المفاجئة!!:

وهكذا - أيضاً - تعلم جيلنا الكلام في ظل قانون الطوارئ الذي سنّه الوفد بعد حريق القاهرة، وحبا، وعاش طفولته واستقبل الصبا والشباب في ظل قانون الطوارئ الثوري (!!) وعاش شبابه وتسللت إليه الكهولة في ظل قانون الطوارئ الديموقراطي (!!) (في عصرى الرئيس السادات، والرئيس مبارك) .. فهل سيموت جيلنا في ظله أيضاً.. (لعل هذه هى قضية الجيل التى كتبت.. وهى بعد قضيتته الممتحة..)

فى مصر (وكم ذا بمصر . . . . .) بعد أن لُكِدَ عراقى (وكيل الأمة الذى كان يستقيها فى كل أمورها . . دخل بالك من هذه الجملة) أن الأمة مصدر السلطات كلها، وأكد عبدالله نديم، وليس كما يظن الكثيرون، أن المصريين جميعاً متساوون أمام السلطان، وأن الدين لله والوطن للجميع (قولة عبدالله نديم وليست أحداثاً لثورة ١٩١٩) فى مصر هذه حارب مصطفى كامل (الديموقراطى) للعربيين لأنهم ضد الباب العالى (الخلافة) والباب الوطنى (الخدوية)!!، وحارب وفد سعد زغلول الحركة العمالية المستقلة (غير الوفدية) الوليدة، ومؤسستها الجينية إذ كان يقودها البلاشفة (الماركسيون)، حاربهم حرباً غير ديمقراطية، فاستطاع الإنجليز والمرأى أن يحاربوا وفد سعد زغلول ومصطفى النحاس حرباً هى الأخرى غير ديمقراطية (انظروا كم من السنين استطاع أن يحكم فيها الوفد - مت سنوات من ٣٠ سنة، وتعجبوا).

وفى مصر أيضاً ظل جمال عبد الناصر يخشى أن تتساقط الثورة المضادة والرجعية المنتمرة - إليه - من ثقب الديموقراطية (وهو الذى حرم قواهم من العمل الميسرى، وطاردهم !!). وخشى السادات (الديموقراطى!!) أن يتساقط أصحاب الأفكار المستوردة يعيرونهم إلى جيوب أسرته الانتحائية والانفصاليين الاسرة!، فيخيفون رؤوس الأموال المصرية والأجنبية!! (كان السادات يخشى

الأفكار المستوردة، في عهد كان الاستيراد فيه على وده!! وأن يتسلل من يلبسون قميص عبد الناصر من نفس الثقب.. والآن في عهد الرئيس مبارك يخشى الجميع (فيما يبدو) من تسرب الإسلام السياسي من الثقب عينه (هذه هي الحجج المعلنة طبعاً).

فهل الحقيقة، أن الديمقراطية هي الباب الذي تكتئنا منه الريح والذي يجب أن نمده ونستريح !!

هل حقيقة أن الشعب الأمي في أغلبية لا يستطيع أن يمارس الديمقراطية ؟! وهل حقيقة سيكتئنا الإسلام السياسي المتطرف من ثقب الديمقراطية !!؟.

لم أن الحقيقة هي أن على المتقين ( أصحاب المصلحة ) وعلى الحزب الحاكم أيضاً أن يرجعوا أنفسهم في هذا الصدد ، ذلك أن الخطر يتهدد الجميع .. الجميع بلا استثناء .

إن الريح ستأتى من سد الثقب وليس من خلاله .

قول : رجعوا أنفسكم قبل أن تكتئنا للريح ..

### ❖ محاولة متواضعة لمراجعة للنفس:

منذ تعذ الوضع، بالنمو الهائل للإسلام السياسي السلفى المتطرف، زاد خوف جميع الاتجاهات الفكرية ( بما فيهم التيار الإسلامى السلفى المتطرف من الديمقراطية)، أصبح الجميع واثقين (عدا التيار الإسلامى السلفى المتطرف!) من أن الديمقراطية ستأتى بأصحاب هذا الاتجاه إلى رأس السلطة، ظانين — وبعض الظن إثم — أن حجب الديمقراطية سوف يحجب هنا الاتجاه، الذى إذا ما تمكك لن يبقى ولن ينز ( وهذه حقيقة)، ولم يخطر فى بال أحد (إلا القلة القليلة) أن الواقع يؤكد أن حجب الديمقراطية، يوجب سطوة السلفيين، فمن ناحية يوجد لهم من الفاضيين من الاستبداد (في شباب لم يفتح بعد على أمور الحياة، ولوصول الثقافة الحقيقية) جنوداً، يلقون بها فى فوهة العنف مشتعلة الأتون، ويجعل لهم من الناس، الذين يعانون

الأيام من تغير الأحوال إلى الأحسن في ظل احتكار شرس للسلطة، مدداً يفرح بما يفعلونه، ويؤيده سراً، على أسس مقولة شمسون الجبار "على وعلى أعدائي"، وهو من ناحية ثانية، يعطيهم — السلفيين المتطرفين — ما يبرر لجوئهم إلى العنف، في ظل سلطات لا تسمح لأى أحد بحرية التعبير، مستعدة دوماً لمصادرة الرأى (المغلول) إذا اقترب من المنطقة الخطرة التى يستطيع فيها أن يفضح حقيقة الفساد وتشابكاته التى تطول أفرادها، لاجئة فى كل الأوقات إلى قانون طوارئ استمر اعتقال المعارضين إذا ما وجدت لمعارضتهم تأثيراً، سلطة لا تقبل فى انتقامهم إلا الخضوع، ولا تتورع "داخيتها" عن ممارسة القتل، فلن لم يكن فالتنقيب المهيمن المدمر (لهذا يحاولون ألا يقعوا فى يديها، ولو أدى الأمر إلى قتل محلولى اعتقالهم إذا ما حاولوا، أو قتل أنفسهم إذا لم يستطيعوا قتل الذين سيعقلونهم) سلطة تصنع معهم ثأراً لا يخذل أوله بإهانة الأهل (وخاصة للنساء منهم) وتضييقهم .. سلطة تتورط — لبدأً — فى دائرة العنف والعنف المضاد المغلفة، ومن ناحية ثالثة، فلن حجب للديمقراطية يعطى مرتعاً خصباً، بل شديد الخصوبة للفساد، فلا يجد المتضررون، المتضررون ملجأ فى مولجته العنف، مستندين على الله أعدل الحاكمين!!!.

الحقيقة أن معارضى فتح باب الديمقراطية على مصراعيه، لم يفهموا درس الجزائر ولم يعوا درس "الأردن"، ولم يستوعبوا درس إيران، ولم يقرأوا تاريخ الديمقراطية البرجوازية فى المملكة المتحدة، وفى الولايات المتحدة الأمريكية.

إن تراجع السلطة العسكرية عن الديمقراطية فى الجزائر (والسلطة العسكرية فى أى مكان تقطعها دقماً) أغنى السلفيين من خطورة الفرصة المتاحة لاختلافهم مع الناس ومع مصالحهم، بل مع أنفص أمور حياتهم، ومقدرات مستقبلهم، وأظهرهم بمظهر الموتورين المظلومين، وأنظن — وليس كل الظن ثماً — أن السلطة العسكرية مدت فى أعمال الاتجاه، حينما حبيت فرصة أن يرفضهم الناس — بعد حين — الذين لم يقبلوا بتصويراتهم للغممة إلا هروباً من فساد السلطة

العسكرية، وإفسادها، وشراستها، وتكسبها على حساب الجماهير المطحونة. إن ما فعلته السلطة العسكرية خلط أوراق الحرب، فأصبح لكل جحاربون الكل، واستشرت للقبيلة "العسكرية" الدموية، وقد كان الوقت كفيلاً بأن يجعل الحرب تأخذ منحاًها الصحيح ضد كل أعداء السواد الأعظم من الشعب ..

لَمْ يحدث ذلك في إيران، إن الناس في إيران يرجعون أنفسهم علناً وفي غضب، في مواجهة سلطة لم تحقق وعدها "الريانية"، والسلطة — هناك — اضطرت إلى أن تتراجع نحو الديمقراطية (وكان من الممكن أن تتراجع قبل ذلك، لكن الخطر الخارجي، الذي قفمه لها صدام حسين على طبق من فضة، أطال عمرو ثيوقراطيتها)

إن الشعوب كحكلمها تخطئ، لكن أخطاء الشعوب (عكس أخطاء الحكام) يمكن تذركها.

وهناك تجربة أخرى في الاتجاه المخالف تمت في الأردن، لقد أعطى الملك "لداية" فرصته ضئيلة للاتجاهات السلفية لكي تعبر عن نفسها، وحين عبرت عن نفسها، اكتشف المخدعون "ضحالة" ما تملكه، وما هو ذا نورها يخبو بالتدريج، حتى لم يعد نوراً، (الاتجاه السلفي لا يملك فكراً، إن السلفية هي اللافكر المعتمد على نجاحات سابقة، مشكوك في بعضها، وعندما تحتك بالواقع — وتخرج من كهف التحريض — تصبح قليلة الحيلة، مثيرة للرثاء: ويصبح غضبها لله — الغنى عن غضبها — شيئاً آخر غير قيادة للشعوب في صالح السواد الأعظم .. فلم يحدث أن قنمت هذه الاتجاهات — غير شعاراتها البراقة — حولاً علمية لمشاكل أوطانها، بل للأمور التي يحرضون الناس ضدها، ولأنهم يستطيعون إلا إذا تخلصوا من أساس وجودهم، من السلفية نفسها، وأيقنوا أن صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان تعاني لتجديد الذي لا يخالف الإسلام الصحيح.. ليس في القرآن والسنة إلا توجيهات وخطوط عريضة تستلزم يوماً أن تطبقها نحن على متطلبات كل عصر).

ثم هناك درس الديمقراطيات البرجوازية، ومن يقرأ تاريخها يعلم أن الديمقراطية ما أن تبدأ، حتى تبدأ - أيضاً - في اصلاح عيوبها بشرط أن يتم تدعيم المؤسسات التي لا تقوم على غير أساسها للديمقراطية قائمة، وبشرط التراضي حول قوانين تنفع الديمقراطية نفعاً إلى الأمام مصلحة عيوبها، مكلمة ما فيها من نقص. أيضاً فإن تجربة الديمقراطيات البرجوازية ( التي تتضمن العيب المرتضى في أن تكون الديمقراطية برجوازية أى لصالح البرجوازية، وضد أقلية - دوماً - هي الايرلندية في إنجلترا والسود في أمريكا)، لم تشترط أبداً أفراداً شديدي الثقافة لممارستها، فليس المطلوب من الناس في ظل الديمقراطية أن يفهموا في الاقتصاد مثلاً يفهم العلماء، لكن المطلوب (وهو لابد متحقق) أن يكون الناس عارفين لمصلحتهم وأن يترك للعارفين فرصه ابداء آرائهم لإعلام الناس بالكيفية المثلى لتحقيق مصالحهم، ثم يترك بعد ذلك الخيار للناس. فإن اختاروا خطأ، لابد ستراجعون عن اختياراتهم التي لم تحقق المصلحة المنشودة.

دعوا للشعوب تخطئ وتتعلم من أخطائها، إن خطأ الشعوب ظاهر، أما أخطاء الديكتاتورية . فهي نخفية وإن ظهرت يتم تبريرها، بل أن الديكتاتورية تعتبر نفسها في خصومة لا تسامح فيها مع من يظهر أخطاءها، فليست على استعداد لأن يقتص أحد من احتكارها للنظرة الصادقة، فهو أساس احتكارها للسلطة.

المطلوب في بلادنا ألا نخاف من فتح باب الديمقراطية على مصراعيه.

الآن وليس غداً !!

مطلوب أن نفتح الفرصة أمام مجتمعات ومنظمات المجتمع المدني، للقطاعات، للروابط، للجمعيات، والمنظمات غير الحكومية، أن تكف يد المباحث عنها لتستطيع أن تقوم بدورها في إعلام أصحاب المصلحة بما يحق مصالحهم، دون التثاقب مباحثي مخبراتي، تحبه للديكتاتوريات ظاهراً - لتدعيم سلطتها - في الأغلب الأعم.

مطلوب ارساء دعائم " العلمانية" في المجتمع ( مع اعتبار أن العلمانية لا

تتعارض مع الإسلام، فأصور الناس دينوية، وأصحاب التنصيرات الخاصة للإسلام، في ظل الطمأنينة الديمقراطية، يصبحون أصحاب رأى وأصحاب فتاوى، تدخل جميعاً ضمن السياق الديمقراطي ومن خلال آلياته، فالرأى الخاص رؤية بشرية وليس حكم الله لو حكيمته (لأن لها أصول يهودية وليست إسلامية)، فرأى الله لا يستطيع أحد أن يزعم امتلاكه (إلا في الأصول وحدها) حكمية الله لا يستطيع أحد إسلامياً أن يزعم أنه يمثلها. أما بالنسبة للأصول فكل المجتمعات تتراضى لأشياء، حين تتراضى الديمقراطية ولا أظن أن تتراضى الأصول الإسلامية الحقة (وهي قليلة وعامة، ولمصلحة الناس مما بما لا شك فيه بما فيهم الأقلية غير المسلمة والتي لا يجب أن تلوح في وجهها تطبيق قانون الأحوال الشخصية الإسلامي عليهم) سوف يشكل أى عبء على الديمقراطية.

أيضاً مطلوب عزل السلطة التنفيذية عن إدارة الانتخابات، واعتبار التزوير جريمة منازلة العقوبة.

مطلوب السماح للأحزاب بالعمل الجماهيري (خارج مقارها) وعدم اعتبار العمل الحزبي تأمرأ "وتجاوزاً"، لأن العمل الحزبي في أخص خصائصه مؤامرة مقبولة ضد السلطة المطلقة.

مطلوب تحرير الصحافة من البيروقراطية (سطوة الصحفيين الموظفين) ومن الملكية الغامضة (التي يمثلها مجلس الشورى). تلك الملكية التي تقف حجر عثرة بتسلطها كواجهة للسلطة، في تعيين رؤساء التحرير وفي رفعتهم، وفي التقييد على الصحافة المملوكة للأفراد، الأمر الذي جعل رؤساء التحرير رقباء أشد صعوبة من الرقباء في العصر الناصري، إن دولة تخصص حتى قوت الشعب للضروري، ومستقبل صناعته الثقيلة، تحريك حين لا تريد خصخصة الصحافة وقنول التليفزيون والإذاعة.

مطلوب إلغاء القوانين والمعاينة في الدستور، فحين منذ دستور ١٩٥٦ المؤقت نعطى كل السلطة لرئيس الجمهورية، بينما لا توجد هيئة رقابية قضائية

تستطيع حتى محاسبة الوزراء.

مطلوب للفصل بين السلطات، فصلاً واضحاً.

ومطلوب ... أيضاً - أشياء أخرى يعرفها آخرون ولا أعرفها أنا.

مطلوب كل ذلك وأكثر لنسد بالديمقراطية الباب الذي تكئنا منه رياح الغضب

والعنف والضياع واللامبالاة.

مطلوب كل ذلك وأكثر حتى لا يظل علينا القرن القادم ليرانا ويدنا على نقب

الديمقراطية نسده ولا نستريح.

لقد كانت الديمقراطية هي قضيتنا مع جمال عبد الناصر ، الذي كنا نحبه ، .. (وهي بعد قضيتنا) إذ لم يكن من الممكن ألا يحب عبد الناصر جزءاً غائراً فينا .. إنه نفس الجزء الذي يحب فينا مصطفى النحاس وسعد زغلول وأحمد عرابي ونديمنا وعمر مكرم والشيوخ همام .. . الجزء فينا الذي يحب من يستمكون بالثوابت المصرية ، ولقد استمك جمال عبد الناصر بيد قوية على الثوابت المصرية، استمك بحرية الوطن كأدع ما يكون إذ ما استثنينا الفترة من ١٢ مايو - ٥ يونيو ١٩٦٧، التي أخطأ فيها لأخطاء قاتلة متوالية هدنت حرية الوطن، إلى أن أضاعت حرية جزء عزيز كبير منه، ثم كلفت الوطن، وأحلام البسطاء غالياً، إذ اضطر الوطن إلى إعادة بناء قواته المسلحة من الصفر مرة ثالثة على حساب التنمية.. واستمك جمال عبد الناصر وبأعلى درجات العدل الاجتماعي.. الاشتراكية (كما تصورها)، واستمك بانتماطنا العربي ، ثم أخطأ خطأ عمره، عندما خاف من الديمقراطية .. أخطأ لأنه لم يعرف أن الديمقراطية....، حتى وإن جاءت متأخرة، كانت هي عمره... (عمره المادى وليس المجازى - قسط - الذي يعنى اللخود، فلو لا غياب الديمقراطية، ماكان السادات ليأتى وما كان إذا ما فنى يستطيع أن يمشى على طريق عبد الناصر عكس الاتجاه ماحياً مكاسب أصحاب المصلحة التي دلوها ولم تترك لهم الفرصة ليدفعوا عنها ديمقراطياً).

### ونعود إلى المظاهرات التي تفتلت :

قلنا فى الفصول السابقة : أن المظاهرات تفتلت بعد أن صممت السلطة على ألا انتقام مع الشباب بحجة أن الآلاف الذين رأتهم السلطة يتظاهرون ويتصاحو ويعتصمون لا يمثلون الشباب . . . وهكذا خرج الأوف فى الشوارع منددين بالديكتاتورية والحكمسكرى . . "عزيزين حكومة حرة.. العيشة بقت مرة.. لا شرعية بدون ديمقراطية"، وقلنا إن عبد الناصر اضطر للتراجع أمام المتظاهرين ، وأعلن مستسلماً ، إعادة محاكمة قادة الطيران . . مصوراً - مثله مثل المحللين حصى النية ( هل تذكرون كلامنا عنهم ) أن القضية لا تحو كونها غضبة ضد الأحكام الهزيلة . . لكن برغم تصويره ذلك . . استمر الاعتصام فى كلية الهندسة . . ( الكلية المحسودة على دورها العظيم، فى كل الحركات الطلابية ابتداء من ١٩٦٨م ) .

وهنا نترك المهندس وأهل عثمان ( طالب بكلية الهندسة جامعة القاهرة - وقتها - وأحد زعماء التيار الدينى فيما بعد عام ١٩٦٨م ) يتكلم ( أسرار الحركة الطلابية ٦٨ - ١٩٧٥ ص ٢٦ - وما بعدها ) .

"استعانت قوات الأمن بسيارات المطافئ، لتفريق المظاهرات، التى كانت تنطلق من الجامعة بين الحين والحين . . وكانت إحدى السيارات تقف أمام باب الكلية (الهندسة) الجانبى، موجهة خرطومها نحو فناء الكلية، ولاحقت لنا فكرة سرعان ما خططنا لها وقمنا بتنفيذها ، بدأنا بتجميع كمية وفيرة مسن الأحجار ، وأخذنا نلقى بها بكثافة صوب رجال الإطفاء . وكنا نتكلم إذا ما أصاب أحدهم (يقصد أصيب أحدهم ) لكن ما باليد حيلة !! وفتحنا باب الكلية واتجهنا بقوة صوب السيارة فما كان من رجالها إلا أن فروا وتركوها غنيمة لنا ، لمطكت مجموعة من الطلبة جوانب السيارة، وساروا بها لدخل الكلية مهللين هاتفين وشعرنا بلذة الانتصار.

حاول عميد الكلية - وكان إدارياً ممتازاً - لكنه يفتقد حب الطلبة له - أن



يهدئ من ثورة الطلبة وانفعالاتهم وأنكر أنه في إحدى حلقات المناقشة صاح فسى للطلبة بتعال وعجبيه مؤكداً حقه في السيطرة السياسية ( على الكلية !!!! ) كحقه في إدارة الكلية ( يسيطر ميسياً - بلا ديمقراطية - مدام يحسن الإدارة . . أليس ذلك العميد عبد الناصر آخر على قده !!! ) . . واستنكر الحاضرون منه ذلك ، ورفضوا حديثه وتركوه وحده . .

استقر الرأي - وبموافقة اتحاد الطلبة على الاعتصام داخل الكلية (....) كان عدداً يزيد على خمسمائة طالب ، ولجئنا حرياً نضية عنيفة من قبل أجهزة الدولة والأهالي ( يقصد بعض أهالي الطلبة، فلم يكن حاجز الخوف قد كسر بعد ، وأقول بعضهم لأنه كتب في صفحة ثالثة عن إصرار الأهالي على دخول الكلية بسيارتهم حاملين معهم ما نحتاجه من الطعام ) . . . ونشطت حركة سريعة لتنظيم الاعتصام (....) وتم شراء كمية من القماش كتبتنا عليها الشعارات التي تعبر عن مطالبنا وملأنا بها سور الكلية [لنكر الآن وبعد مرور ثلاثين عاماً، منظر سور كلية الهندسة، لم يكن بعضنا من طلابها وكنا نمر عليه ركبين الأتوبيسات يذب الخوف بدخلنا، مما نحن مقنمون عليه، فيختلط خوفاً ببهجة علومة لما نسمعه من كلمات الركاب المتعاطفة مع شعارات الحركة كان ذلك يحدث قبل أن نغادر الأتوبيسات لنتمثل إلى الاعتصام المحاصر من قوات الأمن بالقفز على أحد أسوار حديقة الحيوان للدخول، إذ كنا نبقى في الاعتصام حتى الليل ثم نغادره حتى لا يقبض علينا لدخول الكلية ليلاً ولسنا طلبية بها!!] (....) . . كانت نتحدث عن الحرية المملوكة وضرورة الإفراج عن المعتقلين ، كما تضمنت الهجوم على الديكتاتور وصاحبه هيكل (....) ، وفي الساعة الثانية ظهرأ تم طبع بيان هندسة القاهرة ، وقمنا بتوزيعه على المارة في الشوارع ، وكلفت وسائل المواصلات نقف أمام باب الكلية ليقرا ركابها اللافتات ، وكنا نسرع بإعطائهم نسخاً من البيان إلى أن تنبثت السلطات (....) فصدرت الأوامر بتغيير خط سير المواصلات بعيداً عن شارع الجامعة.

وقد تضمن البيان " أننا جميعاً نقدر أهمية المطالب الحق التي نطالب بها ،

وثقة منا في أنفسنا وفي قدرتنا على التغيير فإننا نهيب بكم جميعاً أن تتبينوا ما تريدونه بالضبط (منتهى الديمقراطية)، ويجب أن يعلم كل حر فيكم أن الحرية تؤخذ ولا تعطى وأنها تقتصب ولا تمنح (.....) ولقد وجدنا ووجدتم معنا وخصوصاً بعد ما حدث اليوم بأن السبيل الوحيد إلى أن يسمع الشعب صوتنا، حتى يستطيع كل منا أن يأمن على نفسه في بيته ، في ظل دولة المخابرات هذه (....) ويجبر السلطة الحاكمة على احترام الحريات واحترامكم أنتم بالذات بصنكم قمة للطبقة الواعية في هذا البلد (....) " إن طريقنا الوحيد في تحقيق أهدافنا هو المقاومة السلبية في صورة اعتصام كامل قد يدوم مدة من الوقت .." (ثم كتبت مطالب الجامعة الثمانية التي ذكرناها في الفصل الماضي).

والحقيقة أن دوراً عظيماً للأستاذة قد نشأ ولا يمكن إغفاله ، وكان على رأسهم الدكتور إبراهيم جعفر - أكرمهم الله - أستاذ مادة الخرسانة بقسم مدني بكلية الهندسة.. وتطوع بإمدادنا بكل ما يلزمنا ، غير مبال بما قد يصيبه من غضب وانتقام للسلطة .. (إن دور هذا الرجل لا يمكن تسجيله إلا بحروف من نور ليس في ١٩٦٨م وحدها، ولكن في ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ أيضاً، وسوف نذكر للرجل فضله في حينه.. ونحن نتمنى أن نكون قادرين على ذلك). لقد اقترح الرجل العظيم صباح الأربعاء ٢٨/٢/١٩٦٨م على الطلبة اقتراحاً بإنهاء الاعتصام بملبوس يضمن به الطلاب قوة دفع ضاغطة تحقق أهدافهم في الأيام التالية : " ولم يكن أمامنا من سبيل - غير الموافقة على اقتراحه بالانتقال إلى مجلس الأمة لمناقشة ممثلي الشعب.

### الطلاب يولجّهون السادات في عصر عبد الناصر :

احتكت المواجهة بيننا وبين رئيس المجلس ( ثور السادات ) ومن حوله مجموعة من وزراء سموأ فيما بعد "بمركز القوى ... " وقد انتهال علينا " المصورون يلتقطون لنا الصور وكنا نعتقد أنها للصحافة ، إلا أنها في الواقع التقطت بهدف تقديمها للمباحث (.....) وقدمت لنا المشروبات والمجائر

الأمريكية !! (من يومها!!) وتحدث الرئيس (رئيس المجلس شور السادات) والوزراء عن الحرية التي يعيشها الشعب ، وعن المكاسب التي حققها " الثورة " وقدموا لنا دروساً في تاريخ مصر ما قبل ١٩٥٢م وكيف أنقذتنا الثورة من ديكتاتورية تعدد الأحزاب (تصوروا !!!!) ، وأسهبوا في شرح الاشتراكية (.....). وختم الرئيس حديثه قائلًا : " هذا البيان مرفوض شكلاً وموضوعاً " .

وكان ردنا أن ما سمعناه لا يعدو أن يكون سوى " كلام فارغ " .

ولم يجبن المتحدثي باسمنا عن تنفيذ كلامهم والرد عليهم بكبرياء وعزة .

"ولا أنكر أن مجموعة من الوزراء قد استهزئ بها مثلاً حدث في تلك الجلسة وكان أن برز لنا أحد الأعضاء . . لا شك أنه من مجموعة الرأسميين (يقصد والى عثمان بالرأسميين هؤلاء الذين رقصوا على أعضاء مجلس الشعب عديم أعلن عن تراجع جمال عبد الناصر عن تحديه يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ ، رقصوا فرحاً بينما للنكسة تمسك بخناق الوطن !! ) تحدث عن الحاكم وتمادى في مديحه وكان هذا العضو هو ضياء الدين داوود " الذي عين فيما بعد عضواً في اللجنة

#### \* حكاية ضياء الدين داوود :

ولطه من المعيد هذا أن نركز على قصة سعد ضياء الدين داوود التي كانت مظاهرات ١٩٦٨ أول خطتها الممتدة، ولطه من المعيد أيضاً أن نترك شعراوي جمعة نفسه الفرصة لكي يحكيها لنا. قال شعراوي جمعة أثناء مرافقته في محاكمة قضية ١٥ مايو (رجال عبد الناصر ... والسادات، كمال خالد المحلى، الطبعة الثانية. دار الاعتصام ١٩٨٦ ص ١٤٠) : بالنسبة لضياء الدين داوود فكان أول مرة فيها لفت الرئيس جمال عبد الناصر إليه في إحدى اجتماعات مجلس الأمة خلال مظاهرات فبراير ١٩٦٨ وكان مؤيداً للحكومة ضد هذه المظاهرات، وكان شجاعاً وجريئاً وكان الرئيس يستمع إلى هذه الجلسة في الخط المباشر بين المجلس ومكتب الرئيس (خل بالك من الخط المباشر بين مكتب الرئيس جمال عبد الناصر وقاعة الجلسات بمجلس الأمة!!) والرئيس قرره منذ هذه اللحظة وللتفسير وزيراً للشئون الاجتماعية.

لما ما قلعه ضياء الدين داوود بالضبط في مجلس الشعب : (الهجرة إلى القف ، لتطرف الدينسي من هزيمة يوليو إلى اغتيال كتوير ، علل حودة ، دار سيناء للنشر ص ١١٥) " أن الطلبة يحتاجون فعلاً إلى وعي سياسي حقيقي، إذا كانوا يملكون بالحرية فيقنئ أقول لهم إن وجودهم في الجامعة هو مظهر من مظاهر الحرية، وإذا كانوا ينادون بالديمقراطية فأني ديمقراطية وطلوبون وقد رأيتهم ينفكسون آبائهم

### للتفنية العليا.

"وقيل انصرافنا القف حولنا لغيف من أعضاء المجلس مرشحين مهنيين وكنت لاحظ الأسى في عيونهم ، وكلهم يقولون لنا : " أنتم على حق ونأسف لأننا لا نملك لكم شيئاً " ( لا يملكون شيئاً للمعارضين وهم أعضاء مجلس الأمة!!).

هكذا انتهت حركة فبراير ٦٨ للصاخبة . . لكن أثرها لم ينته كما تمتعت السلطة!!!! لقد أحدثت شرخاً في جدار الخوف . . . وشرخاً كبير فى شرعية للنظام . . . وكان على النظام أن يعالج الشرخين (لكن عبد الناصر قرر أن يضيق الفرصة وألا يعالج لياً من الشرخين وهذا خطأ عبد الناصر القفاح الذى كلفه عموه للقادم).

### كان ... وكان الثورة لم تقم :

لكننا قبل أن نتابع معاً كيفية معالجة سلطة عبد الناصر لأكثر الحركة.. لابد أن نتوقف قليلاً عند الكيفية التى عولجت بها آثار حركة ١٩٤٦م (حركة العمال والطلبة أيضاً) فى ظل الاحتلال ووجود الملكية فى مصر.. لم..!؟.. سنرى فيما بعد!!

بعد أن فتح النقراشى كوبرى عباس ليوقف زحف المظاهرات الطلابية ولو بإلقاء الطلاب فى الماء طمعاً للمك.. لم تتوقف المظاهرات ، فكان أن جاءت للسراى بالرجل القوى إسماعيل صدقى ( رئيس اتحاد الصناعات وقتها وعضو مجلس إدارة شركة القناة وصاحب الدور المنشق على الوفد وعلى دستور ١٩٢٣م والرجل الذى جاء بدستور ١٩٣١ هذا الدستور الذى قامت فى موجهته انتفاضة ١٩٣٥، وإن كانت قد قامت فى عهد وزارة نسيم باشا . . إلا أن الهتافات كانت تنب صدقى و"هور بين التور" وهو السيد صموئيل هور وزير خارجية بريطانيا الذى رفض عودة دستور ١٩٢٣م ، كما رفض بقاء دستور ١٩٣١ أيضاً بحجة أن

= ومندرى الجامعات ووزير الداخلية ووزير التنظيم العالى أليست هذه هى الديمقراطية، لقد كنا طلبة قبل الثورة وفتح علينا كوبرى عباس فهل هذه الديمقراطية التى يريدونها، وكان أن قدم للطلاب درساً محترماً فى أهمية تعويض السلطة الثورية لتسيير المجتمع.

للشعب لا يريد !! وهكذا قضى على الدستوريين معاً فكان أن تصدى الشعب لمؤامراته بانتفاضة ١٩٣٥ الشهيرة التى دفعت بريطانيا ثمنها فى معاهدة ١٩٣٦م) . . ولقد اعتبر الشعب أن المرأى تتحدها بمجى صنفى، فكان أن اشتعلت المقاومة وتعاضمت المظاهرات، ونما دور لجنة الطلبة والعمال الذى يقود حركة الجماهير للغضبة ليس فى القاهرة وحدها ولكن فى أقاليم مصر.

خرج صدقى وقتها على الشعب ببيان قال فيه ( واصفاً المظاهرات ) : " إن المظاهرات السلمية التى قامت صباح اليوم ، قد تحولت بفعل الأيدى التى لم تعد خافية ، ولقد امت عناصر من الدهماء فى صفوف الطلبة الأبرياء (.....) كل هذا حولها إلى مظاهرات ظهر عليها طابع الشر ، إن المظاهرات السلمية البريئة كان عمادها عنصر الطلبة والمتعلمين . . . "

هذا ما قاله صدقى " عدو الشعب " عن مظاهرات الطلبة والعمال فى ١٩٤٦م . فماذا قال جمال عبد الناصر ( حبيب الشعب ) عام ١٩٦٨م عن مظاهرات شبيهة . . قال جمال عبد الناصر فى خطابه التاريخى فى حلوان :

" احنا نعرف حتى فى الماضى يمكن العمال ضلّالوا بواسطة الرجعية، والطلبة أيضاً ضلّالوا بواسطة الرجعية . . أنا بأقول إن العملية بدأت عملية تلقائية هنا فى حلوان، وبدأت عملية تلقائية فى الجامعة، لكن بعد كده العملية ماصبحت عملية تلقائية " أنا برضه بأقول لإخواننا الطلبة فى الجامعة : قبل ما نتقاد وراء أى شعار شوف مين اللى بيردد هذا الشعار ، ما كل واحد ليه أوضاع طبقية ، طبعاً فيه ناس اتأخذت أملكهم ، وفيه ناس اتأخذت أراضيهم ، وفيه ناس تأملت مصانعهم ، ودول أولادهم موجودين فى أوساطنا " . . ثم قال : " للرجعية اتحرّكت إزاي ؟! حاولوا استغلال مظاهرات الطلبة ورفعوا شعارات "

الآن . . ألا ترون مطابقة غريبة فى ما قاله عدو الشعب صدقى وحبيب الشعب جمال عبد الناصر !!

لقد ارتضى عبد الناصر وقتها أن يقف من المظاهرات موقفاً سلطوياً لا يرى

للجماهير (غير المفرضة) حقاً في انتقاده، وفي فرض ما يريدون، (رفض أن يكون معهم إلا بالكلام والخطب، وليس بالفعل) .. وكانت هذه غلطة عمره .

ولقد كانت سلطة جمال عبد الناصر حملتها في مواجهة المظاهرات التلقائية الوطنية ، في الحقيقة ، في أربع محاور غير ثورية :

أولها : رفض التفاهم بحجة أن من يولجهمون عبد الناصر في الجامعة لا يمثلون الطلاب .. ولقد عزف جمال عبد الناصر هذه المعزوفة بنفسه في نفس الخطاب ( ٣ مارس ١٩٦٨ ) حين أوضح أن العناصر التي أخرجت الحركة إلى الشارع كانت فئسب ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ شخص ، وليس كل الـ ١٤٠ - ١٥٠ ألف طالب في جامعات البلد .. ولقد رأينا أيضاً في استعراضنا كيف لعب المسؤولون في النظام وأنصاره ( لبيب شقير - د. طعيمة الجرف ) على نفس لوتر .. " إنتم لا تمثلون الطلاب "

ثانيها : للترويع : رأينا كيف بادرت الحكومة الناصرية بإلقاء القبض المبسوق على من اعتبرتهم من المحرضين .. حدث هذا في حلوان مع العمال فخرجت المظاهرات . وحدث هذا مع الطلاب الذين اتجهوا بمطالبهم إلى مجلس الأمة وإلى بيت عبد الناصر شخصياً .. وكانت النتيجة أيضاً أن خرجت المظاهرات .. واشتعلت. أوبدخ في باب الترويع اعلان عزم وزارة للدخيلة على تكوين. الأمن المركزي الذي سوف يستطيع مواجهة المظاهرات بعد أن فشلت بلوكات الأمن في هذا الأمر ... وأن الأمن المركزي سيكون أكثر تدريباً، ولقوى تسليحاً، وأكثر فعالية].

ثالثها : التشويه : لم تدع السلطة الناصرية بمسئوليتها وبعدد الناصر نفسه، وبكتابها في الصحافة فرصة إلا وصغت إلى تشويه الحركة .. مثلاً حاولوا تشويهها بأنها حركة رد فعل لأحكام الطيرن وليست حركة مطالبة بالديموقراطية والتغيير وقد أشارت الأهرام في تحقيق لها حول مظاهرات القاهرة إلى مظاهرة وقعت أمام مبنى الجريدة .. وإلى أن أربعة من الطلبة ( تصوروا أربعة !! ) ..

دخلوا المبنى وعبروا عن مطالب المتظاهرين كالآتي :

" إن شباب الجامعات يسجلون اعتراضهم على الأحكام الصادرة في قضية الطيران وهم إذ يجندون العهد والبيعة للمناضل جمال عبد الناصر ليتوجهوا له باسم الشعب الجامعي أن ينظر في هذه الأحكام تلبية لرغبة الجماهير الشعبية" . . وكتب هيكل الذي كان وما يزال يغضب عندما يهاجمه الطلبة أو من كانوا طلبة!!، مقالاً مطولاً تحت عنوان ( وخل بالك من العنوان ) : " عن الأحكام والمظاهرات ، وإعادة المحاكمة " متى .. في أول مارس " لأن عبد الناصر سيخطب يوم ٣ مارس وسيردد نفس النغمة ( وكان هيكل يزعل عندما نهجهم !! ) وفي ٣ مارس قال جمال عبد الناصر : إن الطلبة كانوا يريدون منه أن يعدم قادة الطيران " وكان الحركة لم تخرج إلا من أجل الدم !! .

ومن يعد إلى صفح تلك الفترة ومجالاتها . . سيجد خطة كاملة للتشويه تبدأ من أن عناصر رجعية وأعداء ثورة أندسوا في المظاهرات وحركوها إلى كون الحركة " إساءة إلى الفضل القومي في وقت تتعرض فيه الأمة العربية لمؤامرة واسعة النطاق من قوى الاستعمار وإسرائيل " . . إلى أن " سلامة الجبهة الداخلية أمر حيوي لحماية الجبهة العسكرية ، ومن واجب كل فرد في هذه الأمة للضرب على أيدي العناصر المغرضة " ( هكذا قال السيد شعراوي جمعة الذي عينه جمال عبد الناصر أميناً للتنظيم الشعبي ووزيراً للدخالية في نفس الآن !!! ثم بعد هذا اتحفنا بمذكراته الثورية للغاية ) إلى أن " قوة الانتاج وتدفقها هي الدعامات التي تعتمد عليها الجبهة الداخلية والقوات المسلحة ، وبالتالي أي تعطيل للإنتاج لا يفيد ولا شك أن تعطيل للدراسة هو تعطيل للإنتاج " . . . إلى قول هيكل " مشاركة الشباب في عملية التفاعل الديموقراطي ليست مجرد أمر مرغوب فيه ولكنها مطلب ضروري ولسبب شرعي أساسي هو أنهم أصحاب الغد الذي نحاول أن نبنيه ولا نملك أي سلطة أن نتعرض هذا الحق أو تعطله " . . . ( لحد كده ، حلو قوى . . . ولكن وآه من لكن هذه ) . . . والمظاهرات قد تعطي انطباعاً خاطئاً عن سلامة الجبهة الداخلية ولا بد أن ندرك أن سلامة الجبهة الداخلية بطناً وظاهراً هي الأرض

الوحيدة للصمود .. ( ألم أقل وآه من لكن هذه ... ) . . إلى قول جمال عبد الناصر أننا طالبنا بإلغاء نسبة العمال والفلاحين . . لأن طلاباً ربما قلبها وكان يقصد الإيقاع بيننا وبين العمل والفلاحين !!.

رابعاً : الاحتواء : إما احتواء الحركة ، وكان عبد الناصر مهتماً نفسياً وتاريخياً لهذا الاحتواء .. نفسياً : إذ كان خلاف بين الثورة وشباب الثورة (على حد تعبيره ) هو النهاية للتراجيدية للبطل الأسطوري جمال عبد الناصر !!، وتاريخياً : لأن عبد الناصر كان قلباً على الثوابت المصرية ، كما أوضحنا من قبل ، وإن رفض أن يقبض بيده الثورية على الديمقراطية ، أحد الثوابت التي خرجنا من أجلها.. ولقد اتخذ احتواء الحركة شكلاً منها اتخاذ للنظام شعارات الحركة (التي تناسوها وهم يهاجمونها ، ولم يركزوا إلا على المطالب السليح كما أوضحنا من قبل) شعارات له شخصياً في بيان ٣٠ مارس الشهير . . الشعب يريد التغيير وأنا معه، تكوين لجان للمواطنين من أجل المعركة ، إعادة لانتخاب الاتحاد الاشتراكي من القاعدة إلى القمة ، إدخال عدد من الطلاب غير المناوئين جداً إلى المؤتمر القومي العام ، تجنيد الطلاب في التنظيم الطليعي بعد أن وجه عبد الناصر ضربه لمنظمة للشباب التي اعتبرها مسئولة عما حدث ، وهكذا فقد الشباب تنظيمه المستقل (لم يعرف عبد الناصر أنه كان يضرب ميتاً ، وأن الضرب في منظمة ميتة حرام !!! ولم يعرف أيضاً أن الشباب شباب المنظمة لم يعد في حاجة إلى أطره التنظيمية ، لأنه كان قد تجاوزها فعلياً) تصعيد عبد الحميد حسن تصعيداً مريباً فلم يكن أحد معجباً به إلا جمال عبد الناصر . . [ يقول حلمي نهنوش ممثل جامعة عين شمس في لاجتماع الجامعات بعد الناصر ، في مقابلة شخصية مع د. أحمد عبدالله مؤلف كتاب " الطلبة والسياسة في مصر " : إن عبد الحميد حسن هو الوحيد الذي استطاع الوصول إلى قلب عبد الناصر ، وحدث بينهما تفاهم مشترك ] ... ويقول ولعل عثمان : أينما كانت الجماهير الطلابية كلها تسطر صفحة مشرقة في تاريخ مصر ، والحركة بمختلف اتجاهات من شاركوا فيها ، تعزف سيمفونية البطولة والشرف، كان موقف رئيس اتحاد الجامعة ( يقصد عبد الحميد حسن )



نشازاً، يعزف بمفرده مقطوعة النفاق الأكبر (أسرار الحركة الطلابية ، وائل عثمان ص ٣٥) .. ويقول مصدر صحفي كبير رفض أن أذكر اسمه أن كانت لسمامى شرف طريقته فى تجنيد الناس للنظام وهى السعى إلى تغيير واقعهم الاقتصادى . .. بما لا يجعلهم قادرين على الاستغناء عن تعاملهم مع النظام فيما بعد ذلك .

والحقيقة أن خطة نظام جمال عبد الناصر هذه لم تفلح ، تلك أن الشباب الذى خرج له ( وكان يستثنيه فى فبراير ١٩٦٨ من الاتهامات ) خرج عليه ولم يستثنه فى نوفمبر ١٩٦٨ .

وهكذا أخطأ عبد الناصر خطأ عمره . فقد كان الشباب المصرى ، شباب الثورة هم عمر جمال عبد الناصر . . عمره الذى كان مضاف إلى سنوات حياته حين يحاول الموت إيقافها . . كان الشباب سيكونون امتداده الطبيعى . . لكنه سعى إلى ضربهم . . فضرب فيما بعد معهم . . إن السادات (غاوى للدراما) الذى أكد للطلاب قوله: "أنتم شجعتم بالمظاهرات عناصر كانت قد انتهت، كانت دخلت الشقوق . . نهارد الضهر عربية كانت بتلف للمدارس فى مصر الجديدة علفشان يضربوا (يدعون للإضراب) وتمسكت العربية واللى فيها أولاد الإقطاعيين بتسوع زمان " ... السادات " غاوى للدراما " هذا استخدم للدراما التى لم يعترض عليها جمال عبد الناصر فى حينه فى ضرب الشباب . . . وفى ضرب عبد الناصر "الله يرحمه" شخصياً بعد ذلك . .

لَمْ نَقُلْ أَنَّ جَمَالَ عَبْدِ النَّاصِرِ أَخْطَأَ فِي ١٩٦٨ خَطَأَ عَمْرِهِ ؟؟



(٨)

عندما بكى جمال  
عبدالناصر !!!



ترامن الثلاثي التدريجي لمظاهرات فبراير ١٩٦٨ من الشارع المصري ،  
مع نمو حيرة شديدة - لخطبوطية الأثرع - دخلنا !.

كانت الحيرة - دخلنا - تكبر بنفس القدر الذي تتضائل به المظاهرات ،  
وعندما وصلت المظاهرات إلى نقطة الصفر - وصلت حيرتنا - أو أحصنا بها  
تصل - إلى ما لا نهاية . .

كانت حيرتنا تعبر عن نفسها بسؤالين . .

ماذا الآن !!؟ وماذا بعد ؟؟

كانت الأغلبية منا يراهنون على أن عبد الناصر هو بطل التغيير القادم  
والضروري، الآن وبعد المظاهرات وما حدث فيها ولها لآيد أحسوا بأنهم لا يمكن  
أن يكونوا - وأن يكون عبد الناصر - مثلما كانوا - وكان - قبل بداية المظاهرات.  
لقد تعامل عبد الناصر معنا - وأغلينا خرج له ولم يخرج عليه - بقسوة شديدة.

صحيح أنها كانت قسوة محسوبة. لكنها وهي محسوبة كانت شديدة  
وصارمة . . ومحيرة!! . . لقد حسب جمال عبد الناصر قسوته في مواجهةتنا  
بميزان شديد الحساسية . . وإذا كان " هيكل " قد كتب أن عبد الناصر، اهتز  
لمظاهرات الطلبة كما لم يهتز لشيء من قبل . . وأنه يكي . . لأن الثورة بدت بعد  
نكسة يونيو ١٩٦٧ - ، وقد اختلفت مع شبليها . . اختلفت مع مستقبلها، إذ كان  
هيكل قد كتب ذلك فإن معناه . . أن عبد الناصر انفعَل نفسياً بلا حدود، وانفعَل

سلطوياً بعدها بصبايات شديدة للتعقيد !! .

اتفعال .. وليس نقاعلاً ديمقراطياً!.

وانفعال عبد الناصر نفسياً بلا حدود، وتفاعله السلطوى (أفضل من الاتفعال!) بصبايات شديدة للتعقيد ظل هو الأسلوب الذى لم يعرف عبد الناصر غيره طلية حياته وهو أسلوب رفض تماماً للديمقراطية، وما كان رفضه لها إلا لطبيعته العسكرية التى لم تتبدل، فإذا كان قد استبدل ملابسه العسكرية بملابس مدنية، فى أعقاب مؤتمر بلنويح الشهير عام ١٩٥٥، وذلك بعد أن ليدى نهرو - للزعيم المفكر فى حركة الحياذ الإيجابى - لعبد الناصر تخوفه من الروح العسكرية فى إدارة الأوطان .. وقال لجمال عبد الناصر إن غلادى صام حتى الموت، ليؤكد الهنود أن الموت أفضل من وصول العسكريين إلى كراسى الحكم فى الهند كان أن غير عبد الناصر نبرته (بنلته) العسكرية، ولم بعد لارتدائها أبداً فيما بعد، لكنه عجز عن تغيير روحه، فالعسكريون - ولعل عبد الناصر أفضلهم على الإطلاق (إذا ماضضنا الطرف عن سوار الذهبى العظيم فى السودان) - إذا ماغيروا ملابسهم يفضلون فى تغيير جلودهم "لاككى" روحهم "لاككى" (وجلودهم وأواحهم لا تقبل من الآخرين إلا الولاء للشخصى، والطاعة للعمياء) وهم حينما يتجملون بالديمقراطية فاتهم بكنبون، أو على الأقل يقولون كلاماً من وراء قلوبهم، ولعل لرفضهم للديمقراطية " الحقيقية" سبباً لا يمكن إغفاله، فالعسكريون المخلصون رأوا حجم الإنجاز الهائل والسريع الذى توفره الروح العسكرية بالأوامر الفوقية التى لا رلا لها...، وهم - المخلصون منهم - عندما يرون عيوب الروح العسكرية فى تسيير المجتمعات، يحاولون دقماً أن ينسبوا تلك العيوب لأمرى أخرى غير السبب الحقيقى، (عبد الناصر كان ينسب كل عيوب نظامه لنشاطات لثورة المضادة، وللرجعية المكرومة المتممرة المتأمرة). أما لسوا العسكريين، فكر اهتهدلديمقراطية تبقى أسيرة ذلك المجال الضيق فى نفوسهم الاضيق فى آفاق تفكيرهم الذى لم يعتدما ولم يحفل بها فى يوم من الأيام . ولم يحترمها على

### الأطلاق !!!

حديث مصطفى باضاح ديمقراطية جمال عبد الناصر:

ولعله من المنير للانتباه.. تلك الحديث للصفي الذي أدلى به جمال عبد الناصر في مقابلة مع رئيس تحرير جريدة هندية (خل بالك من "هندية" هذه) في مارس ١٩٥٧، وقد قال فيه "كان يفترض وجود نظم ديمقراطي في مصر في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٣، (خل بالك من التاريخ ومن مغزاها) ولكن ما الذي قتمته هذه الديمقراطية لشعبنا؟ (...) كان ملك الأراضي والبشوات يحكمون شعبنا، لقد استخدموا هذا النمط الديمقراطي كأداة سهلة لتخريب مصالح نظامهم الاقتصادي، لقد رأيت الاقطاعيين يجمعون الفلاحين ويسوقونهم إلى غرف الاقتراع، حيث كان الفلاحون يدلون بأصواتهم طبقاً لتعليمات سادتهم، أنسى أبغى تحرير الفلاحين والعمال سواء من الناحية الاجتماعية أو من الناحية الاقتصادية، بحيث يمتلكون القدرة على أن يقولوا "نعم" و"لا" دون أن يؤثر ذلك على سبل رزقهم وقوتهم اليومي، وهذا من وجهة نظري هو أساس الحرية والديمقراطية" (ص ٣٧ - ٣٨ من "الديمقراطية في الشرق الأوسط، تحرير د. أحمد عبد الله - مركز الجيل ١٩٩٥ القاهرة)، كان عبد الناصر قد أدلى بحديثه هذا بعد أن ضرب طبقة ملاك الأراضي اقتصادياً بقانون الإصلاح الزراعي، وسياسياً بحرمان أعضائها من العمل السياسي!! فكيف يخشى استغلالهم للديمقراطية، ولقد جاء الميثاق الوطني ١٩٦٢ ليؤكد ما قاله عبد الناصر الصحافة الهندية ١٩٥٧، فرفع شعار "إن حرية رغيف الخبز هي الضمان الأكيد لحرية تذكره الانتخاب"، وعاش عبد الناصر ومات ولم يثبت أن أحداً في عصره استطاع أن يقول "لا" و"نعم" دون أن يخشى على رزقه، إن حديث جمال عبد الناصر "هذا" إن لم يعكس كفه بالديمقراطية، فإنه على الأقل يعكس كراهيته لها إلى حد التأجيل المستمر..

للظة لابد من التمعن فيها!!

في مذكراته (٢٣ يوليو وعبد الناصر، شهادتي، مركز الأهرام للترجمة

والنشر (١٩٩٠) يرسم لنا الاستاذ عصام حسونة (كان وزيراً للعدل عام ١٩٦٨) ملامح لقطة في غاية الأهمية، وكانت اللقطة في اجتماع مجلس الوزراء جلسة ١٩٦٨/٢/٢٥، وهي الجلسة التالية للمظاهرات.

يقول الأستاذ عصام حسونة (ص ١٨٢ وما بعدها)

انعقد مجلس الوزراء يوم الأحد الموافق ١٩٦٨/٢/٢٥، وهو موعد الاعتقاد الأسبوعي، برئاسة جمال عبد الناصر (لذلك نذكر أن عبد الناصر جمع بعد لئكة بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة) وكان جدول أعماله - المظن من قبل - هو مناقشة تقرير لجنة للحظة عن المواصلات. بيد أن الأحداث الجديدة في الأحكام للصادرة ضد الفريق صدقي محمود، وبعض قادة الطيران، وما أعقب ذلك من تفجر مظاهرات للطلبة في القاهرة، كان هو الموضوع الرئيسي الذي شغل المجلس.

في أول الجلسة دعا الرئيس وزير الحرية إلى الكلام

للفريق فوزى: ثبت الإهمال ضد قادة الطيران، حكم المحكمة سليم، وأبعد عقدة للثب عن سلاح الطيران، وقع الحكم طيب في القوات المسلحة، ولهذا صدقت على الحكم.

الرئيس: نأخذ رأى المجلس

د. لبيب شقير: (وكان وزير التعليم العالي كما تعلم) عقد تحركات مظاهرات للطلبة عقب صدور الحكم. الذين حركوها عناصر يمينية رجعية (أعداء للشورى يعني)، نتبعنا زعماءهم وجناتهم من الجمعية الشرعية ومن الإخوان المسلمين (ياعني عليهم، البسهم الجريمة بمنتهى البساطة). موقف الشرطة موقف سليم (الضرب بالرصاص في الميدان)، رأيي إعادة محاكمة صدقي محمود أمام محكمة ثورة أو محكمة شعبية (المحكمة العسكرية لا تكفى) لأن العقوبة الصادرة ضده لا تكفى.



د. النبوى المهندس: (وكان وزير الصحة) يجب تطبيق صدقي محمود وزملائه على المشتقة في ميدان عام، الطلبة المصابون في المظاهرات اعربوا لى عن ولائهم للرئيس وقد حملوني رساله .. إنهم يقولون يد للرئيس (!!!)، وقد زرتهم في المستشفى مع الأخ سامى شرف.

ويقول السيد-عصام حسونة إنه تكلم في الجلسة (وأنا لخص هنا من كلامه)، عن استحالة الاعتراض على الحكم (قانونياً) واستحالة إعادة المحاكمة، ثم قال "على أية حال أئني أرى أمد يركز المجلس مناقشته على مظاهرات الطلبة التي اعتبرت صدور حكم الطيران، وأن نستخرج منها كساسة، لا كسلطة أمن (خل بذلك من هذه) للدلالات السياسية الصحيحة"، وفيه طلب أن يوضح شعراوى جمعة "حواظها .. اتجاهاتها .. مؤشراتنا" (وكان يقصد المظاهرات)، وأن يلقي السيد الأمين العام للاتحاد الاشتراكي. كل الأضواء الممكنة على هذه المظاهرات"، وقال إن "هذه أول مظاهرات يمكن أن تسمى "انتفاضة" سواء من حيث "النوع" أو "الأهداف" أو "الشعارات" وقد أورد من تقرير النيابة العامة عن هذه المظاهرات هتافات ترددت في المظاهرات كانت كالتالي. "تسقط دولة المخابرات (أي علاقة لنلك بالطيران وقضيته؟) تسقط دولة العسكريين (هل هناك علاقة؟)، تسقط صحافة هيكل للكتابة (هل هناك علاقة؟)، لا حياة مع الإرهاب (الملطوى)، ولا علم بدون حرية، بإجمال للشعب هوّه هوّه (لظنها كانت "أهوّه") لضرب الخونة بقوة (ألم نقل أن كان الجيل لم يتخلص من استئلائه جمال عبد الناصر من ضاد، وتجبر، وإرهاب حاشيته حتى تلك اللحظة؟)، بإسادات بإسادات، فين قانون الحريات (لقد بَدَّ للشلو ولم نر علاقة للشعارات بأحكام الطيران)، بإشعراوى يا جبان راحو فين عمال طولن.

تحليل لتقرير النيابة العامة :

وقال السيد عصام حسونة "سمحوا لى أن لخص لأمكم أهم ما جاء به (تقرير النيابة العامة):

أولاً: إن المظاهرات بدأت في طولن تحت إشراف الاتحاد الاشتراكي (تذكر

الآن ما جاء في منكرات أحمد شرف عما حدث له مع منظمة للشباب، فوق تجد تطليقاً مذهلاً .. فيخطأ!!) فلاذی یؤخذ من مجموع أقوال عبد اللطيف مليجي بلطية (زعم عمالي وعضو بارز في الاتحاد الاشتراكي العربي) وآخرين من مسئولی الاتحاد الاشتراکی (..) بأنه عقب إجتمع السيد عبد اللطيف بلطية مع السيد عبد المجيد فريد (كان أمين العاصمة) في مساء يوم ۱۹۶۸/۲/۲۰ بمناسبة ما كان قد وصل العلم به من إحتجاجاً منهم على الأحكام الصادرة في قضايا الطران (الحظنة التفجر .. هل تذكر تطليبا) فقد كلفت قيادات الاتحاد الاشتراکی (الكلام لبلطية) بالحضور إلى مقر المكتب للتنفيذ في الصباح لمنع خروج المظاهرة (قال بعصبة العبارة (!!) المعارضين لكل ما جاء به جمال عبد الناصر، وما فعله إن الاتحاد الاشتراکی هو الذي أخرج كل المظاهرات في عصره!!) لو مواجهة التعبير الجماهيري بأسلوب سياسي ديمقراطي (إذا كنت مندهشاً من الكلمة تنتظر إلى أن تقرأ الباب المعنون "تنظيم عبد الناصر الطبيعي" أو تنظيم حركة الجماهير (حسب أقوال السيد محمد وهذان) ولكن رجال الاتحاد الاشتراکی فشلوا في السيطرة على المتظاهرين (كانت دوما مهما مهم مستحيلة، تتلخص في أن يكونوا مع الجماهير وضدهم في نفس الآن لهذا لم نرهم إلا يفضلون!) وتصدى رجال الشرطة لهم واطلقوا النار عليهم فأصيب ۹ أشخاص من أعيدة نارية، من بينهم أربعة كانوا ماربين بالصفقة (راجع دفاع محمد حسنين هيكل عن جمال عبد الناصر في الباب قبل الأخير، والذي قال فيه إنه لم يكن هناك إطلاق رصاص على الإطلاق!!!!)

ويقول من تقرير النيابة العامة

ثانياً: إن المظاهرات ما لبثت أن انتشرت في دائرة عدد من أقسام القاهرة والجيزة والأسكندرية وفي كلية الهندسة بجامعة القاهرة بالذات (لم نقل أن كان للهندسة موقف تصد عليه، ويصد عليه لينلواها).

ثالثاً: إن الشرطة قد أطلقت الأعيرة النارية بعض المظاهرات وقد سقط ثلثان من القتلى (مرة أخرى رجع دفاع الأستاذ هيكل!!) كما أصيب — من غير الأعيرة

للنارية - من رجال الشرطة ٢٢ ضابطاً، ٦٥ شرطياً، ٤٠ من الطلبة والأهالي، كما حدثت تلفيات في سيارات الشرطة وغيرها من الممتلكات الحكومية والأهلية.

رابعاً: (وهذه نهريها للسادة المحليين حسنة النية ومسيئتها، قيل أن توجه لهم للضربة القاضية) إن هتافات المتظاهرين وطلباتهم قد تجاوزت حدود قضية الطيران، وتناولت النظام ذاته (ولورد مطالب الطلاب التي ذكرناها من قبل).

ويشهد شاهد من أهلها:

وقال السيد عصام حسونة في اجتماع مجلس الوزراء المذكور لقد قضيت على هزيمة يونيو ثمانية أشهر، فهل ينبغي أن نعاود مناقشتنا - كمجلس وزراء - في أسباب الهزيمة والتزامات النظام في تصحيح ما حدث؟ (الدعوة الشعبية للعارمة بضرورة التغيير) أن نتحدث مرة أخرى عن أسلوب الحكم (هذا هو الأسلوب) ... عن نظام الحكم (وهذا هو مريب للفرد).

لقد قلنا من قبل إن نظامنا اشتراكي (ناصرى) ديمقراطى (!)، يقوم على سيادة الشعب، وقيادة جماعية منتخبة، وسيادة للقانون (!)، وقلنا إن الانحرافات التي شابته عندما ناقشنا أسباب النكسة .. هي لعدم القيادة الجماعية، الاقتتال على سيادة القانون، الهوة الشديدة بين للشعار والسلوك .. ضعف النقاء في بعض القادة.

إن للشعب بعد ثمانية أشهر من الهزيمة، لا يزال يطرح هذه الأسئلة .. هذه المرة بصوت أعلى (... لا بد من تغيير جذرى (...).

شئ واحد يشغل جمال عبد الناصر:

بعد هذه الشهادة المطولة من وزير العدل "الامتياز عصام حسونة" (والتي اختصرتها) لم يشغل جمال عبد الناصر إلا شئ واحد:

الرئيس: نعود إلى قضية الطيران - لقد اطلعت على أقوال الشهود .. الغريب أن قللت القوات الجوية الجديد مذكور أبو الغر شهود لصالحه (للتاريخ يحتسب هذا الموقف الرجولى للرجل الشريف مذكور أبو العز، فقد ترك القوات

المسلحة والطكيران قبل النكسة لخلافت حمادة عميقة مع صدقي محمود، وها هو ذا يشهد لصالحه، ولصالح الحقيقة عندما جاءت الفرصة للانتقام .. إن فسى مصير رجال).

الفريق فوزى: يبدو لى أن الحكم كان سيئ الوقع على القوت المسلحة (لم يكن ذلك كلامه فى أول الجلسة ... كان العكس تماماً!!!) إتنى أرى تحويل الحكم والقائه وإعادة المحاكمة.

الآن وقد كان وصف الأستاذ عصام حسونة لجلسة مجلس الوزراء التاريخية تلك، برئاسة جمال عبد الناصر — أن ينتهى (فلم تبق إلا قبلة واحدة، لابد ستفجر فى قناعات المحللين حسنى النية وسينها) .. يستطيع القارئ بنفسه أن يحكم على وزير التعليم العالى، د. لييب شقير (هنا، وأيضاً فى استفسارك المكتشف على الطلبة، عندما قبل لجنتهم المكونة من اثنى عشر طالباً والتي وعدوها بمقابلة جمال عبد الناصر) ويستطيع أن يحكم على الفريق (أول) محمد فوزى، ووزير الصحى د. للنبوى المهندس، ويستطيع إذا عاد للأصل إلى اختصرته أن يحكم على وزير الداخلية شعرولى جمعة ووزير الثقافة ثروت عكاشة، وعلى مجلس الوزراء بالكامل.

لكن شيئاً وحيداً أريد أن أشارك القارئ حكمه عليه. هو إصرار جمال عبد الناصر على أن الأمر لم يبعد كونه اعتراض عمالى طلابى شعبى على أحكام قضية لطيران، حتى بعد أن تلا أممه وزير العدل المطالب الطلابية كاملة (هذا الإصرار أصبح إصرار الأستاذ هيكل أيضاً وحتى إعلام آخر)، لقد كان إصرار جمال عبد الناصر هذا دليلاً إن لم يكن على قبوله مبدأ "التغيير"، فهو دليل أكيد على أن تكون دعوى التغيير مبادرة جماهيرية (تعود عبد الناصر على تكون المبادرة دائماً فى يده حتى وهو يعمل لمصلحة الجماهير، ولم يقبل أبداً أن تحته الجماهير على تحقيق مصالحها ..) وأقول دليل أكيد" لأن بيان (٣٠ مارس) الذى حلقاه فى جلب لاحق، هو ثباتى لهذا الدليل الأكيد، لكن جمال عبد الناصر — الذى لم يتغير — لم يكن

يعرف بأن قبلة شديدة الانفجار في طريقها إليه في تلك الساعة - لفتى لرد ألا ينشغل فيها عن اتخاذ قرار بإعادة محاكمة قادة الطيران (وهو ملحد بالفعل)، ظناً أن هذا التراجع سيحيل اعتراض الطلاب على نظم حكمه، كان لم يكن.

ضربة قضية لآراء المسادة المحلين حسنى النية .. وسينيتها:

يقول الاستاذ عصام حصونة، إنه خلال إصرار عبد الناصر على حصر الكلام في موضوع إعادة المحاكمة "قترب السيد عبد المجيد فريد سكرتير عام مجلس الوزراء وقدم له المنشور الصادر من طلبة كلية هندسة القاهرة والمتضمن لطلباتهم (وثيقة طلاب الجامعات فبراير ١٩٦٨) وقد كان خالد عبد الناصر ابن الرئيس موجوداً بينهم".

قرأ للرئيس الوثيقة ثم قال:

الرئيس: يبدو أن حكم صنفى محمود ليس له أولوية لدى الطلبة (خل بذلك من معنى كل كلمة) إنهم يطلبون حل الاتحاد الاشتراكي، وإطلاق الحريات، وإعادة تحقيق المسؤولية عن النكسة ... أظن هذا يكفينا قليلاً ..

ويقرر الاستاذ عصام حصونة أن (نهض الرئيس مبتسماً بعد أن قض الاجتماع).

لمست هذه بحق ضربة قضية لآراء ساجدة المحللين حسنى النية وسينيتها، هاهو ذا جمال عبد الناصر يقترف بنفسه في جلسة مجلس الوزراء وما زالت بعد المظاهرات صاحبة في الشارع المصري، بأن الأمر لم يكن مجرد اعتراض على أحكام الطيران بل، أن الأمر كان ما هو أكبر، دعوة للتغيير، وللديمقراطية، وضمناً ألا يتكرر كيوم النكسة.

ولتعد لما كنا فيه.

لرد عبد الناصر، وأحد على رفض التفاهم مع القضية الشبانية، إلا بأسلوب قائد الوحدة العسكرية (مصر) الذي يحب جنوده (شعبها) ولا يجب اعتراضهم على

تصرفاته (أى لا يحب الديمقراطية)، فى الوقت الذى تسهرت دموعه فيه لأن غريته اختلاف ثورته مع مستقبلها (الشباب) خرج من القمم وإن يعود إليه إلا بتقلبات لا بد رأى جمال عبد الناصر أن من الصعوبة بل من الاستحالة، أن يقدم عليها ... (حتى وإن كانت لمصلحة ثورته العظيمة) الجاحدون وحدهم ينكرون هذا الأمر) ولمصلحة الشعب الذى أحبه كثيراً وبذل عمرة واستشهد من أجله (ليضا الجاحدون وحدهم ينكرون هذه الحقيقة) .

أراد جمال عبد الناصر أن يروعا إلى حد يخوف أبائنا .. ولا يسوغ لهم أو يحركهم الثورة ضده .. فأتخذ ونظلمه سميت الحكماء .. الذين يستطيعون ممارسة عنف أشد ضدينا .. لكنهم يرغم هذا لا يفعلون، ذلك أنهم يولجھون فلذات أكباد .. (راحوا أو جاعوا شوية عيال)، تم لتحرير بهم !

ولقد كان أبوانا وقتها مستعدين لفهم رسالة عبد الناصر .. ذلك أنهم اعتلوا أن يروا من جمال عبد الناصر قبل النكسة منتهى الشراسة فى مواجهة معارضيه من الشيوعيين والأخوان وعلاء الرجعية المصرية والعربية (اعتاد عبد الناصر ألا يخرج معارضيه من دائرة التوصيفات الثلاثة هذه !!) .

كان أبوانا يعلمون أننا لا نندرج تحت واحدة من هذه التوصيفات .. لكنهم — أبائنا — كانوا يعرفون النكسة التى مرت فى عصر عبد الناصر سريان النار فى الهشيم .. (ومن الضحك ماله مرارة البكاء!) تلك النكسة التى تحكى عن أن قرداً قتيلاً كان يلاعب قردة فى مقهى .. وفجأة هاجمت المباحث العامة المقهى للقبض على الشيوعيين .. (قيلت النكسة أيضاً فى الإخوان المسلمين)، وما أن دخل رجال المباحث المقهى، حتى سارع القرد بالاختباء، وبعد أن قبضت المباحث العامة على من جابت من أجلهم إتجه القردانى إلى قردة متسائلاً : طيب المباحث عايزين الشيوعيين، أنت بسلامتك استخيتت ليه؟، فرد القرد — مرتعداً — :

يا عم حد ضامن .. حلى على ما فكر أثبت إني قرد ؟؟. والحقيقة أن أبائنا

اضطربوا ، واضطربنا نحن باضطرابهم ، كانوا موافقين على ما نقوله ، وكانوا خائفين علينا . . وخائفين من أن يظنوا أنهم كانوا يرون ضرورة أن يحدث تغيير فى ممارسات السلطة وفى إدارة البلاد ( الأمر الذى طالبنا به فى مظاهراتنا ) ..

لكنهم كانوا أيضاً غير متأكدين من أن — فى تلك الأيام — الوقت المناسب لهذا التغيير ، وغير متأكدين كذلك من أن الوقت غير مناسب . . فلو لم يحدث تغيير ، فأى مصير ينتظر البلد !!! ( إن من بدأ المأساة ، لا يستطيع إنهاءها إلا فسى قصائد نزار القباني العاطفية ! )

### الالوان الطبيعية تشاركنا الهم .. والتساؤل :

ولقد غدت القاهرة — التى كانت مظلمة فى الليالى بفعل تقيد الإضاءة فسى زمن الحرب — وقد انسحبت منها المظاهرات، مظلمة أيضاً فى النهارات (بشكل واقعى لا مجاز فيه)، لها راحة الشياطة، وأسفلت شوارعها الذى كنا نراه رمادياً دلكناً ، ها نحن — فى تلك الأيام — نراه شديد السواد . . أما الأسوار حول مبانيها فقد صارت أعلى ! ! .

ماذا الآن ؟ وماذا بعد !!!

ما الذى استطعنا تحقيقه !!!

وماذا يجب أن نفعل بعد ذلك وقد خرج جمال عبد الناصر من صلاواتنا؟.

كنا نرى القاهرة والأشياء والمستقبل (ونشمهم أيضاً ) بعيون الحيرة . .

وكنا قد أصبحنا مطاردين بخوفنا من الغد . . ويخوف أبائنا علينا وترقبهم الحذر لما سيأتى به الأيام القلقة.

أنكر أننا كنا لننسى وقتى كله — فى تلك الأيام — خارج البيت ، فقد كنت

لخشي من مواجهة أبي . . لكنني فوجئت بأبي . . (أبي الذي كنت وأنا في المظاهرات أفتت بسقوط جمال عبد الناصر غير هليب من سطوته) (أقصد سطوة جمال عبد الناصر) ومن الاعتقال، ومن مصيبة سوداء لم أكن أعرف حدودها . أخفى وجهي حين أصبح في مرمى بصره (أبي) إذا ما حدث وأطل من شرفة مكتبه في شقتنا على المظاهرات في شارع القصر العيني، خوفاً من أن يراني) فوجئت بأبي يتعمد الكلام عن المظاهرات وكان آخرين يقومون بها - ولسفياً ياها بأنها مظاهرات عظيمة !! ولأنها لابد أن تستمر لكي تثمر نتائج جيدة !!

في المرة الأولى التي قال فيها أبي هذا الكلام . . كنت أقوم ولحظتني . . لكنني وقتها خفت أن يكون لحظتني له بمثابة اعتراف صريح مني بأنني أشارك في المظاهرات، لقد فهمت لحظتها أن أبي يعرف أنني أشارك ويوافق . . لكنه لا يريد أن يعلن أنه يعرف أو أنه يوافق . . فهمت أن أبي يريد أن يترك القرار لي، مع أن النتائج سوف نتحملها نحن الاثنين . .

لم أقم لأحتضنه وقد خلصني من ازدواجية كانت تؤرقني بالإضافة إلى حيرتنا الكبيرة ، يومها صممت على أن أنفذ مشيئة أبي . . وأن أتكلم أنا الآخر وكان الآخرين يقومون بها . . وهكذا غدونا نتفاهم ونتناقش بحيادية مصطنعة أجدنا حبك خيوطها الأمر الذي لم يمارسه أبي الجازم القاطع معي قبلها ولا بعدها أبداً).

ولذكر - كذلك - أن أبي قال بينما كنت أحمل القهوة إليه في مكتبه صباح يوم الجمعة تال للمظاهرات ، وكان ساعته يقرأ مقال الأستاذ محمد حسنين هيكل، عن الأحكام والمظاهرات وإعلاء المحاكمة (١٩٦٨/٣/١).

- الطلبة موش لازم يخافوا من الكلام ده (كان يقصد التهديدات الخفية التي امتلأت بها مقاله الأستاذ هيكل الذي صور نفسه - بعدها ويرغبها كان يحلو للأستاذ هيكل أن يصور نفسه وكأنه كان مدافعاً عنا .. الطلبة موش لازم تخاف وإلا زميلهم المقبوض عليهم ممكن يضيعوا . .



ساعتها رددت في براءة :

- حاضر يا بلبا .

وضحك لي . . لكنه سرعان ما عاد إلى تجهمه وقال :

- ليه حاضر دي ؟! انت ليه علاقتك بالمظاهرات دي؟.

أصابني ارتباك شديد . . لقد خرجت على اتفاقنا الضمني !!

- قصدي فعلاً . . مش لازم يخافوا .

و قال لي في حزم حنون ؟

- خلى رايك ده لبعدين . . لما نقرأ المقالة الأولى.

كان أبي يقرأ الجرنال أولنا . . ثم بعد ذلك نتخاطفه نحن ، يومها خطفت الجرنال ورحلت ألثهم المقالة . . وفهمت - برغم محاولات الأستاذ هيكلا لا يصلنا إلى عكس هذا الفهم - أن تركيز هيكلا على أن صورة الجبهة الداخلية يجب ألا تهتز في مواجهة عدو صار قريباً منا على الشاطئ الشرقي لقناة السويس ( والتي كان يطالبنا من أجلها بالهدوء )، يجب ألا تخيفنا من التحرك لإنقاذ زملائنا، تحركاً صابجاً إذا لزم الأمر وإلا لن يجرؤ آخرون على الاعتراض، بعد ذلك أبداً .

ولنكر أيضاً أن كان العيد الكبير ( عيد الأضحى المبارك ) على الأبواب وقتها ، وكانت أيام الأعياد في ذلك الوقت هي أجمل أيام السنة بالفعل ( تلك التي لم يعد لها طعم الآن ! ) كنا ، أولاد الخالات والأخوال ، نذهب جميعاً لنقيم في البيت الكبير، بيت جدى، بالطمية الجديدة، نقضى الوقت في ضحك ولعب وصخب جميل باختلاف أعمارنا (كان الاختلاف يمتد لأكثر من عشرين سنة بين الأصغر والأكبر) وهناك نتبج أضحيات العائلة جميعاً، ويفعل كل منا ما يريد، ويفعل الكبار أيضاً

لكل منا ما يريد . . . كانت أيام حرية وسعادة، لكنني - وكنت أصغر ولحد في جيل الأقارب هذا - فوجئت بأن الجميع في بيت جدي، قد بيتوا النية على أن يتخذوا العيد في هذه السنة فرصة لكي يعيدوا عطى إلى راسي . . . كنت قد ذهبت بإحساس غائر بالذنب . . . زملائي في السجن . . . فهل يحق لي أن أفرح وسط أقاربي؟ ولما هجم الأقارب (تحت قيادة أمي - حبيبتى - التي أثرت أن تبدو صامته مادام للجميع يتكلمون بلسانها) على إيبينوا الى خطورة ما ارتكبه من جرم في حق نفسي ومستقبلي والعائلة التي سيذهب أفرادها وراء الشمس، إذا ما أصررت على مشاركة الأولاد للمنفلتين في الجامعة فيما يفعلونه .. عندما هجم على أقاربي - أحبائي - بهذه الكلمات (العاقلة !!) فوجئت بنفسى منفعلاً لأول مرة في مواجهة من هم أكبر منى سنأ.

- زملائي أحسن الناس .. وأشرف الناس . . . والبلاد بلدنا . . . ليست بلد جمال عبد الناصر . . . وإن يفعل بها وفيها ما يشاء.

كانت النموع تخفقى، ووجنتى أجرى ناحية الباب، منفلتاً إلى الشارع . . . متخلصاً من إحساسى بالذنب . . . (ها أنا ذا يا أصدقائى - متلکم - لن استمتع بالعيد)

وقفت في الشارع . . . كنت أصبح وإحساس الندم على ما بدر منى فى مواجهة كبار يحبوننى ويخافون على، يحاول إفساد فرحتى، فرحتى المجنونة بلأنى لن أفرح فى العيد وزملائي فى السجن !!

كنت أصبح فى الشارع:

- غضب قاربي مقدور عليه .. ساسترضيهم فيما بعد لكننى يا زملائى الأعراء . . . لا أقبل أن أفرح وأتقم سجناء.

فجأة، وجدت من يربت على كتفى . . . كان - الذى ربت على - بحنان - زوج ابنة خالتي وكان عقيداً فى القوات المسلحة (منفية ) ، كان جميل الصورة

الجيل الذي واجه رمضان جمال عبد الناصر والسيدات

وجميل المخبر أيضاً . . ( العقيد عادل حافظ عبد المجيد ) ، ارتبكت في مواجهة وجهه الملائكي ، شدي من يدى فى حنان وفتح باب سيارته . . وقال : اركب .

ركبت . . قال لى أنه منع الجميع من أن يخرجوا ورائى بعد أن وعدمه بأنه سيعود بى إلى البيت الكبير . . وفاجئى قتلًا وهو يدير موتور السيارة :

- إنت عليز تروح . . مش كده ؟

- أيوه .

- لازم تروح .. إنت مش لازم تقعد وزملايك فى السجن . . ما تفلش من ناحية العيلة . . أنا ح تصرف .

كان يقرأ ما فى قلبى فى مهارة لكتسبها قلبه الكبير من ممارسات كثيرة قاسية . . قال :

— اللى انتوا عملتوه صح . . الفساد لكبر مما تتصوروا . . الفساد هو اللى هز منا مش إسرائيل . . الجهل مش جيش الدفاع الإسرائيلى . . البلد لازم تنضير ، علشان نقدر ننتصر .

امتألت عيني لحظتها بصورة عادل — زوج ابنة خالتي — علناً من الحرب، ممزق الملابس ، ممزق الجسد والروح . . تلك الصورة التى لم يتحملها حموه ( زوج خالتي ) فغلار بيت لينته لا يرى ما أمامه لتصنمه عربة تحت منزل الابنة ، ويقضى شهوراً تحت العلاج ، وتكررت صوته — أيضاً — يقول لى وقتها..

— كنا قد أفلتتا بالفرقة الرابعة ( لقوى فرق الجيش المصرى آنذاك ) وتمركزنا عند قناة السويس فى انتظار — وصول الإسرائيليين الذين اخترقوا الجيش للمصرى . . كنا نستطيع أن نفعل شيئاً إذا ما وصلوا إلينا ونحن متمركزين فى

وضع ممتاز، لكن شمس بدران أصدر لنا أوامره بأن نتجه إلى العريش . . أن نعود إليها !!! كان يقول أى كلام . . بل كان يقول كلاماً بعيداً عن أى عقل، بعيداً عن العلوم العسكرية وعن القتال، وتحركنا بعد أن فشل قادتنا فى اقتاعه بالعدول عن فكرته، فصمموا على تنفيذ أوامره عملاً بمبدأ الطاعة، لنقع فى مصيدة إسرائيلية . . تمكنت من تدميرنا بالذنبالم ، بينما كنا نتحرك عرايا من أى غطاء جوى .. بل من أى غطاء أرضى أيضاً، وفقدنا قوتنا الضاربة التى كانت تستطيع أن تمنعهم من السيطرة السهلة على شاطئ قناة السويس الشرقى على الأقل!!.

كانت دموعى فى عيني وأنا أذكر وكانت دموعه فى عيني الملائكتين فهل كان هو الآخر يتذكر !!!

أوصلى عادل إلى بيتنا.

فى البيت لم يسألنى أبى لماذا عدت . . لماذا تركت بيت العائلة . . ولم يشاركنى فى الاستماع إلى خطبة جمال عبد الناصر فى حلوان ١٩٦٨/١/١م . . تلك الخطبة التى أنهاها جمال عبد الناصر بقوله عن زملائنا المقبوض عليهم ( بما معناه ) أنه رغم كل شيء فسوف يعيشون ( يقضون العيد ) وسط أهاليهم .

فرحت بالطبع للإفراج عن زملائنا . . لكن حيرتى لم تهدأ . . لقد تراجعت فقد نزع عبد الناصر القنيل الذى كان من الممكن يعيننا إلى الحركة الصاخبة . المطالبة بالإفراج عن زملائنا المعتقلين . . واتخذ فى نفس الوقت صورة الأب الذى يغو عن أبناء تطولوا عليه . . فهل كان هذا هو ما سعيناه من أجله . . لو هل يمكن أن يصبح ذلك نهاية ما خرجنا فى مظاهرات والخوف والضياح لكى نحقه.

والذى لن يفهم حيرتنا فى هذا الوقت . . لن يفهم لماذا خرجت مظاهرات نوفمبر ١٩٦٨م ( التى ظلمت كثيراً حتى دخل الحركة الطلابية نفسها! ) . بهذه النسوة . . وبهذا العنف فى الإسكندرية ولن يفهم أيضاً لماذا لم يكن لها نفس الصدى العنيف فى القاهرة .

لقد خرجنا في فبراير نطالب بالتغيير وحدث تغيير بالفعل . . تفككت حكمة الصمت الخفية ، وتلقى الحكم العسكري هزيمة عنيفة حين شكل عبد الناصر وزارة مدنية ( هي الأولى في تاريخ ثورته ) من أساتذة الجامعات ، أيضاً ، قطعت اليد الطولى للمباحث العامة ، التي كانت تتصرف من قبل وكأنها المحكمة في رقاب خلق الله ( لو لنكن أكثر صراحة ولنفل أنها كانت المحكمة في رقاب "العبد" ) إذ أنه بعد المظاهرات وما جاء فيها على لسان الغاضبين من هتافات تندد بنظام قاسد وحرريات مفقودة ، وما جاء في بيانات الطلاب أيضاً عن " دولة المباحث ، بدأ التحقيق في قضايا التعذيب ، ذلك التحقيق الذي أسقط هيبتها وسحب منها " شيكاً " قدم لها من قبل على بياض . . ثم كان أن تشكلت لجنة من مجلس الأمة للدراسة قانون الحريات العامة ، ولم يمض طويل وقت (شهر على نهاية المظاهرات) حتى أصبحت شعاراتنا هي شعارات المرحلة في بيان ٣٠ مارس . . وعلى مستوى العمل الطلابي لدخل الجامعة أصبح الحرس الجامعي مقبداً لا يتدخل في النشاط السياسي ، ولا يراقب مجلات الحائط ( الصحافة الحرة الوحيدة في مصر وقتها ، حسب تعبير وائل عثمان – الدقيق للغاية – في كتابه أسرار الحركة الطلابية).

أكثر من هذا صدرت لائحة جديدة لاتحاد الطلاب بالجامعة نزععت عنه وصاية أعضاء هيئة التدريس الذين عدوا في كل الأوقات ، إلى إخماد حماس الشباب ، فإخماد الحماس كلن. ولم يزل – هو الأمن المطلوب ، الذي يكافأ عليه عضو هيئة التدريس ( إذا ما مارسه بنكاه ) ، أما المكافأة فكانت تخرج من المزايا للعينية الصغيرة ، والتسهيلات الاقتصادية ، والأمان الشخصي والتمتع بالسيارة. (السيادية) على الزملاء ، صاعدة – المكافأة – إلى كرسى الوزارة ، وميراث الوزراء من المكاسب التي يتلقاها الوزراء وتصبح من حقهم بعد ذلك وهم وزراء سابقون ، تلك المكاسب التي يعرفها الوزراء ويجهلها الشعب ، وصدرت صحيفة مركزية للطلاب يعبرون فيها عن آرائهم السياسية في حرية ، لم تكن الصحافة المفروضة علينا تتمتع بها.. (أقصد بالطبع الصحافة القومية المملوكة للنظام فطرياً .. وللشعب بالاسم ، بل زولراً وبهتلاً).

حدث تغيير (طالب إجراءاته، واستمرت، ولم ينته إلى نتائج كبيرة) . . ولكن . . وسط هذا التغيير تطلعت محاولات الاحتواء . . (أصبح للحركة قيادات متصلون مباشرة بشعراوى جمعة وزير الداخلية، وأمين التنظيم الشعبي فى نفس الآن !! واخرون يسيطرون عليهم بسلامى شرف، سكرتير الرئيس، والشخصية الكبرى فى التنظيم الطليعى، وكانت هذه القيادات الطلابية (فى نظر النظام وحده فلم تكن نرى فى معظمهم أية مزية أو أية صفة تؤهلهم للقيادة إلا قدرة البعض منهم على خداع بعض الطلاب بعض الوقت) تسعى. أولدت أو لم تلد - إلى تهينة غضبة الطلاب، وإشاعة وعود وتصورات تفوق كثيراً حجم ما أنجز . . أو ما يمكن إنجازها (فى نظر الطلاب) بواسطة سلطة لم تتغير التغيير المطلوب ، (أو هى تمارس للتغيير بأسلوبها هى .. أسلوب التأجيل المستمر بدعى أن الفترة التاريخية دقيقة ولا تسمح)، وفى نفس الوقت الذى سعت فيه السلطات للاحتواء (احتواء الحركة عن طريق السيطرة على بعض قيادتها بكل ما تملك من قوة ومن مكر ومن ذهب المعز أيضاً الذى صار يزف وقمصان وربطات عنق فخمة لدى البعض. وسجائر أمريكية فى جيوب البزات الفخمة !!

وسط محاولات الاحتواء هذه تسميت فى الصحافة ، وعلى لسان المسؤولين نفمة لم تكن صريحة ، ولكنها كانت محسومة ، تؤكد أن ما فات (مرة وعدت) ، وأن الويل والثبور وعظائم الأمور سوف ينتظرون من يحاول أن يعيد الكرة . . وحدث تضخيم أيضاً للشعار " لا صوت يعلو فوق صوت المعركة " ، بينما الجيش المصرى ( الذى ظلمته حرب ١٩٦٧م أو ظلمته قيادتها ) يبدأ فى تنفيذ معارك المنفعية التى كانت بداية مباشرة لحرب الاستنزاف العظيمة.

التغيير على طريقة السلطة ومحاولات الاحتواء والتهديدات الخفية (وتفكك ذهن السيد شعراوى جمعة عن تكوين "الأمن المركزى" المدرب تدريباً جيداً على مواجهة الطلاب بدلاً من بلوكات الأمن التى لم تفلح فى مواجهتهم ولتلى زاد النشر عنها لإرهاب الطلاب بالإداة الجديدة التى أعدها وزير الداخلية وأمين التنظيم

السيسى العلى والمرى!!)، وبداية حرب الاستنزاف . . كل ذلك أربكتنا .. هل نكتفى بهذا القدر من التعبير حتى لا نشوش على المعركة؟، أم نستمر حتى نحصل على كل ما نريده.. ولنعترف الآن . . لنعترف بأننا وقتها ما كنا لنستطيع أن نتخذ قراراً . . ولعلنا الآن لنذكر تلك المقابلة التي كانت أن تضع مستقبلى .

• مقابلة مع رجل يستحق كل تكدير :

الأسماء تفر من ذاكرتى !! لكن ماذكرك جيداً أن حدث وجابنى زميل أعتر به (ممن كانوا رفاق منظمة الشباب فى المدرسة الإبراهيمية الثانوية وهو الآن الدكتور عبد الحميد الجزار الطيب النابه فى أمريكا والذي تستعين به دولة الكويت على فترات) . . كنا قد أصبحنا - هو وأنا - طلبة فى كلية الطب جامعة القاهرة ( حولت من طب المنصورة إلى طب القصر العينى منذ بداية العام الدراسى ٦٨- ٦٩ ) ليخبرنى أن أحد أعضاء هيئة التدريس يريد أن يقابلنى فى كافيتريا "هيئة التدريس" فى الكلية . . كان الموعد غريباً.. ولما رأى زميلى وصديقى الحيرة فى وجهى، قال فى طيبة معهودة فيه ، وفى لهجة أشعرتنى أنه مضطر لسبب ما لإخبارى بالموعد :

- ضرورى تروح يا هشام فى الميعاد .

وذهبت . .

وجدت عضو هيئة التدريس ( لظنه كان مدرساً فى ذلك الوقت ) فى انتظارى، ويادرنى بإصراره على أن أطلب شيئاً طلبت "كابتشينو" وجلست متوجساً فى انتظار الكابتشينو (كنت أريده أن يأتى ليبدأ الرجل للكلام المهم الذى استدعانى من أجله)... جاء الكابتشينو.. ثم بدأ الدكتور - أستاذى - حديثه بالندبة المعهودة ( كنا قد تعودنا عليها فى منظمة الشباب ) قال أن شبلاً مثلى ( فى ظنه ) هم شباب الثورة ، وشباب جمال عبد الناصر.. ، وأن الثورة تمر

باعتلاقة تاريخية ( كل انعطافات الثورة كانت تاريخية !! ) ولأن على شباب عبد  
الناصر أن يبدروا بالوقوف وراء عبد الناصر .

قطعت استرساله سائلاً في سذاجة مصنعة :

- ضد من ؟!

- ضد أعداء الثورة .

- من هم أعداء الثورة ؟!

- معروفون .

قلت محاولاً بشدة أن أخفي ضيقى الشديد متكاملاً في "حيادية" تغيط .

- أنا لا أعرفهم .

أصبحت بالضيق يتسأل إلى وجه عضو هيئة التدريس الذى لا أنكر اسمه .  
قلت لى أنهى المحاورة والمدلورة :

- حضرتك تقصد معارضى جمال عبد الناصر ؟!

للحقيقة كان الرجل شديد الذكاء فإبدرنى بحدة حاول أن يخفيها :

- لا أقصد أعداء جمال عبد الناصر .

وتهد فى ضيق ليسترسل .

- أقصد الرجعيين . . وأعداء جمال عبد الناصر فى النظام .

- والمطلوب ؟!



- أن نقف مع جمال عبد الناصر .

- أين !!

- في التنظيم الطليعى .

- ولماذا لا يقف جمال عبد الناصر معنا !!؟

- مع من !!

- مع أعداء الرجعية، وأعداء أعداء جمال عبد الناصر فى النظام . .

- هل تشك فى أن جمال عبد الناصر وتنظيمه الطليعى ضد هؤلاء !!؟

- الحكاية ليست أننى أشك أو لا أشك.. ولكن صرخاء... عبد الناصر لا يحتاج إلى تنظيم سرى ليقف ضد أعداء ثورته من الرجعيين، وبعض البيرفرطيين والانتهازيين فى نظامه، عبد الناصر يحتاج إلى أن يدعو علنياً لمحاربة أعداء ثورته بنوعيهما . . وساعتها سيكون معظم الشعب المصرى معه ضدهم ، مشكلة الشعب الآن أنه متأكد من أن عهد الناصر سلطنة . . تخفى لخطاها . . لقد تعبنا من حكاية تنقية الثورة هذه من أعدائنا، وتعبنا لأننا فى كل مرة كنا فيها نأخذها جداً، أن نفاجأ بأننا نحن هؤلاء الأعداء الذين لا يتحملنا عبد الناصر " السلطة " لأننا نفصح تكوينات إن لم يكن جمال عبد الناصر يؤيد أقوالهما فهو يرتاح لها لأنها تدفع عنه عمال على بطل فى الظاهر وتمارس فسادها فى السر، محتبة برضاء للنظام عنها.. أن الانتهازيين - يا سيدى - الذين يقولون كلاماً يريعه ليفعلوا أفعالاً تريخهم، وهم دائماً الذين ينجحون فى ضربنا . . بصراحة لن نضم إلى تنظيم لا يحتاج إلى أن يكون سرياً.. إن سرية هذا التنظيم هى ما

تربيتي\*.. كنا في منظمة للشباب علنيا نستطيع أن نحقق ما يريد جمال عبد الناصر الآن .. ومنعا وضربنا، لأن عبد الناصر لم يأخذ صفنا .. ترك الآخرين يفصلون بينه وبيننا لأنهم في ظنه عناصر مأمونة، يحافظون على الثورة.. وبهذا مكثهم من تصفيتنا أكثر من مرة، ولا أظن إلا أن الآخرين هؤلاء هم نجوم التنظيم السري الآن.

- لقد حدث تغيير شامل .

- لا أظن .. نفس الوجوه موجودة بقوة .. وإذا ما كانوا هم الذين سيحدثون من هم أعداء عبد الناصر وثورته ، فلنا أضمن لك من الآن أنني عمو جمال عبد الناصر وثورته . أضمن لك.. بل واتجاسر وأحذر من أن المخلصين سيكونون بقدر قدر هم أعداء الثورة لأنهم أعداء الانتهازيين الذين يرتاح جمال عبد الناصر لكلامهم المعن لستار دخلتهم الذين يمارسون من ورائه كل الفظايع ... إن للرئيس بحسن نية يعادى من يعاديههم! (أقصد يعادى من يعادى الانتهازيين!!!)

- لا تقل هذا الكلام .

- لكنني أقوله .. وأقول بشكل أوضح .. لأن هؤلاء هم رجاله ورجال ثورته .. أنا ضد عبد الناصر وضد ثورته .

سكت للرجل .. وبعد لحظة فوجئت به يقول لي في حنان أخاذ

- اعتبر إن إحنا ما تكلمناش مع بعض .

أذكر الآن لهذا الرجل الشريف .. الذي أجهدت ذهني لأذكر اسمه .. إنه

\* سقرا تحليلاً لتنظيم عبد الناصر الطليعي والديمقراطية التي لم يكن يعرف غيرها جمال عبد الناصر .. وهي لا تشبه الديمقراطية إلا في الاسم - في باب تنظيم عبد الناصر الطليعي\*.

حملنى من نتيجة انفلاتى العصبى . . وقول ما لا يقال .

كان رجلاً ....

بهذا الانفلات العصبى إذا كنت قد أحسنت تصويره . . خرجت حركة  
نوفمبر ١٩٦٨م غاضبة حتى درجة الانفلات ، عنيفة حتى درجة الغليان ، وضد  
جمال عبد الناصر.

ولعلنا نتوقف مدققين فى أمرين أراهما قلارين على أن يشرحا لماذا كان  
الغضب؟ ولماذا كان الانفلات الجليح فى مظاهرات نوفمبر ١٩٦٨ .

أول الأمرين هو بيان ٣٠ مارس (نفسه)

وثانى الأمرين هو تنظيم جمال عبد الناصر الطليعى.



(٩)

بيان تأجيل الأحلام  
الجماهيرية إلى أجل  
غير مسمى



أعلن الرئيس جمال عبدالناصر بيان ٣٠ مارس\* ليمتص غضب الطلاب، وغضب الحركة الشعبية بفصائلها المختلفة، يزعم أنه سوف ينفذ مطالباتهم، ولكن يتخذ الأمر فرصة، بعد أن هزت المظاهرات شرعيته، وشرعية نظامه، لتدعيم شرعيته وشرعية نظامه باستفتاء علم طلاب به في نهاية البيان، وتم تنفيذه بالفعل (وجاء بنتائج مبهرة !!!)

ضم البيان كلاماً جميلاً ووسماً زعافاً .

الكلام الجميل أراح النفوس لوقت قصير .. لكن السم للزعاف عندما مسرى في أوصال "الموافقين" بعد ذلك، أحال رحلتهم غضباً وهدأتهم انقلبتا.

لقد وصف جمال عبد الناصر بيانه (في بيانه) بأنه "برنامج للتغيير يستجيب للأمال العربية التي حركت جماهير شعبنا إلى وقفها للخلافة يومى ١٠،٩ يونيو" وقال " إن التغيير المطلوب لا بد وأن يكون تغييراً فى الظروف وفى المناخ ( ) يجب أن يكون فكراً أوضح وتخطيطاً أدق " .

كلام جميل !!! فأين السم النافع فيه ؟

كان السم هو تجاهل عبدالناصر لمظاهرات فبراير (التي جاء البرنامج رداً عليها، لتهنئتها) وحديثه عن وقفة الجماهير الخلافة فى ١٠،٩ يونيو، ولقد كان عبدالناصر يعرف أن الوقفة الخلافة فى ١٠،٩ يونيو (وكان هيكل صانع البيان أيضاً يعلم) لم تكن دعوة للتغيير، بل كانت دعوة للاستمرار، الاستمرار فى طريق الثورة لتقوية الفرصة على الاستعمار العالمى وطليعته فى المنطقة (إسرائيل)، فى أن يجنوا ثمار انتصارهم العسكرى الدوى على نظام عبد الناصر .... عبد للناصر

\* نص البيان فى ملاحق الكتاب.

كان يفهم (وهيكل أيضا) أن وقته الشعب لم تكن من أجل عبدالناصر شخصياً، ولكن كانت من أجل ثورة نادت بأمال الشعب المصري، وحقت بعض الأمل، كانا يفهمان ذلك بديل أن البيان نفسه وصف الوقفة الخالدة في ١٠،٩ يونيو (وهي حقيقة خالدة) بأنها انظهرت تصميمها "يرفض الهزيمة ويثق في للنصر" ولم يكن هذا الوصف تواضعا من جمال عبدالناصر، الذي نادت المظاهرات في ١٠،٩ يونيو بعودته وبقائه، فالحقيقة أن المظاهرات نادت بعودته رفضا للهزيمة، ورفضاً لأن يحقق الأمريكيون رغبتهم ضد أماني هذا الشعب .. (ناهيك عن أن حجم المأساة التي قادتنا للهزيمة المرة لم يكن قد اتضح بعد).

والحقيقة أن رجال عبدالناصر (فهموا مغزى الوقفة أو لم يفهموه) كانوا يصورون الأمر دائما على أن ما حدث في ١٠،٩ يونيو، كان تمسكا بعبدالناصر (شخصيا) وتقويضا له بأن يفعل كما يشاء، ولم يكن الأمر كذلك أبدا، بديل أن صيحات الجماهير والمتقين من أجل التغيير، بدأت مباشرة بعد أن حقق الشعب رغبته في الاستمرار، وكلفت صيحات التغيير هذه رفضا للتقويض، وقبولا لعبد الناصر، ليس كما كان، ولكن قبولا لعبدالناصر "بشروطهم".

لأن لماذا اختار جمال عبدالناصر تلك الوقفة الخالدة (التي كان يفهم مغزاها جيدا، وكان يفهم مغزاها هيكل أيضا) ليكون بيان ٣٠ مارس استجابة لها !!؟ هذا هو السمع الزعاف بعينه !.

إنهما (عبدالناصر، وصانع أفكاره وناصحه محمد حسنين هيكل) أرادا بهذا الاختيار أن يقولوا للناس شيئين

أولهما : أن المقبول هو التقويض الكامل أما "الاعتراض والمطالبة" فهما غير مقبولين على الإطلاق (العسكريون يتعاملون مع مطالب الناس) على أنها "لوى ذراع" غير مقبول، وبالتالي يرون للديمقراطية هي الأخرى لى ذراع، ويرونها لهذا مرفوضة، لقد أحب البيان أن يقول للناس (نسا للسم الزعاف) ١٠،٩ يونيو مقبولة، أما للتظاهر والضغط على الحاكم فمرفوض ولن يأتي بآية نتائج).

ثانيهما : تصوير أن مطالب الناس، هي ما كان يريد أن يحققه جمال



عبدالناصر وما سوف يحققه، فلماذا للتظاهر و"شغل العيال" بدون "شغل العيال" هذا، كان جمال عبدالناصر ميقن لكم ما تريدون، فلما واستريحوا وانتظروا .

لقد كان كل ما يريده جمال عبدالناصر هو أن ينتظر الناس، وأن ينتظروا هادئين ... (سواء استطاع عبدالناصر تنفيذ ما يريدونه، أو خذله الظروف التاريخية الصعبة والمنعطفات الحرجة و... سلسلة الحجج الجاهزة .. وبعضها كان حقيقياً فلم يستطع أن ينفذ شيئاً، إلا ما تقبله "مماغه").

لهذا حرص البيان على أن يقول "وإنى لأرجو أن يكون اتفاقنا كاملاً (خل بالك من "كاملاً" هذه) على أنه ليس هناك الآن، ولا ينبغي أن يكون (خل بالك من "لا ينبغي" هذه) صوت أعلى من صوت المعركة ولانداء أنفس من ندائهم".

كان المعنى المراد من هذه الكلمات "انتظروا .. انتظروا .. لا تطالبوا بالتغيير لأن وراعا معركة.."، بل كان معناه "أن من يطالب بالتغيير خائن لأنه يعطل المعركة، ولأن صوته يعلو على صوتها !!!" .

لقد كنا نطالب — والحركة الشعبية الأم — بالتغيير، لبناء دولة عصرية قادرة على الانتصار في كل معاركها، سواء معاركها العسكرية، أو معركتها الكبرى في التنمية لصالح الشعب وقدراته الفعالة، وكنا نرى أن "ثولتنا" بدون التغيير المطلوب، بل التغيير الذي كان قضية حياة أو موت .. لن تقوم لها قائمة (القائمة التي نريدها، وليست القائمة التي يجيد العسكريون توصيلنا إليها بأخطائهم للفاحشة)

كنا نريد ذلك .. وجاء بيان ٣٠ مارس ليقول لنا انتظروا، سوف يحقق جمال عبدالناصر لكم ما تريدون عندما يستطيع !! إنفس اللعبة التي مارسها معنا السادات فيما بعد، لكنه كان يقصد "انتظروا حتى، النهائية"، نهاية أعلامنا بالطبع في التحرر الوطني الذي هو العزة القومية التي ترفض التبعية، نهاية حلمنا في العدل الاجتماعي، في الديمقراطية الحقيقية (التي هي بالطبع شيء آخر غير ديمقراطية "أبقى هيب في الجرايد" على رأي بيرم التونسي رحمه الله) وفي تكوين كيان عربي موحد يستطيع الوقوف في وجه التكتلات الكبرى في عالمنا ... وهذه هي

خطورة اللعبة .. فنتائج الانتظار والتفويض تعتمد على شخص الحاكم ومراميه الخفية، لهذا كنا نرفضها مع عبدالناصر الذي نتق في وطنيته ونزاهته، ونرفضها مع غيره ممن لانتق فيهم، فما الذي يضمن لنا، لقد خذل عبدالناصر لوطنى الشريف أماننا وجاعنا بالنكسة.. وخذل "السادات" ومدرسته، أماننا .. وجاعنا بالنكسة الكبرى .]

مادام الأمر كذلك... فلماذا للتأخير...

ولكى يبرر جمال عبدالناصر أن بيان ٣٠ مارس (الاسباب التى وضحتها) كان استجابة لوقفه الشعب فى ١٠،٩ يونيو (ولم يكن استجابة لأى شىء آخر!) كان عليه أن يبرر تأخر البيان عشرة شهور كاملة بعد الوقفة للخلافة ولم يكن الأمر يستعصى عليه (المشكلة أن الأمر لا يستعصى على العسكريين أبداً، ولا على ناصحيهم .. ولا على "المطبلين" لهم وهم غير الناصحين بالفعل)

برر عبدالناصر تأجيل البيان (كما أحب أن يظهر لنا الأمر) بأن كان عليه أن ينجز إنجازات تاريخية قبله .. حتى نستطيع أن نتطلع إلى المستقبل (بالبليان ١١) لولها : إعادة بناء للقوات المسلحة.

ثانيها : تحقيق الصمود الاقتصادى.

ثالثها : تصفية مراكز القوى (بالطبع كان قرأنا بعضهما، ليستشروا فيها البعض الآخر).

رابعها : فضح تحريفات ولخطاء المرحلة السابقة عن طريق المحاكمات العلنية (هكذا قال فى بيانه!).

خامسا : القيام بجهد سياسى على جهات عربية وجبهات دولية .

كانت النقاط الخمس هذه هى تبرير جمال عبدالناصر لتأخر البيان بعد وقفة تسعة وعشرة يونيو، كانت التبرير الذى لجهد عبدالناصر نفسه، ليقوله، حتى لا يعترف بأن المظاهرات استطاعت أن تلوى ذراعه

ولكن عبدالناصر، كان يعلم أننا كنا نطالب بالديمقراطية .. (لتى كان فهمنا

لها قاصراً، ليس بسبب أعمارنا الصغيرة وحدها، ولكن أيضاً بسبب التجهيل المستمر بماهيتها، لقد كنا نفهمها فقط على أنها حرية للرأى والفكر وحرية الاعلان عنها (وهما يشملان حرية الصحافة) ووصول ممثلين حقيقيين لنا ولأماننا إلى مجلس الأمة .. وحرية العمل النقابى، هذا كل ما كنا نفهمه عن الديمقراطية، كان فهماً قاصراً، يتجاهل أو يجهل أسس الديمقراطية للراسخة فى المجتمعات .. لهذا كنا نطالب الحاكم بالديمقراطية، ولا نطالب بترسيخ أسسها فى مجتمعنا!! وكان يعلم أيضاً أننا لن نسكت حتى نتحقق (ولو على أساس فهمنا للقاصر) لهذا قرر جمال عبدالناصر أن يتكلم عن الديمقراطية التى نريدها، ولكن بالشكل الذى يريده هو !!!

### نعم للديمقراطية ... المؤجلة !!.

قال البيان "إن للمسئولية التاريخية (كل مسئوليات الثورة تاريخية !!) للأيام العصبية (وكل أيامها عصبية !!)، والمجيدة (وكل أيامها مجيدة، حتى تلك الأيام التى تلت نكسة يونيو ١٩٦٧ !!!!) التى نعيش فيها، ونعيش لها، تطرح علينا برنامج عمل له جانبان .

للجانب الأول : حشد كل قوانا العسكرية والاقتصادية والفكرية، على خطوطنا مع العدو لتحرير الأرض وتحقيق النصر .

للجانب الثانى : تعبئة كل جماهيرنا (..) من أجل ولجبات التحرير .. والنصر ومن أجل آمال ما بعد النصر (خل بالك من أن "الآمال" بعد النصر .. إنها إشارة واضحة لفلسفة "لنتظروا")

هذا هو البرنامج، وهذان هما جانباه . فإين الديمقراطية !!!؟

قال البيان "إنه من الضروري والحى حشد كل القوى الشعبية ويوسيلة الديمقراطية وعلى أسسها وراء أهداف نضالنا القريبه والبعيدة .."

الديمقراطية التى ارادها جمال عبدالناصر ان كانت وسيلة حشد ولم تكن وسيلة تصحيح مسار (يريدها حشداً وراء مساره هو).

وقال البيان "إن صيغة الاتحاد الاشتراكي بالانتخاب أكثر الصيغ ملائمة لحشد القوى الشعبية بوسيلة الديمقراطية.. بعد تجديد الاتحاد الاشتراكي بالانتخاب بدلاً من التعيين

أى أن الأمر سيبقى على ما كان عليه.. الديمقراطية وسيله حشد، والاتحاد الاشتراكي، وسيلة وسيلة الحشد !!!

هكذا ابتلع البيان الديمقراطية لتنى تلحم عنها .. البيان .. كثيراً جداً !!!  
وبالطبع كان لابد وأن يجيء الدور على بقية مطالب الطلبة (مطالب الحركة الشعبية الأم، لتنى أعلنها الطلاب إعلاناً صاخباً مندوياً)

تصورات جمال عبد الناصر ... لا مطلبنا !!!.

قال البيان "لكى يكون هناك ضوء كاف على طريقنا فإننى أريد من الآن أن أضع أمامكم تصورى لبعض المهام الرئيسية فى المرحلة للقائمة من نضالنا ..

إنها ليست مطالب للشعب .. إنها تصورات للرئيس جمال عبدالناصر ..  
(حتى لا يعترف بأن من الممكن الضغط عليه ١٠٠) أما تصوراتك (!!!) فهى :

١- تأكيد وتثبيت دور قوى الشعب العاملة وتحالفها وقيادتها فى تحقيق سيطرتها بالديمقراطية (إياها) على العمل الوطنى فى كافة مجالاته ..

٢- تدعيم عملية بناء الدولة الحديثة فى مصر (لتنى تقوم على الديمقراطية "إياها" وعلى العلم والتكنولوجيا)

٣- إعطاء التنمية الشاملة دفعة أكبر فى الصناعة والزراعة (...) مع الضغط على أهمية إدارة المشروعات وإدارة اقتصادية وعلمية .

٤- العمل على تدعيم القيم الروحية والخلاقية والاهتمام بالشباب إتاحة الفرصة لملمه للتجربة .

٥- إطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية (...).

٦- تعميق التلاحم بين جماهير الشعب والقوات المسلحة .

٧- توجيه جهد مركز نحو عمليات البحث عن البترول لما أكتفه الشواهد العملية من احتمالات بترولية واسعة في مصر (..).

٨- توفير الحافز الفردي تكريماً لقيمة العمل

٩- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب .

١٠- ضمان حماية الثورة في ظل سيادة القانون

ولابد الآن أن أقول للقارئ، إن التصورات (١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٨) ، (٩) كانت بعض مطالبنا ... .

أما التصورات (١١) ، (٦) ، (١٠) فقد كانت بعض مطالب جمال عبدالناصر .

يبقى للتصور (١١) رقم (٧) وهو الخاص بالبترول .. فهل وضع هذا "حلوة" لمن سينتظر هائناً فتفجّر الأمور من حوله، ويطلع لها حل من تحت الأرض !!!!

ولعل القارئ قد لاحظ، مثلاً لاحظنا أن التصور (١١) رقم (٤) يضم عنصريين، وكان الأولى (والأمر الذي لم يكن ليفوت فصاحة الأستاذ هيكل) أن يصبح تصوريين هما العمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية ... . والاهتمام بالشباب، فهل لنا أن نتساءل لماذا دمجا في تصور واحد !!!! هل كان المقصود أن الاهتمام بالشباب لن يكون إلا إذا تمسكوا بالقيم الخلقية ولم يتظاهروا ضد جمال عبدالناصر ؟

للمستعجل ينتظر الدستور الدائم !!

كانت هذه بعض مطالبنا كما قلنا .. فلين بقية المطالب ؟

الاجابة تأتي من البيان .. بقية المطالب موجلة (انتظروا) حتى يتم اعداد دستور دائم بدلاً من الدستور المؤقت الصادر في ١٩٦٤ .. وكانت أهم هذه المطالب الموجلة (وخل بالك كويس)

■ أن تتوفر كل الضمانات للحرية الشخصية والأمن بالنسبة لجميع المواطنين وفي كل الظروف (موجلة !)

- أن تتوفر كل الضمانات لحرية التفكير والتعبير والنشر والرأى والبحث العلمي والصحافة (لاحظ تأخر الصحافة إلى آخر الصف، ولاحظ أن كل الضمانات بما فيها ضمان حرية الصحافة مؤجل !)
  - أن ينص الدستور على تحديد واضح لمؤسسات الدولة ولختصاصاتها بما في ذلك رئيس الدولة والهيئة التشريعية والهيئة التنفيذية (الفصل بين السلطات أولى مبادئ الديمقراطية .. .. مؤجلة !!)
  - أن ينص في الدستور على حصانة القضاء وأن يكفل حق التقاضي ولا ينص في أي إجراء للسلطة على عدم جواز الطعن فيه أمام القضاء، ذلك أن القضاء هو الميزان الذي يحقق العدل ويعطي لكل ذي حق حقه ويرد أي اعتداء على الحقوق أو الحريات (مؤجلة !!)
  - أن ينص الدستور على حد زمني معين لتولي الوظائف السياسية والتنفيذية الكبرى وذلك ضماناً للتجديد وللتجديد باستمرار (طبعاً مؤجلة .. ونص !)
- كل هذا من مطالبنا غداً مؤجلاً إلى حين اعلان الدستور الدائم (مستأثر الثورة كفت مؤقتة !!)، وغداً الدستور الدائم نفسه مؤجلاً فيما بعد.
- بمرور الوقت رأت الحركة الشعبية أن القليل الذي نص عليه بيان ٣٠ مارس كان كلاماً جميلاً (لكنه وضع على الرف)، وبدلوا يشعرون فيه بثقل الاسم الزعاف .. سم الديكتاتورية التي ترى الخضوع لمطالب الشعب ضعفاً، والتي حين تضعف ، تتاور وتسوّف وتؤجل .. ونفتح علينا أبواب دعايتها التي تصم أذاننا ليلاً ونهاراً بأن ليس في الامكان أحسن مما كان .. فانتظروا هانئين .
- بمرور الوقت أيضاً رأت الحركة الشعبية، أن الدستور الدائم (الذي يضم بقية أماليها في تلك الفترة) سيبقى مؤجلاً إلى أجل لن يحين، فهو فيما يبدو كان يمتلك صوتاً أعلى من صوت المعركة !!!.

أكثر من ذلك ارتكبت السلطة الناصرية قفازاً من قطيفة ناعمة، وراحت تكيل لضربات الموجعة، والمربعة للمعارضين بحجة أن المعارضين بمعارضتهم العلنية

الرجل الذي ولجّه رمضان جمال عبد الناصر والسادات

يفسحون للمجال للثورة المضادة وأعداء الثورة من الرجعيين لضرب الثورة وإنجازاتها الشعبية ..

كان الواضح (للاسباب المفاقمة) أن سلطة جمال عبدالناصر، كانت قد قررت ألا تستسلم للضغط الشعبي (لوى النزاع) وأنها ستظل ساهرة فيما هي فيه والذي جلب علينا نكسة لا تحتمل ولكن تحت شعارات جديدة، برقة كسابقتها !! ...

لقد بدأ البيان بسحب المبادرة من الجماهير.

وانتهى بتأجيل الأحلام.





(١٠)

تنظيم جمال  
عبد الناصر  
"الطليعة" !!



التنظيم الطليعي كما عرف الناس اسمه . أو تنظيم "طليعة الاشتراكيين" كما سماه جمال عبدالناصر، كان هو المحاولة الرابعة لجمال عبدالناصر لكي يجعل للثورة تنظيماً، كانت هيئة التحرير تنظيم للثورة الأول، وتلاها الاتحاد القومي، أما الثالث فكان الاتحاد الاشتراكي العربي .. ثم كان التنظيم الطليعي آخر المحاولات كان رابعهم ..

وبرغم أن عبدالناصر أجهد نفسه، وأجهد فلامفته، كثيراً، لكي يؤكد في أكثر من مناسبة أن كل تنظيم من هؤلاء، كان يختم مرحلة ثورية معينة، من مراحل الثورة للعديدة . أي أن واحداً من الثلاثة الأول، لم يكن يشبه الآخر، لا في عناصر تكوينه ولا في أهدافه، برغم ذلك أورد عبدالناصر تنظيمه الرابع "طليعة الاشتراكيين" أن يكون تنظيماً مختلفاً عن للتنظيمات السابقة جميعاً .. إذ كان قد وعى الدرس . (أو هو ظن ذلك) في صعوبة بل استحالة تكوين تنظيم ثوري من موقع السلطة .

قرر جمال عبدالناصر أن يقيم تنظيمه الرابع بشكل سرى، أي أن يكون تنظيمه الطليعي سرياً ، وكان لتلك السرية غرض في نفس جمال عبدالناصر .

في الاجتماع التمهيدى الأول<sup>(\*)</sup> الذى عقده جمال عبدالناصر، لإنشاء تنظيمه . وحضره السادة على صبرى، محمد حسنين هيكل، أحمد فؤاد، عباس رضوان، وسامى شرف . قال جمال عبدالناصر إنه يحب أن يضع أمام المجتمعين عدة نقاط .. أولها تقديره للكامل لصعوبة تكوين حزب من قمة السلطة أو بواسطتها

(\*) اعتقد في معظم ما جاء في هذه الجزئية تنظيم عبدالناصر الطليعي" على حوال فى كتاب، لجراه عبدالله أمل مع سامى شرف سكرتير الرئيس للمطومات والرجل الثاني فى التنظيم، سماه (عبدالناصر وكيف حكم مصر؟) مذبولى الصغير . القاهرة . الطبعة الأولى عام ١٩٩٦ .

(كان عبد الناصر يظن أنه وعى الدرس ولم يكن الدرس شيئاً سوى) لما يترتب على ذلك من مصاعب، ومشاكل من بينها، محاولات تسليط العناصر الانتهازية إلى تنظيمات السلطة .

ثانية النقاط : الإصرار على السرية، سواء في الاتصال بالكوادر أو في الاجتماعات (التنظيمية) أو في تداول المناقشات (بين الأفراد في غير الاجتماعات التنظيمية) والتي تتم بين الأعضاء.

ثالثة النقاط : العمل بقدر الإمكان (خل بالك من قدر الإمكان هذه) على مراعاة الطبيعة البشرية، ونوعية العناصر التي تساهم في هذا العمل ( هؤلاء الذين سوف يتم اختيارهم وتجنيدهم سرّاً للعمل التنظيمي، فطبيعي أن لا يتقدم الأعضاء بطلب للتحقق أو ضم لحزب سرّي)، على أن تنطبق على الشخص المرشح الشروط والمواصفات، وألا تتم مفاتحة العضو في أمر إختياره وتجنيده إلا بعد أن يوضع فترة كافية تحت الاختبار تكفي لأن تدرس القيادة الميليسية موقفه بالدقة اللازمة .

رابعة النقاط : كانت الشروط للوجوب توافرها في العضو، مع الوضع في الاعتبار العوامل الإنسانية والعوامل البشرية (محيرة تلك العوامل البشرية والإنسانية التي يرد ذكرها كثيراً في الاختيار، لم أكل لك من قبل خلّ بالك ! ) ومنها أن المرشح لا بد أن يكون مؤمناً بثورة ٢٣ يوليو وقوانينها (مع أن القوانين قابلة للتغير !!) عن قناعه، مؤمناً بالنظام الاشتراكي، وقادراً على الالتزام بالسرية، وأن يكون عنصراً حركياً يستطيع أن يناقش وأن يقنع الجماهير (خل بالك بقوة من يقنع الجماهير هذه)، يقبل النقد، ويمارس النقد الذاتي . (هل هذه عوامل إنسانية وبشرية ؟)

خامسة النقاط : أن تتوفر فيه الطهارة الثورية (لم يكن من الوجوب ضم تلك النقطة على ما قبلها، أليس هذه وما سيتلوها شروطاً من الوجوب توافرها في العضو المختار ؟) مع الوضع في الاعتبار العنصر البشري (مرة ثالثة !!!)، كما أن يكون المرشح عنصراً مفيداً في حركة التنظيم، بمعنى أن يكون جماهيرياً،

خاصة في المرحلة الأولى (!!!) فُتُرح العنصر التي لها القدرة على التحرك، وسط الجماهير بشكل مقبول ومقنع (..) للقادرين الذين يُعتمد عليهم فسي الدعوة والفكر وفي كل المهام السياسية (خل بالك أيضاً بقوة من الدعوة والفكر تلك).

هذا ما قاله جمال عبدالناصر في الاجتماع التمهيدى الأول لإنشاء حزبه الرابع، حزب طليعة الاشتراكيين ولعل القارئ قد لاحظ أننى مؤخراً قد استبدلت صفة حزب بصفة تنظيم ... فالحقيقة .. التي مسنوردها بعد قليل . أن عبدالناصر أراد تنظيمه الطليعى هذا حزباً، أيضاً لغرض فى نفس جمال عبدالناصر . لكن ما يعطينا الآن أن نركز على :

- إصرار عبدالناصر على سرية تنظيمه الذى سيتحول إلى حزب .
- ورود لفظ "بندر الإمكان" بعد أى جملة تتضمن العوامل البشرية .

وفى الاجتماع التمهيدى الثانى لإنشاء التنظيم الطليعى . قال جمال عبدالناصر "لا بد من التعرف على الوسائل الإيجابية التى تمكن من التوصل إلى العمل السياسى بحيث يكون للتنظيم موصلاً جيداً بين القيادة والقاعدة (بعد ثلاث محاولات لإقامة تنظيمات للثورة .. يرى جمال عبدالناصر ضرورة التعرف على الوسائل الإيجابية التى تمكن من التوصل للعمل السياسى !! ، أيضاً خل بالك من الترتيب فى جملة "موصلاً جيداً بين القيادة والقاعدة ..) وأن يكون مستعداً للكفاح والنضال من أجل تحقيق الأهداف التى أعلنتها ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وقال أيضاً :

تريد أن نغير الوضع، ونبتعد عن العمل بالكلام فقط (يقصد أن تقول كسان بدلاً للفع) للناس شعبوا "كلام"، ونريد مزيداً من العمل، للناس يريدون معرفة (خل بالك من معرفة هذه) ماذا تم بالنسبة لأهدافنا بتحقيق المجتمع الاشتراكى (عبدالناصر فى كل عيد ثورة كان يكلمنا عن إنجازات الثورة منذ قامت عام ١٩٥٢ إلى تاريخ العيد الذى يتكلم فيه .. وما زال وهو ينشئ تنظيمه الطليعى حزب جمال عبدالناصر الممستقبلى متصوراً أن الناس تحتاج أن تعرف ما تم !!) وهى أهداف

واسعة، والعملية ليست مرسومة فى تقارير، فليس هناك رسم معين للعملية<sup>(\*)</sup> (هو هنا يقصد الخطة العملية لتنظيمه) (..) تصور أن أمامنا عمليتين أساسيتين هما :

١- عملية التقصير (خل بالك !!) وتنشيط العمل الميائسى للقمم .

٢- عملية للتنظيم الميائسى لداخلى

ولكى نفهم جيداً ما قاله جمال عبدالناصر فى الاجتماعين للمهيديين - الأول والثلى - دعونا نفهم فكرة التنظيم أولاً.

اصطلاح عصفورين ... بتنظيم واحد

لقد استفاد جمال عبدالناصر من أن فكرة وجود تنظيم داخل الاتحاد الاشتراكى كانت قد وردت فى الميثاق الوطنى، إذ ذكر الميثاق أنه "لابد أن يكون فى الاتحاد الاشتراكى جهاز يكون بمثابة القلب من الجسم أى أنه هو الذى يحرك الاتحاد الاشتراكى، للتنظيم الكبير الواسع، استفاد عبدالناصر مما جاء فى الميثاق ليضرب عصفورين بتنظيم واحد !.

الأول : أن يحرك الاتحاد الاشتراكى (وخل بالك من تحريك هذه) بجهازه الذى لسماء "طليعة الاشتراكيين"، مخططاً لأن يعمل تنظيمه الجديد المسمى فى كل مستويات الاتحاد الاشتراكى من القمة إلى القاعدة، لينشط العمل بأساليب جديدة ويعطى دفعة قوية لعملية التقصير (!!) وفى ذلك قال "لنت تعمل خلال جماهير الاتحاد الاشتراكى والقاعدة قاعدة الاتحاد الاشتراكى، ومن خلالها تحدث مناقشات ولقاءات، ولتعرف على مشاكل الجماهير والعمل على حلها"، ذلك لأن "التنظيم هو الذى يجعل القيادة متصلة بمشاكل الناس، ويعمل على حل مشاكل الناس، والمشاكل لن تنتهى، وهى ليست موجودة فى مجتمعنا فقط فهى موجودة فى كل المجتمعات، ولاشك أن للتنظيم (الطليعى) هو الذى يجعلنا قادرين على التحرك نحو حلها، وأن

(\*) الاضطراب الحادث فى بعض الجمل، الذى يؤدى إلى صعوبة فى الفهم، ليس من عدى فلما نقل عن الكتاب مباشرة . وأحاول التقصير قدر الإمكان .

نرد بصراحة ووضوح وانفتاح، حتى تتم للتوعية السليمة في المشاكل التي لا يمكن حلها" (خل بالك من كلمتي "يرد" و "التوعية")<sup>(١)</sup>.

الثاني : (ثاني العصفورين الذين أُرَادَ عبدالناصر ضربهما بتنظيم واحد) أن يجعل من هذا الجهاز (التنظيم) حزبه (حزب جمال عبدالناصر) عندما يطن تعدد الأحزاب، في قول بعد تحرير الأرض العربية (عبد الناصر لم يكن يعنى أبداً بتحرير الأرض المصرية، كان يعنى دوماً - وهذه حقيقة نذكرها للرجل - بتحرير الأرض، تحرير الأرض العربية كله التي اغتصبها العدوان الصهيوني عام ١٩٦٧) وفي قول ثان، بعد إزالة آثار العدوان (أي بعد أن يحرر الأرض العربية ويزيل آثار العدوان!) وفي قول ثالث، أنه كان سيطن تعدد الأحزاب بدلاً من حزبه الأوحده الحكم، بعد إعادة البناء.. (أي بعد أن يحرر الأرض، وبعد أن يزيل من الأرض المحررة آثار العدوان، وبعد أن يعيد البناء الذي دمرته للحرب والذي توقف أيضاً بسببها!).

يقول سامي شرف في أيامه الأخيرة - على نحو ما تثبت المحاضر - قرر عبد الناصر أن يكون هناك أكثر من حزب سامي بعد تحرير الأرض (هذا هو لقول الأول) ومن المفارقات أن الذي اعترض على ذلك، هو أنور السادات، الذي لم يكن عضواً في تنظيم طليعة الاشتراكيين" ص ١٨٣.

ويقول أيضاً لم يكن غائباً عن فكر جمال عبد الناصر تعميق الديمقراطية بشكل عام، وقد تطور في تفكيره عام ١٩٧٠ (في أيامه الأخيرة بالفعل، فقد توفى في نفس العام) إلى تقرير أنه لابد من وجود أكثر من حزب (...) وكان قد استقر

(١) لخبيرني المهندس أحمد الحمدي وكان من قيادات الطلبة البارزين في جامعة عين شمس، ومن قيادات التنظيم الطلابي البارزين أيضاً، والذين كان اتصالهم مباشرة بسمي شرف أن التنظيم كان له فرع داخل القوات المسلحة وكان يشرف عليه سامي شرف شخصياً، ذلك أن عبدالناصر كان قد أسس من "ثورية" عبدالحكيم عمر، فكان لابد وأن يفتح في "ريادي" محمد فوزي القائد العام للقوات المسلحة بعد النكسة.

منذ فترة على أن يكون تنظيم طليعة الاشتراكيين حزباً ص ١٩٢.  
ويقول سامي شرف أيضاً "عبد الناصر كان قد قرر أن تأخذ مصر بنظام  
التعدد الحزبي بدءاً من عام ١٩٧٥، حيث تكون قد أزلنا العدوان من الأرض  
العربية تملأنا وأزلنا آثار العدوان ص ٢٠٥" (القول للثاني) وبعد "إعادة البناء ص  
٢٢٧" (القول للثالث).

هذان إذن العصفوران اللذان أراد عبد الناصر ضربهما بتنظيمه. وإن كان  
من الواضح إذا ما دققنا في جملة سامي شرف "وكان قد استقر - جمال عبد  
الناصر - منذ فترة على أن يكون تنظيم طليعة الاشتراكيين حزباً" أن العصفور  
الأول (تفعيل الاتحاد الاشتراكي وتنشيط عملية التغيير، أو شرح ما هو كائن  
للجماهير) كان هو العصفور الأهم لدى جمال عبد الناصر... من الواضح أن عبد  
الناصر أراد العصفور الأول، ثم بعد ذلك استقر على أن يضرب العصفور الثاني  
بتنظيمه الطليعي... على أن يضرب العصفور الثاني بعد تحرير الأرض العربية،  
وإزالة آثار العدوان عن الأرض المحررة، وإعادة البناء (يعني جلنى!!).

لهم الآن - بعد كل ما ذكرنا - أن نستطيع رسم صورة للديمقراطية كما  
كان يفهم جمال عبد الناصر معناها، وليس كما يجب أن تكون، والتي في سياقها  
عدم جمال عبد الناصر - بعد للنكسة - إلى إقامة تنظيمه الطليعي (وهي صورة  
نستكمل بها الصورة التي استخرجناها عن بيان ٣٠ مارس).  
صورة... والفرشاة كلمات جمال عبد الناصر.

إن الملامح التي تستطيع أن ترسم لنا الصورة فيما سبق من كلمات - لا بد  
وأن تكون:

أ - إصرار عبد الناصر على سرية تنظيمه.

ب - كلمات وجمل مثل "الدعوة والفكر"، "نقاش - التنظيم - ويقع الجماهير"، أن  
يكون التنظيم "موصلاً جيداً بين القيادة والجماهير"، "لناس يريدون معرفة ما



ثم...، "ترشيح العنصر التي لها قدرة على التحرك، وسط الجماهير"، "عملية التفسير"، "تحريك الاتحاد الاشتراكي"، "من القمة إلى القاعدة"، "حتى تتم الثورة السلمية".

جـ - جملة "قدر الإمكان" التي ترد بعد كل ذكر للعوامل البشرية والطبائع البشرية (بشكل محير!!).

هذه هي الملامح... ولعل للقارئ قد لاحظ أن كلها ملامح قديمة قدم الثورة كلها، لم يصف عبد الناصر جديداً إليها - في نهاية حياته "وقد تطور في تفكيره" - غير "السرية". (إذا كانت تنظيمات الثورة - بعد قيامها - بتنظيمات علنية، تسعى إلى حشد الجماهير - الشعب - المواطنين، حول مبادئ الثورة... ولكن فلننته من السرية أولاً (تلك الجديد المضاف) حتى نخلص إلى رسم ملامح الديمقراطية (الناصرية) (بعد أن تطور فكر جمال عبد الناصر في أيامه الأخيرة).

### لماذا "السرية" ... ولماذا توقيتاتها الدقيقة !!

لقد أصبحت السرية مطلباً أساسياً لمحا عبد الناصر في آخر تنظيمات لثورة، خصوصاً بعد نكسة يونيو ١٩٦٧<sup>(٢)</sup>. بل وبالتأكيد بعد مظاهرات الطلبة في فبراير ١٩٦٨، ولا لظن - كما يشاع - أن عبد الناصر قد قصد بالسرية تأمين لبقاء لثورة لعناصر تنظيمه، حقيقة أن السرية كانت مستنعة أعضاء التنظيم من إعلان أنهم "واصلون"، بما يفوق محاولاتهم للإنتفاخ بـ "وصولهم" هذا، فلا يبقى لهم إلا الجدية

<sup>(٢)</sup> للتنظيم الطلابي بدأ قبل نكسة يونيو ١٩٦٧، وكان سرياً، لقد بدأ منذ ١٩٦٥، منذ الفترة التي ظهرت المؤسسة العسكرية بقيادة عبد الحكيم عامر فيها اتبناها لجمال عبد الناصر، وقد أراد جمال عبد الناصر أن يكون تنظيمه السري قوة له في مواجهتها، مكلما كان الأمر مع الاتحاد الاشتراكي، ومنظمة الشباب الاشتراكي، لكن للتنظيم الطلابي توسع للغاية بعد النكسة مباشرة، وضم أعداداً كبيرة من الطلاب بعد مظاهرات فبراير ١٩٦٨، وهذا هو ما نقصده عندما نقول "خصوصاً".

الثورية والنقاء الثوري، لكن التوقيت الذي ألح على عبد الناصر بأحتياجه المُتَّح إلى الصرية هذه - بعد النكسة - يظهر أن جمال عبد الناصر - في المقام الأول - كان يشعر خوفاً من الثورة المضادة\*، من الثورة عليه (عبد الناصر كان يسمى الثورة عليه في أي اتجاه تقمى أو رجعى ثورة مضادة!)، لقد لص جمال عبد الناصر بعد النكسة بأن شرعيته قد اهتزت إقنا من قبل أن عبد الناصر فهم وقفة ٩، ١٠ يونيو على حقيقتها، فهمها وقفة ضد أن يفرض أعداء الشعوب "الإمبرياليين" - بقيادة ورعية الولايات المتحدة الأمريكية - ما يريدون على هذا الشعب، لقد كانت دعوة للاستمرار، وللحفاظ على المكتسبات، ولم تكن تليداً شخصياً له، فقد كان عبد الناصر أكثر نكاه من أن يتصورها تليداً شخصياً، في الوقت الذي يصل إليه فيه انعكسات النكسة على مؤيديه أنفسهم، ومطالبة الجميع بالتغيير في نفس الوقت الذي يطنون فيه تمسكهم به كرمز في مواجهة أعداء الشعب - أعدائه - لقد فهم جمال عبد الناصر أن الناس الذين كانوا يفوضونه - قبلًا - أصبحوا الآن يتمسكون به ولكن بشروطهم، أيضاً فإن عبد الناصر كان يعلم أن وقفة ٩، ١٠ يونيو، تمت والجاهير لم تكن قد استوعبت بعد حجم النكسة، ولم تكن تدرى شيئاً من أسبابها، أو لم تكن تدرى أسبابها على وجه اليقين....، ولقد رأى عبد الناصر بأنني كيف كان انعكاس محكمات عبد الحكيم عامر ومجموعته (حكم المثير بعد وقفة علنا) ومحكمات صلاح نصر وإدارته، ومحكمات الطيرين على الجماهير، التي بدلت تستوعب فساد النظام الذي أدى إلى النكسة، وتقضى الجهل الذي تقفم بحجمها. وكان عبد الناصر يدري أن المسألة مسألة وقت، وقد صرح هو نفسه في مجلس الوزراء أن الناس لن تحتمل أكثر من ثمانية شهور، وكلّهُ كان يقرأ في الغيب ميعاد مظاهرات الطلبة في فبراير ١٩٦٨].

تأكد عبد الناصر بعد النكسة مباشرة، أن شرعيته وشرعية نظامه قد اهتزت، وقد أوضح هذا الأمر الأستاذ محمد حسنين هيكل أحسن إيضاح، عندما أورد على

\* منذ ١٩٦٥ وقبل للنكسة، كان يستشعر خوفاً من النمو الأسطورية لسلطة القوات المسلحة.



وثوريين شرفاء أنقياء، لما لجأ إلى السرية، فليس أكثر مدعاة لفرح الجماهير - أنصار - الثورة - من أن يروا ويعرفوا - علناً - رجالاً جنداً لجمال عبد الناصر يسمون بالديمقراطية الحقيقية والبقاء للثوري، والطهارة. ودليلي الواضح على هذا الأمور، أن بعض الديمقراطيين في تنظيم عبد الناصر اللطيف، لشرفاء عن حق، عندما أخذوا الأمور جدياً، دفع بعضهم للثمن غالياً، بل ودخل بعضهم للسجون والمعتقلات كأعداء للثورة (لم يكونوا أعداء للثورة بالطبع، لكن جمال عبد الناصر كان يرى منتقدي نظامه أعداء للثورة).

كان الأمر أمر حماية للنظام... وليس مرأ أن التجنيد للتنظيم اللطيف كان يرى تصاعداً جديداً ومكثفاً، بعد أي مظاهرات تنتقد للنظام (حتى وإن كان بعضها لم ينتقد جمال عبد الناصر شخصياً، ودليلي الآخر استخدام جمال عبد الناصر، أعضاء التنظيم اللطيف لهذه المظاهرات المنصورة والأسكندرية في نوفمبر، أو هكذا أراد منهم، وإن كان - كعادته - في عدم الثقة حتى في رجاله، أرسل معهم إلى المنصورة نائبه لثورة السادات الذي لم يكن عضواً بالتنظيم اللطيف (كما يؤكد سامي شرف)، لإحداث التوازن بمجموعتين متنافرتين تكون للوحدة - دون قصد - فيهما عين على الأخرى.

### الأمر أكثر سهولة ... فلماذا كل هذا التعب ؟

ولكن لماذا نجهد أنفسنا إلى ما الحد لنثبت أن التنظيم اللطيف لم يكن يفرض الانتقال إلى ديمقراطية حقيقية أو إصلاح عيوب للنظام. لماذا نجهد أنفسنا، برغم أننا مقتنعون أن الديمقراطية كما كان يفهمها جمال عبد الناصر، لا تشبه الديمقراطية إلا في خياله هو... لقد جاء الوقت لنرى في الملمحين الآخرين دقائق الصورة.. ولقد بهما (ارجع قليلاً) للكلمات والجمل المعبرة عن فكر جمال عبد الناصر، الخاصة بالشروط للوجوب توفرها في أعضاء التنظيم وإضافة جملة قدر الامكان، إلى أي كلام عن الطبائع البشرية.

إن الكلمات والجمال التي لوردناها من قبل تظهر جميعا بقاء عبد الناصر (بعد تطوره) على مفهومه القديم للأمر .. هذا المفهوم الذي يؤكد أن جمال عبد الناصر هو الأدرى بمصلحة الجماهير وأن ما هو مطلوب من رجاله إقناع الناس بذلك. وأن عبد الناصر سيفعل كل شيء بالنيابة عن الجماهير، وليس على أعضاء تنظيمه الرابع إلا أن يكونوا موصلين جيدين بين القيادة والجماهير (لاحظ خط التوصيل المطلوب.. من فوق إلى تحت.. لكن من تحت إلى فوق يقبله دوماً الاقناع والدعوة والفكر)، وأن ليس في الامكان أفضل مما كان وأن ترد بصراحة ووضوح وإقناع حتى تتم التوعية السليمة في المشاكل التي لا يمكن حلها، هذه كانت — حتى وفاة جمال عبد الناصر — رؤيته للديمقراطية. وهي تعنى التوزيع بنسبة ١٠٠%، والفتة المطلقة.. بينما الديمقراطية الحقيقية تعنى أن الشعوب ادرى بمصالح أفرادها (المصالح تختلف بين الطبقات، وبين فئات وشرائح الطبقة الواحدة أيضا) وأنها قادرة بمبادراتها على حل مشاكلها.. (عبد الناصر اعتبر مبادرة للطلاب لرسم صورة التغيير الذي يريده الشعب، وللوسائل الموصلة له، شغب وأن للرجعية وأعداء الثورة قد تلاعبوا بهم، وفي أحسن الأحوال نفاذ صبر غير مطلوب والعدو يقف وقفته للفرسة على أيولينا، وقد سيطر على بعض أراضينا بالفعل).

وتعالوا نر بعض مقولات الرجل الثاني في تنظيم جمال عبد الناصر الطليعي المعتمدة مباشرة من الزعيم..

يقول سامي شرف:

أي تقييم لتجربة الديمقراطية، يجب أن تتطلق من نوعية النظام، وهي ربط للديمقراطية السياسية بالديمقراطية الاجتماعية، منذ ٥٦ تستطيع أن تقول إنه كانت هناك خطوات لمشاركة الجماهير بتطبيق الأبعاد الاجتماعية لحرية المواطن، بمعنى توسيع التعليم ثم مجانية الكلمة، ومجانية العلاج، وحق الانتخاب للمرأ، وتخفيض من الإدلاء بالصوت (الانتخابي) إلى ١٨ سنة، سنة ١٩٦١ (...) لنقل — جمال عبد الناصر — إلى خطوة متقدمة أكثر وهي العمل على منع الاستغلال.

• بالنسبة للديمقراطية "الديمقراطية كلمة مطاطة جداً"، بالنسبة للديمقراطية المفروض أن تطبق في مصر ذات المضمون الاجتماعي وفقاً لرؤية جمال عبد الناصر.

• وبالنسبة لمشاركة الجماهير في صنع القرار يرى "سامي شرف" أن الجماهير قد شاركت في "ثورة مارس ١٩٥٤" وفي "٩ و ١٠ يونيو" وفي ٢٨ سبتمبر، عندما مات الرجل خرج مليون ييكونه بالدم، بعد أن مات ماذا يخيفهم؟، لقد كانت هذه مشاركة (!!!!)

• وعندما يتسائل عبد الله إلم قاتلاً:

— ولا الذي يعارض هو الذي يعطيني مؤشراً .. (!!!!).

• وعن المشاركة أيضاً يقول (معبراً عن سلبياتها في نظره) في نهاية ٦٧، بداية سنة ٦٨، بدأنا نقوم بعمليات عسكرية وفدائية داخل الأرض المحتلة، نجر قناة السويس بفصيلة عسكرية، ثم سرية، وبعد ذلك كتيبة، في صمت (صمت على من؟؟)، لو كانت لديك أحزاب في تلك الفترة، فإنها (كانت) سوف تزايد وتكشف الأمر. (تكشفه لمن؟! لإسرائيل التي تقوم بالعمليات ضد جنودها !!).

• لا نستطيع أن نعتبر خروج مظاهرات تؤيد أي رئيس أو زعيم هو رمز للديمقراطية (يقصد لا نستطيع اعتبار مظاهرات للتأييد رمزاً للديمقراطية).

• نفلجاً برد سامي شرف :

• ولتبرير موقف الثورة من الديمقراطية، ووعودها (الدائمة) بشأنها بدءاً من بيان الثورة الأول الذي أعلن ضمن أهدافها "إقامة مجتمع ديمقراطي سليم"، تلك الوعود التي لم تعرف إلا التأجيل (بنجاح منقطع للنظير) يقول سامي شرف قبل سنة ٦٧ كنا نمر بظروف كان التوازن فيها مختلاً (...). بمعنى أن المؤسسة العسكرية (يقصد القوات المسلحة بقيادة عبد الحكيم عامر)

كان دورها في الداخل أكبر من حجمها الذي كان من المفروض أن تكون عليه، وبذلت محاولات لخلق هذا التوازن وحدث تفكير في الاتحاد الاشتراكي (ليعدل الميزان بين العسكريين والمجتمع المدني، (لكن الاتحاد الاشتراكي كان يقوده العسكريون بطريقة غفرة في غياهب العسكرية هو الآخر... لقد كانت - القوات المسلحة والاتحاد الاشتراكي - جناحين للمصرية يتصارعان على السلطة لحدما يستخدم القوات المسلحة والآخر يستخدم الجماهير التي فوضت جمال عبد الناصر، والتي لم يكن يتقبل منها عبد الناصر شيئاً أكثر من أو دون التفويض!).

• ويستطرد سامي شرف: "إن الظروف التي مرت بها مصر من سنة ٦١ إلى ٦٧ غير طبيعية (بدءاً من إعلان القوانين الاشتراكية، وحدث الانفصال بين مصر وسوريا - الجمهورية العربية المتحدة - بدأ صراع السلطة بين مؤسسة القوات المسلحة وجمال عبد الناصر بشكل في غاية الشراسة، وإن كان الصراع ظل مخفياً عن الجماهير الحقيقية، وخصوصاً عن الطبقات الدنيا التي استقلت دون شك من الثورة، وقد كانت الجماهير قادرة على حسم الأمر لصالح جمال عبد الناصر دون خضائر، فقط لو أظن لها الأمر، لكن جمال عبد الناصر، وهيكل للذين روجا وفتتوا بأن الفئة الوحيدة للقادة على إحداث تغيير في العالم الثالث هي القوات المسلحة، لم يفتت يوماً بقوة المارد الذي يتجاهلته، حتى عندما رأى هيكل للثورة الإيرانية، والتي كانت فيها السلطة والقوات المسلحة في جانب دون انقسام، والجماهير الثائرة في الجانب الآخر، ورأى الصراع يحسم لصالح الجماهير العريضة. لم يستطع هيكل أن يغير نظريته.. ولم يكن صعباً عليه بالطبع أن يجد أسبلاً تبدو منطقية لحسم تغيير وجهة نظره (!!!).

والغريب أن لم تكن هذه رؤية جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل للأمر وحدهما، لقد بات الكثيرون مقتنعين أن القوات المسلحة هي القادرة وحدها -

والفاعلة دون شريك - في تغيير أنظمة الحكم، بل ولحداث التقدم، فقررتها على إحداث الضبط والربط المطلوبين لنجاح كل الأعمال، أيضا اقتره لفرادها على تشغيل من هم أكثر منهم علما، والأخذ من كل حسب ما يستطيع، (طبعا نحن نتكلم عن الناجحين منهم، ولا نتكلم عن الكثيرين الذين فشلوا - وفشلونا - في إدارة القطاع العام، بعد بدايات ناجحة، لم يكتب لها قمعها للآخرين - الاستمرار)، لقد بات هذا الأمر قناعة عند الكثيرين، وكان الضبط والربط خالصة لا تلتصق إلا بالقوات المسلحة وحدها، حتى أن كتاباً كبيراً مثل الدكتور عبد الملك عودة (وهو ماركسي وطني كما يحب أن يسمى نفسه، وكان بقية الماركسيين ليسوا وطنيين!!) وضع سيطرة القوات المسلحة، جزءاً من الموروث العلم لمصر في إدارة الأمة، تلك الأمة التي لم يكن لها في تاريخها الطويل، لو في أكثر فترات طولاً، قوات مسلحة على الإطلاق، إلا إذا اعتبر المرتزقة الذين اضاعوا فترات مزدهرة من العصر الفرعوني، وجيوش الاحتلال التي اعتمدت على المرتزقة في عهود كثيرة، كان للمماليك الأكثر شهرة بينهم، تراثاً يجب تكراره لهذا الشعب، إن هذا الشعب لم يعرف له قوات مسلحة إلا في فترات قليلة في عهد الاسرات، إذ لم يكن في معظم الفترات مفهوم للجيش النظامي سقداً، ومنذ انتهاء عصر الاسرات لفعلى باحتلال قهبيز لمصر، وحتى المجموعة العربية التي حاولت أن تجد لها مكاناً في جيش يعتمد على ميادة العنصرين للتركي والشركسي، لم تعرف مصر لها قوات مسلحة، ومرعان ما خبا نجم للقوات المسلحة المصرية بالاحتلال الانجليزي ٧٢ سنة كاملة إلى أن خروج آخر جندي بريطاني في عام ١٩٥٦ (١١).

• لكننا مازلنا مع سلمى شرف وهو يقول "إن الظروف التي موت بها مصر من سنة ٦١ إلى سنة ٦٧ - غير طبيعية (الانفصال، مساندة الثورة اليمنية، القوانين الامتراكية لثانية، مشاكل للتنمية، الحصار الاقتصادي، مؤامرة الإخوان الثانية سنة ٦٥، لجنة تصفية الاقطاع (بعد حادث كمشيش الشهير)، حرب ١٩٦٧) وقد كان دور المؤسسة العسكرية في الثلاثة الأخيرات



واضحاً وجلياً، وهادفاً إلى إظهار سطوتها، وأنه لا يوجد ما لا يستطيع أن تتكفل فيه من أمور الوطن)، هناك معوقات ضخمة حالت دون أن تطبق ما تسعى إليه وما تنمناه (لا تنس أنه كان يتكلم عن التحول إلى الديمقراطية!!) (...) إلى أيده في النار غير التي أيده في المية، أنت مثلاً يمكن أن تضع توقيعات معينة، إنه في شهر كذا، سنة كذا، مستطناً كذا، (لا تنس أنه يتكلم عن الديمقراطية، وبصورة لو نسيت فلك الحق كل الحق) وقبل الموعد بخمسة عشرة يوم مثلاً تظهر مشكلة من تحت الأرض، لم تكن في الحسبان، تأخذ جهك وتلقى البرنامج (الديمقراطي!!) وتضطر إلى تأجيله (لعل القارئ لم ينس أن في بيان ٣٠ مارس كان جمال عبد الناصر - من تحت تحت - يؤجل الخطوات الديمقراطية - كما أوضحنا من قبل - ويحيلها كلها إلى الدستور الدائم، وقد توفي جمال عبد الناصر وليس لمصر دستور دائم، لقد كان - دوماً - يختار من النسيانير "الموقت"، ومن الديمقراطية "المؤجلة"!!).

• ويرغم لصرار سامي شرف على أن يؤكد لنا أن فكر عبد الناصر قد تطور إلى الديمقراطية في أواخر أيامه، إلا أنه أجب بقلقته عندما سأله عبد الله إمام :

— من الذي يقدر المصلحة العلمية؟

— صاحب القرار (خل بالك)

— أنا كمواطن، لماذا لا أفكر هذه المصلحة؟

— هل لديك الصورة الكاملة، كما هي عند رئيس الجمهورية؟ (صاحب القرار.. وحده).

— لا بالتأكيد، لكن من حق أن أعرف.

— من حقه أن تعرف ما يخصك كمواطن (\*)

(\*) هذه فلسفة خطيرة حكمتنا ومازالت، اعتبار أمور كثيرة - (غير الأسرار العسكرية) -

هل رأينا تطور الفكر إلى الديمقراطية، هذا التطور الذي يوافق على أن من أمور لوطن مالا يخص للمواطن !!.

• ومرة أخرى عن إخفاء المعلومات (ديمقراطياً) لإولاد أنها أيضاً مما لا يخص المواطن!!، يقول سامي شرف: "لا تستطيع أن تقول إن المسئول الغلاني منحرف أخلاقياً، فنفضحه أمام الناس، وأمام أسرته. (ما كل هذا الحنان مع المنحرفين؟، لماذا لم نر حثافاً كهذا. لا نقول مع أعداء الثورة، بل نقول — مع أنصار الثورة الذين تخطوا الخط الأحمر، تلك الخط الذي يفصل بين التفويض الكامل والرغبة في المشاركة في صنع القرار!!).

• لكنه فيما يبدو لم يكن محرماً على المواطن العادي وحده المشاركة في صنع القرار، لقد كانت محرمة أيضاً على رجال النظام (فيما عدا جمال عبد الناصر — بالطبع — والمؤسسة العسكرية من موضع القوة) إذ يقول سامي شرف رداً على سؤال من عبد الله إمام عن وجود سيد مرعى (الاطاعى) على رأس برنامج الإصلاح الزراعى (الثورى):

— لكنه نفذ لم لم ينفذ؟، ولقد كان جمال عبد الناصر يقبده، رجل قنّى ومن أهل الخبرة، كما أنه لم يكن صاحب القرار...

• وعن أصحاب الراى المخالف، ولو كانوا يريدون تعميق مسأله

— الخاصة بكيفية استخدام، السلاح بطريقة خاصة بنا، وهى الأسرار الوحيدة التى لا يمكن أن يعرفها مورو الأسلحة وغير التقنيات الخاصة بأجهزة تخفيرنا والتي يجب ألا يعرفها العدو، أموراً تتعلق بالأمن القومى، ولعل الباحثين فى أى مجال، يقولون إذا ما ستلوا بأى صعوبة تواجههم إذا ما أزلوا الحصول على بيانات وأرقام موثقة عن أى شيء فى هذا البلد، والمثير للضحك الذى هو كالبكاء، أن باحثينا، كانوا ولا يزالون — يحصلون على البيانات والأرقام من مصادر أجنبية، أهمها التقرير السنوى للسفارة الأمريكية لمصر، وتقارير البنك الدولى... وقبلهما للكتب التى كانت تكتب عن مصر بواسطة الخبراء الأجانب، على من تخفى الأمور إن وتدعى أنها تمس الأمن القومى، إن السلطات فى العالم الثالث، وإن أدعت الثورية أو أدعت العقائدية لامتارس الإخفاء القسرى إلا على شعوبها.

الثورة الإشتراكية، يقول سامى شرف "الاعتقال بالنسبة للعناصر الماركسية، كان للحد من نشاطات تودى إلى إحداث بلبلة فى لوسلط عمالية أو طلابية، أو تطغى عليها شكل المطالبات (تصوروا !!) لا يستحقها من يطالب بها (تصوروا!!) فى حين أن النظم يعطى من الحقوق ما هو أكثر من المطلوب (تصوروا!!) فى حدود الامكانيات المتاحة.

• ويقول سامى شرف: "موضوع التعذيب لابد من الكلام فيه بمنتهى الصراحة والأمانة، وهو أن أى واقعة تعذيب وصلت إلى الرئيس، اتخذت فيها إجراءات عفيفة اتخذت ضد التعذيب الذى كان يتم من وراء ظهر جمال عبد الناصر!!" فبعد الناصر لم يكن يقبل أن يهان أى إنسان (والاعتقال ألم يكن إهانة، وتشريد الأسر بعد القبض على عائلتها، وإرهاب كل من يمد لها يد المعلونة، ومعاقبة الأكابر حتى الدرجة الثالثة والرابعة والخامسة، ألم تكن فيهما مهانة!!؟ إن منتهى المهانة أن نقضى على حرية إنسان وكبريائه فقط لأن مطالبته التى لا يستحقها!!، تحدث بلبلة).

• لما تزوير الانتخابات. فيقول عنه إذ سلّاه عبد الله إسم:

— ثم ما يقال عن تزوير الانتخابات لأشخاص معينين، ليكونوا أعضاء فى

مجلس الأمة؟

— "لايوجد تزوير ومن لديه تزوير يثبت، يقول فى هذا المكان حدث تزوير وهذه هى العلامات (حد كان يقر!!)، لم يحدث، لا للناخب العام قال أن هناك تزويرا ولا قاضى من رؤساء اللجان الانتخابية (يقول لم بعد مذبحه للقضاة؟) تحدث عن تزوير، ولا تقرير من الأجهزة تحدث عن ذلك، إنه كلام على عاتقه أطلق فى مرحلة حول الانتخابات وفى اعتقادى أن المفروض كان تشويه الصورة، ثم إذا افترضنا جدلاً أن هناك تزويراً، لمصلحة من يتم؟، وقد كنا ومازلنا رجال عبد الناصر (كنت فاهم أيها القارئ!!؟، على كل، فكل من كان يقطن فى دائرة قصر النيل، وفى جاردن سيتى منها بالذات، كان يعرف أن مجدى حسنين — من الصف

لثاني للضباط الأحرار، وكان وقتها مسئولاً عن مديرية التحرير — كان قد جاء بكل أسماء للعاملين في مديريته، وسجلهم في دفتريته، وفي كل موعد للانتخاب كانوا يجيئون بالاتيبيسات يهتفون للممثل، وكان مجدى حصنين ينجح دائماً فى دفتريته، ولا أنكر اننى قبلت لبدأ من يؤيده، بل إن الدائرة كلها كباراً وصغاراً قادت حملة شرسة لإتجاح عبد العزيز الشوربجى — نقيب المحامين فى فترة من الفترات. ولكن نجح رغم ألف الناحيين السيد مجدى حصنين، وحينما غضب عليه جمال عبد الناصر، أصبح ينجح عندما عبد اللطيف بلطية الذى — وإن كان مشهوراً فى نقابة العمال وفى حلوان — لم يكن يعرفه أحد فى دفتريته.. ولكن يبدو أن هذا ما يقصده سامى شرف عندما قال " إذا افترضنا جدلاً أن هناك تزويراً، لمصلحة من يتم؟، وقد كنا — ومازلنا — رجال عبد الناصر"، أى أن تزوير رجال عبد الناصر لإتجاح رجال عبد الناصر، لا يستثير غربة، إذا ما افترضه جدلاً وشاهدناه نحن واقعاً. وإذا ظللنا نعانى من محترفيه (استنقاء النظام القديم والأحدث والأكثر حداثة، هم هم، حتى الآن)!

### الآن نقدم تعريفاً لديمقراطية جمال عبد الناصر :

والآن لنلخص الديمقراطية كما كان يعرفها جمال عبد الناصر (وضمنها الموجلة بالقطع) كانت للديمقراطية معنى لديه:

١- النظام يقوم بكل ما هو ممكن لتحقيق مصالح الناس (الشعب، الجماهير، الأمة، الوطن)، وما لا يقوم به للنظام غير ممكن، وليس التفسير أمراً وارداً فيه، والذي يطلب بشيء — لم يحققه النظام بعد — يحدث بلبلة يستحق عليها الاعتقال.

٢- للمشاركة فى صنع القرار، تعنى التأكيد لديمقراطية الموافقة، التعبير الميأسى الذى نحتة محمد حصنين هيكل ولا تعنى ما هو أكثر من هذا.

٣- المطلوب من أنصار النظام، "التفسير"، أى يفسرون للجماهير ما تقوم به الثورة

من أعمال حسنة لو سينة (من نوع لماذا قُبض على فلان، لأنه يحدث بلبلة لاحتملها المرحلة التاريخية الدقيقة، والمنمطف الخطير للثورية فى العالم الثالث...و... ولا يظننى القارئ أنفلكه)، ومطلوب أيضا من أنصار النظام النوعية بأن الثورة لا تستطيع الآن أن تحقق كذا وسوف تحققه فى الوقت المناسب، أيضا المطلوب منهم، حماية النظام برصد للتحركات المريبة (أى تحرك كانت تراه الثورة مريباً، وكان يراه السلطويون موجهاً ضد جمال عبد الناصر شخصياً، حتى لو كان هذا التحرك ضد سركاتهم هم وتجاوزتهم هم، فلوجه الحقيقة لم يكن جمال عبد الناصر بالشخصية التى تسرق، وإن كان يمكن أن يتجاوز عن بعض السارقين فيما يراه مصلحة نظامه) وللإبلاغ عنها، ولأن ينفوا نبض الناس وطلباتهم المسالمة فى تقارير رأى علم إلى السلطة ولا ينتظرون رداً لأن لا أحد يلوى ذراع السلطة العسكرية).

٤- عدو النظام. كل من ينتقد تصرفات السلطة علناً (لما الذى ينتقدها سراً مع آخرين فيستحق الاعتقال لأنه متآمر). وكل من يتعامل عن أمر لا يعجبه وينتظر رداً. (وبهذا توسع مفهوم العداء للنظام ليضم الانصار الذين لا يجيبون بلع لمناهم).

٥- التنظيم السياسى: موصل جيد بين القمة والقاعدة (عد إلى مواضيع التفسير والتنوعية والدعوة التى لابد ولن تلازم الفكر... (فليس فكراً وإنما بلبلة مالا يدعو للنظام ويحمل وجهة نظره) وليس موصلاً جيداً بين القاعدة والقمة (أرجع إلى موضوع أن فتظار الرد تأمر واضح). ولطه - أيضاً - من سخرية القدر أن عبد الله إمام يحاول بعد مرور ستة وعشرين علماً على وفاة جمال عبد الناصر أن يتعامل عن مصير التقارير التى كان يقوم بكتابتها أعضاء التنظيم السياسى وكان هو واحداً منهم، وهل كان يقرأها جمال عبد الناصر، فتكون الاجابة كانت للمحاضر (محاضر اجتماعات التنظيم فى مستوياته المختلفة)، تجمع وتُسعد حتى ألفة التنظيم، التى تعد تقريراً أسبوعياً، وتقريراً شهرياً، تشمل اهم النقاط

الواردة في محاضر اجتماعات لجان التنظيم... مع هذا أو متوازيا معه، كانت تقارير شفوية، وبلاغات في مسائل ذات طبيعة هامة، ومسائل حيوية تهم الجماهير، أو لوضعا عامة بالنسبة للعمل ولا تنتظر محضر الاجتماع فتصدها فوراً (...). ومع مرور الزمن كان يستطيع - جمال عبد الناصر - أن يميز هذه المحاضر من نظرة واحدة (!!!)، هناك محاضر يهتم بها جداً، إن إجابة سامي شرف هذه تعني أن كان المطلوب، كل المطلوب، إعلام الرئيس بكل شيء بما فيه نبض الناس ولم يكن المطلوب - ويوحى بهذا السؤال المتأخر لعبد الله إمام - أن نتلقى رداً.

هذه هي الديمقراطية التي كان يفهما جمال عبد الناصر حتى آخر أيامه. ولعل ما قاله سامي شرف عن المؤسسة العسكرية (بقيادة عبد الحكيم علمر) وتحويلها للديمقراطية، ينطبق أيضاً على جمال عبد الناصر "العسكري جداً"، قال سامي شرف "نعم كانت تقيد الحركة - المؤسسة العسكرية - لأنها لم تكن حسنة، فمن الصعب أن تقبل الديمقراطية لأن العسكري بطبيعته يأمر بيطاع".  
والآن وقد كنا لن ننتهي.. لابد ولن ننتهي بهذه الأسئلة لعبد الله إمام واجباتها لسامي شرف، وتقيب منا..

- هل تعتقد أن أمراض الاتحاد الاشتراكي تسالت للتنظيم (الطليعي)؟.

- نعم.

- ولماذا؟

- لا يرجع ذلك إلى عدم دقة الاختيار فقط (خل بالك... بعد هذا كله!!)، وإنما ترجع أيضاً إلى اختلاف أسلوب الثواب والعقاب (...). كان يتم التفاضل عن أخطاء تنظيمية على حساب العمل العلني، في حين المستهدف كان أن تحافظ على الانضباط والثواب والعقاب في العمل الحزبي بصورة أكثر دقة وأكثر حزماً (خل بالك أيضاً).

- ما هي من وجهة نظرك أخطاء للتنظيم الطليعي؟

- ١- لم يكن يضم أحيانا الاشتراكيين الحقيقيين (١).
- ٢- كانت بعض قياداته تمثل البيروقراطية من القيادات الادارية والتنفيذية (هذا الأمر ليس مستغرباً في تنظيم يحاول أن يقيض على الأمور من فوق) (...)  
في حين أن القواعد ذات المصلحة الحقيقية كانوا محجوبين (خل بالك... جداً).
- ٣- كانت أمانة التنظيم في بعض المحافظات توكل إلى المحافظ (شخصية تنفيذية)  
الذي كان غريباً عن الأقليم، ولا يعرف قيادته، ويحيط نفسه بهالة من  
السكرتارية ورؤساء المدن والمصالح (تنظيم فوقى.. وفي التنظيمات الفوقية  
يعزل أصحاب المصالح الحقيقية، إذ كيف يجرى الماء في العالي؟!).
- ٤- البناء كان يتم من موقع السلطة، ولم يتعرض لمواقف نضالية للفرد، وكان  
الصوت العالي (المؤيد بالطبع، ولا يخطرون بذلك غير هذا!) هو جواز المرور  
للعضوية في بعض القطاعات.
- ٥- لم يراع الانتماء الطبقي (في تنظيم طليعة "الاشتراكيين"!!!!) بالدرجة الكافية  
للعضوية.
- إن كل ما قلناه سامى شرف ينطبق على موضوع واحد، أو يدور حول  
محور واحد هو "سوء اختيار الأعضاء"، الذي أدى إلى تسلسل للعناصر الانتهازية  
إلى التنظيم.
- ولكن هل كان الأمر مجرد سوء لختيار وقع فيه للنظام - بضن نية - في  
محاولته لانشاء تنظيم سيمسى شعبى (!!).
- لا أظن ذلك.
- لقد جاء الآن الوقت الذي يجب أن نتكلم فيه عن "قدر الامكان" التي كانت  
تتلائم في مقولات جمال عبد الناصر، مع "العوامل البشرية". و"العوامل الانسانية"  
(ولعل القارئ يذكر أننا وضعناها ملحقاً ثالثاً يرسم صورة الديمقراطية كما كان  
يفهمها ويريدها جمال عبد الناصر).

أقد كان سوء الاختيار — سواء بزيادة جمال عبد الناصر أو بدونها — متعمداً في تنظيمات الثورة . فعندما كان يفاضل جمال عبد الناصر بين "من تشوبه شئتبه، وبين أحد الشرفاء الخفاصين من الذين اعتلوا تجلوز للخط الأحمر الفاصل بين المشاركة بالتأييد، والدفاع "عمال على بطل" عن السلطة، وبين الرغبة في المشاركة الحقيقية التي تعنى اصلاح لخطاء النظم بلا هولاء لتحقيق نقاءه وفعاليتة الثورية، كان جمال عبد الناصر قبل رجاله، وكان رجاله للنصريين أكثر من جمال عبد الناصر!!)، يسارعون باختيار من "تشوبه شئتبه" ذلك أن جمال عبد الناصر ومن هم ناصريون أكثر من رئيس للجمهورية، لم يكونوا يحبون وجع الدماغ، ولم يكن وجع الدماغ شيئاً آخر غير المشاركة الحقيقية الفعالة.

إن شواهد كثيرة في اختيارات جمال عبد الناصر ورجاله تؤكد أنهم كانوا يقرّبون الانتهازيين اصحاب الصوت العالي المؤيد للنظام.

ولقد كانت للانتهازيين ميزة أخرى، أو أكثر، كان عبد الناصر ورجاله يقدرونها حق قدرها، فالانتهازي — دوماً — له يد توجعه والنظام يستطيع أن يضبط على هذه اليد التي "توجعه" عندما يحاول أن يتجلوز — انتهازياً أيضاً — الخط الأحمر المنكور، ثم أن الانتهازي منتفع انتفاعاً عاجلاً، وأصحاب الانتفاع العاجل يحمون النظام من باب الحفاظ على "لغة العيش"، وذلك عكس الشرفاء الذين يدافعون عن "لغة العيش" الجماعية، سواء قنمها للنظام أو شاركوا في صنع نظام أفضل يستطيع أن يقدمها (على نفس مبادئ النظام الذي تهرأ، ودقت فيه الليبروقراطية، والمباحثية، والفساد أوتادهم).

ولعلني أنكر هنا، مثلاً شديد للوضوح على ما قلت، حدث في الحياة الطلابية، فيعد مظاهرات الطلبة الأولى في فبراير ١٩٦٨، هرع التنظيم الطليعي في محاولة واسعة لتجنيد عدد من القيادات الطلابية البارزة في جامعتي القاهرة وعين شمس، ويرغم أن افراد التنظيم في عين شمس كانوا أكثر نجاحاً (واستطيع أن أقول أشد أيماناً وصلابة واستمسكاً بمبادئ الثورة) من أمثال أحمد حمادة، أحمد المحمدى، طارق البنزواى، أحمد الجمال، بسام مخلوف، ماهر مخلوف وغيرهم،



إلا أن "عبد الحميد حسن" هو الذى أخذ نجمه فى الارتفاع (حتى صار إلى ما صار إليه بعد ذلك !!)<sup>(٩)</sup>، عن طريق سامى شرف (كان عبد الحميد حسن رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة، وكان سامى شرف ممثولا عن جامعة عين شمس ضمن دائرة شرق القاهرة) رغم هذا صعوده، ولم يصعد الناجحين ممن يشرف عليهم شخصياً، وليس اشرفاً خلاصاً بأوامر من عبدالناصر كما فى حالة عبد الحميد حسن !!! لاثنى إلا لأن عبد الحميد حسن عادى طموحات الحركة التى اقرزته وقال "لا خلاف بين الثورة وشبابها"، و"هيئات لأعداء الشعب" (!!).

ولقد كان يجرى أيضاً — استبعاد بعض الشرفاء، وتجميع أدوار لكل، بل ونال بعض الشرفاء (المستمسكون بطموحات الشباب فى ثورتهم) عقوبة السجن (احمد حمادة).

وحين رد الطلبة على حركة الالتفاف للظاهرة التى قادت السلطة على اتحاد طلاب جامعة القاهرة، وعزلوا عبد الحميد حسن (رجل سامى شرف، الذى هو بنوره رجل جمال عبدالناصر) وولوا الطالب "حسن عيد" مكانه، لم يتراجع النظام عن تقديم أجل للخدمات لمن والوه ولاء أعمى (ثم والوا بعد ذلك نظاماً يمشى فى عكس الاتجاه ولاء أعمى أيضاً) ولبقى على تصعيد نجم عبد الحميد حسن (المعزول طلابياً!!).

كان النظام يهتم بـ "الطبيعة البشرية!!"، "والعوامل الإنسانية!!"، التى ينجح فى السيطرة على أصحابها، ولهذا كان جمال عبدالناصر كلما تكلم عن النقاء الثورى أرفف وراءه جملة "قدر الإمكان"، فبالطبع لم يكن يريد جمال عبد الناصر أو يقلق إنتهازيين خلصاء، إن كل ماكان يريد "مشروع لتنهائى"، يبقى تحت السيطرة بيد مجموعة (لم يتعلم جمال عبدالناصر أبداً، إن هؤلاء الذين يسيطر عليهم بالضغط على أيديهم المجموعة، يستطيع أى آخر السيطرة عليهم بنفس الأسلوب،

(٩) لعل القارئ ليس فى حاجة إلى أن اذكره، برحلة صعود عبد الحميد حسن ابتداء من رئيس المجلس الأعلى للشباب، ثم وزيراً للشباب بعد ضرب تنظيمه الطليعى (!!) إلى أن انتهى محافظاً للجيزة وتم تقديمه للمدعى الاشتراكى فى الثاقينيات .

وفي الاتجاه الآخر المعلن أيضا) .

لقد كان سوء الاختيار العمدى والتصعيد العمدى لأصحاب الصوت العالى المؤيد للنظام (أخطائه قبل حسناته) على حساب المؤمنين الفطيين، واحداً من الأسباب الكبرى، التى مكنت أنور السادات فيما بعد من أن ينفخ فى تنظيم مكون من ١٥٠ ألفاً، نفخة بسيطة فى ١٥ مايو ١٩٧١، فوطير التنظيم (الضخم) فى الهواء، وبزريه، ليكتشف الجميع كم كان التنظيم ضعيفاً، وقليل الحيلة رغم ضخامة جسده، إن تنظيماً يسير عليه أصحاب الأيدى الموجهة، تنظيم هش (يسهل السيطرة على قيادته واستمالتهم وإرهابهم).

أيضا فإن سوء الاختيار العمدى والتصعيد لأصحاب الصوت الجعاج فى تبرير أعمال السلطة وإجادة الدفاع عن أخطائها، وكان وراء الارتياح الجماهيرى العميق، غير المنكور لإزالة تنظيم جمال عبد الناصر ورجاله فى ١٥ مايو ١٩٧١ (لا يستطيع منصف أن يزعم أن المصريين لم يتنصوا الصعداء عندما أزاح أنور السادات قيادات هذا للتنظيم فى ١٥ مايو ١٩٧١ ذلك أن الجماهير كانت تراهم عليها لا معها!!).

وعليها، لامعها .. كانت ديمقراطية جمال عبدالناصر

وعليها، لا معها.. كانت تنظيماته ..

كان عبدالناصر (الذى يعمل لصالح الجماهير الصغيرة حقاً) يرى أنه فاسد على إصلاح الأخطاء (دون تدخل الجماهير) لذلك عزل الناس عن مصالحهم الحقيقية فلما مات جمال عبدالناصر، ترك جماهير لا تستطيع الدفاع عن مصالحها، جماهير يمكن خداعها، إذا ما ادعى أحد أنه يمشى على طريق عبدالناصر (ولحنى لتمثاله)، وترك عبد الناصر - جوته - لنا أنور السادات (الذى يؤكد هيكل أن كان عبدالناصر يعرف أن له بدأ توجهه بل ليد) تركه لنا (وكان لخبائره)، ليمشى على طريق عبدالناصر بالاستيكة (تعبير شعبى عبرى) دون أن يجد ممن يرفضون أن

يتقرعن الفرعون - أحداً (سليماً، خالياً من الجراح) في مواجهته\* .  
وهكذا لم يوفر لنا تنظيم جمال عبدالناصر - الرابع - قوة ترعى مصالح  
للجماهير ومكتسبات الفقراء أصحاب المصلحة في الثورة، ترك لنا مجموعة من  
الشرفاء المحبطين الذين حاولوا فيما بعد أكثر من مرة ولم يستطيعوا) وترك لنا  
أصحاب "الصوت العالي"، محترفي الدفاع عن أى سلطة، وعن كل الأخطاء،  
محترفي تزوير رأى الشعب، وقمع المعارضة الشرعية (بممارسة الرده المتعقبن)  
وترزية القوانين المقيدة للحريات، والمستفيدين من الاشتراكية (الذين بنوا قصوراً،  
ويعيشون ملوكاً، ويشدقون بالعدالة الاجتماعية)، منظرى ليس في المكان احسن  
مما كان"، والتفغيزيين الذي لا يفعلون شيئاً إلا بـ توجيهات سيادة الرئيس" (كان  
الرئيس يستعين بهم لأنه يفهم أكثر منهم في تخصصاتهم) تركهم ليمثلئ بهم كل  
حزب للسلطة، في كل وقت من الأوقات، وإلى يوم يبعثون يوم تقوم قيامة الشعب.

\* هل يسمح القارئ، أن أقول له نكته حدثت بالقمل، ورواها لي محمد فريد حسنين العضو البارز  
في التنظيم الطلابي عن الطلاب، قال محمد فريد حسنين، عندما دخلنا السجن في حكاية (١٥  
مايو) سألت قيادة التنظيم، لماذا لم تخرج المظاهرات ضد السلاط لتأييدنا، فأجابني واحد منهم  
(ربنا أمر بالستر) قاتلاً: لأنهم قبضوا علينا يوم الخميس والجمعة إجازة .



المظاهرات التي صنعت من  
الشيخ عمر عبدالرحمن  
زعيما للمتطرفين



بدلت حركة الطلبة في نوفمبر ١٩٦٨، في ١٨/١١/١٩٦٨، بصور قانون جديد للتعليم العام ( أصدره الدكتور محمد حلمي مراد وزير التعليم في ذلك الوقت تضمن وضع نظام للاختبارات الدورية للطلاب، واضعاً شروطاً أصعب لنجاحهم (في نهاية كل عام دراسي) محدداً سنوات رسوبهم بعدد معين من السنين بعدها يتم رفعت الطلاب من التعليم.

قال الأهرام وقتها في ٢٠/١١/١٩٦٨ إن طلبة مدرسة خاصة في المنصورة ( في ذلك الزمان، كانت المدارس الخاصة للفاشلين أو للمتعثرين في التعليم العام، فلم يكن الانفتاح قد قلب الموازين بعد) هم من قاموا بالاضطراب والتظاهر، لكن التثبت أن المعارضين لم يكونوا هم الفاشلون وحدهم، يقول د. أحمد عبد الله في كتابه ( الطلبة والسيسة في مصر ص١٩٣):

"سرعة انضمام طلاب المدارس الأخرى بالمدينة إليهم - إلى الفاشلين أو المتعثرين - تجعل من الصعب الرجوع تلك المظاهر إلى مدرسة واحدة فقط".

وكان أن انتهى أول أيام للتظاهر - في المنصورة بتأكيد المحافظ لتجمع طلابي كبير، في مدرسة حكومية (وليس المدرسة الخاصة بإياها مما يؤكد ما وصل إليه د. أحمد عبد الله بأن القانون أن يطبق بكثر رجعي، وقال ناظر المدرسة للحكومة - ولم يكن قوله عارياً من الصحة - إن د. حلمي مراد - شخصياً - وعده في مكالمة تليفونية بأن تيسيرات ليست بالقليلة مستم بالنسبة للطلاب الذين كانوا مقبدين بالمدارس وقت إعلان القانون ، انتهى الاجتماع بين المحافظ وطلبة الثانوي بصياح أحد الطلبة :

- لابد من الإضراب . . من ضمن لنا ما قاله المحافظ .

(ألا يعكس هذا صورة لانعدام الثقة في كلام السلطة بعدد للنكسة، وبعد الأعيب المتسلطين التي تلت مظاهرات الطلبة في فبراير، تلك الأعيب التي استهدفت لخماد الحركة، ونزع المبالرة من الجماهير بالقول المعسول، بينما غابت الأفعال التي تجعل لذلك الفصل في الأقال حلالة المصدقية).

وفي اليوم التالي ١٩٦٨/١١/٢١ حدث شيء غريب للغاية . . أعلن طلاب المعهد الديني بمدينة المنصورة الإضراب عن الدراسة، وسرعان ما تحول إضرابهم إلى مسيرة تطوف بشوارع المدينة، وما أن تقتربت المسيرة من مديرية الأمن حتى تكررت مأساة حلوان التي راح ضحيتها عدد من العمال ففى فبراير ١٩٦٨م فقد فتح عليهم — طلاب المعهد الديني — البوليس الرصاص ليسقط أربعة طلاب صرعى للغر، وتنفجر المدينة بأسرها مطالبة بالديموقراطية وسقوط وزير الداخلية (لا تنسى.. وزير الداخلية هو نفسه ويا للفرابة — التي لم يندش لها أحد — أمين التنظيم السياسي الشعبي!! وأمين التنظيم الطليعى السرى الذى قيل إنه كان نواة لتغيير ديمقراطى مزعوم!!).

والشيء المثير للدهشة — وما هو أكثر أيضا — أن الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه " خريف للضرب " ( ص ٢٢٢ من طبعته الأولى ) عندما أراد أن يستكمل محاسبته الرئيس أنور السادات، (تلك المحاسبة التي إحتلت للكتاب كله، بل ووصلت إلى حد " المحاكمة " )، قال: ولقد اختار ( السادات ) رئيس وزرائه — فى ذلك الوقت — السيد ممدوح سالم — ليرأس هذا الحزب (يقصد حزب مصر) ولم يكن ذلك اختيارا سعيدا، فقد كانت شهرة ممدوح سالم الأساسية، أنه رجل أمن، ويصرف النظر عن مزاي كثيرة للرجل، فإن الأمر بقى مثيرا للجدل ( !!! ) ولقد كان يمكن فهم ضرورة تعيين رجل أمن فى منصب رئيس الوزراء فى حالة طوارئ، ولكنه كان من الصعب رؤية رجل أمن يحاول لم شتات حزب سياسى صدر له قرار بأن يصبح حزب الأغلبية (وماذا عن حزب قالوا أنه سيقود التحول إلى الديمقراطية!!!!)، وللانصاف فإن ممدوح سالم حاول أن يعطى نفسه هوية سياسية، وفى بعض الأحيان فإنه كاد ينجح، لكن الوضع كله كان ضد طبيعة



الأشياء (!!!)، انتهى كلام الأستاذ هيك، فهل أصابكم الدهشة - وما هو أكثر من الدهشة - مثلما أصابني، إن هذا الوضع الذي ينتقده الأستاذ هيك في حكم السادات كان هو الوضع عينه في أيام جمال عبد الناصر فيما تلا نكسة ١٩٦٧، فقد كان السيد شعراوي جمعة رجل الأمن، بل ووزير الداخلية، أمين التنظيم السياسي.. الاتحاد الاشتراكي، وحزبه الطليعي أيضاً .. فلماذا لم ينتقد الأستاذ هيك ذلك للوضع في عهد عبد الناصر أو بعد عهده؟، لماذا ترك الناس في مصر يتجهمون إلى أمين الاتحاد الاشتراكي ليفاجأوا بأنهم بين براتين وزير الداخلية، رجل للمعتلات.. (لا أظن أن عنراً للأستاذ هيك يلوح في هذا الأمر، حتى إذا ما فهمنا اشارته الخفية عن "حالة الطوارئ" ذلك أن الوقت بعد نكسة ٦٧ كان وفقاً تحاول البلاد فيه أن تلم شتات نفسها بالتغيير، هل كان سيتم التغيير وأصحاب المصلحة مهذبون؟، لا عنر للأستاذ هيك، فهو نفسه الذي أشار إلى أن مزياً أي رجل لا تبرر الخطأ .. وأن هذا الخطأ "ضد طبيعة الأشياء!!".

ولقد تصرف السيد شعراوي جمعة في مواجهة مظاهرات ١٩٦٨ في المنصورة والاسكندرية في (نوفمبر) كوزير داخلية ولم يتصرف كأمين الاتحاد الاشتراكي أو كأمين للتنظيم أيضاً.. وأبقى لنا تصرفه .. أسئلة كثيرة محيرة، تتعلق برفض الناس لحزب يدار بطريقة بوليسية.. ذلك أن أحداً لم يتجه إلى حزب الثورة، بل قرر الجميع أن يغور غلياتهم بالفضب الصارخ (حدث هذا بعد انتخاب الإتحاد الاشتراكي من القاعدة إلى اللجنة المركزية والتنفيذية العليا !!، فالناس، كل الناس، كانوا يطمون ويردون وقتها أن الانتخابات مزورة، وأن مراكز القوى لم تصفى، مثلما هلل بيان ٣٠ مارس).

والغريب، بل المذهل، أن الطلاب كانوا قد طالبوا بذلك المطلب الأخير "قيام دولة المؤسسات (الوتر الذي لعب الرئيس السادات فيما بعد عليه، وأفرغه من محتواه الحقيقي بالطبع) بدلاً من دولة أجهزة الأمن، بعد أقل من شهر واحد، من إصدار جمال عبد الناصر، في أول نوفمبر ١٩٦٨، قرارات جمهورية بقوانين لضمان الحرية للشخصية للمواطنين، الأمر الذي يفهمها أن الطلاب وأسفكتهم

المتضامنين معهم، كانوا يتعاملون مع جمال عبد الناصر على أساس المثل المعروف ( اسمع كلامك لصدقك، أشوف قيادتك استعجب) والحقيقة أن الطلاب شافوا أموره، ولم يتعجبوا.. تظاهروا، وجمع بهم الغضب إلى أقصى حدود الجموح.

وكانت مظاهرات نوفمبر هي أقصى حدود الجموح .. تلك المظاهرات التي تصاعدت في المنصورة، برغم تأكيدات لمسؤولين بأن الأمور إلى حل (كما قلنا) وكان أن التحم المعهد الدينى معها فى اليوم التالى.

إن أكثر من علامة استفهام تفرض نفسها فى هذا السياق .

أولها : لماذا خرج طلاب المعهد الدينى . . والقانون لا يسمهم كما يقول د.أحمد عبد الله فى كتابه ١٢.

ثانيها : لماذا كررت لشرطة مأساة طوان بعد تسعة أشهر ، كانت كافية لمراجعة النفس !!

ثالثها : لماذا لم يصدق الطلاب تأكيدات المحافظ .

رابعها : كيف يشور الطلاب بهذا العنف فى مواجهة قرار تعليمى كان صحيحا وتقديميا .

خامسها : لماذا كفلت السعودية أساتذة المعهد الدينى بإعطائهم وظائف لديها فيما بعد.. هؤلاء الأساتذة الذين عاد منهم إلينا " الشيخ عمر عبد الرحمن " فى السبعينيات .

والآن:

لا يخطئ نظام عائل الخطأ مرتين ، لكن نظام عبد الناصر فعلها . . " لدغ من جحر واحد مرتين " . . . ولأن للنظام وقتها كان عقلا ، فلا بد لنا الآن - لكى نقرب من حقيقة ما حدث ، أن نتصور أن نظام عبد الناصر لم يخطئ عن جهالة ، لكنه أخطأ متعمدا . . ( هل يمكن تصور هذا الأمر ؟) . فما أن خرج المعهد الدينى

فى المنصورة بمظاهرة فى صبيحة الخميس ٢١ نوفمبر ١٩٦٨م ، يقل عدد أفرادها عن ألفين ( كل طلاب المعهد الدينى فى المنصورة كانوا ألفين فى ذلك الوقت ، ولايقل أنهم خرجوا جميعاً متظاهرين ) ووصلت المظاهرة إلى مديرية أمن الدقهلية ( مسافة ليست بعيدة ) . حتى تطلقت رصاصات الشرطة ، يسقط ثلاثة طلاب وفلاح شهداء ( نفس السيناريو الذى حدث فى حلوان فى فبراير ١٩٦٨م ) فتستشيط المدينة غضباً ويستشرى فيها وميض كان يرى تحت الرماد (ويوشك أن يكون له اضطراب ) وتشتعل نار مظاهرات عارمة فى الشوارع ، مطالبة بسقوط وزير الداخلية ، وبالديموقراطية . . ( متى ؟ بعد بيان ٣٠ مارس بثمانية أشهر .. تم فيها انتخاب أعضاء الاتحاد الاشتراكى، ومؤتمره القومى من القاعدة للقمة لأول مرة بعد سلسلة مملة - سابقة - من التعيينات!!).

لماذا تكرر نفس الخطأ مرتين ؟؟ هذا هو السؤال الذى نحاول أن نجد له الآن

إجابة . .

فى اليوم التالى - الجمعة - بينما اجتمع عدد من طلاب كلية الهندسة جامعة الإسكندرية من أبناء المنصورة ( لابد كانوا فى زيارة أهلهم فى عطلة نهاية الأسبوع ) ليتفقوا على عقد مؤتمر فى كليتهم بالإسكندرية فى صبيحة السبت ٢٣ نوفمبر، يناقشون فيه ما حدث فى مدينتهم . . كانت الصحف تلعب لعبتها القديمة، لعبة التشويه، وكان الأهرام يزعم " أن المظاهرات قد اندمست فيها عناصر غير طلابية لا يملون من تكرار هذه العبارة، عبارة صمويل هور وصدقى وجمال عبد الناصر والسيدات!!)، حاولت مهاجمة مديرية الأمن بالمنصورة ، ولم تنس بالطبع أن تؤكد على أن الظروف العصيبة التى تجتازها البلاد ، " تقتضى توجيه كل الجهود لمواجهة العدو"، هل تتذكر نفس المقولة فى بيان ٣٠ مارس أيضاً .

هل يمكن الآن تصور شيء آخر . . غير أن هؤلاء الطلبة الدقهليين ، قد أيقنوا بأن الحكومة ستعتمد إلى الأبد فى المواجهة لأى تحرك شعبى ، وستمارس تشويهه . . وكان بيان ٣٠ مارس لم يكن إلا كلمات ، فما حدث قبله ، يحدث بعده

... وربما كان - لو هو كان بالفعل - الذي يحدث بعده أشد ضرورة وجورا

### ثم تأتي مفاجأة ثالثة.

في فجر السبت ٢٣ نوفمبر ، يطب زوار الفجر ليعتقوا عددا من القوادات الطلابية الإسكندرية والذين هم من أصول نهالية ( محمد ناجي أبو المعاطي - محمد خيرت سعد - بهاء الدين مكاوي ) وتهدهم بضرورة إلغاء المؤتمر الذي كان انعقاده مجرد نية في صدورهم ، كانوا يحلمون بتحقيقها في ضحى اليوم نفسه !! ( هكذا تضح للطلاب أن الحكومة قد رتبت نفسها بمنتهى الدقة للمواجهة !! ) .

ويرغم حسابات الحكومة الدقيقة - لو بسببها !! (وخلى بالك من هذا الأمر) بعد المؤتمر في كلية هندسة الإسكندرية. ويبدأه الطالب محمد ناجي أبو المعاطي (الذي قبض عليه وهدد قبل أن يشرق الصباح) حاكيا ما حدث له في الفجر ، وما حدث في مدينته - المنصورة - فتقاطعه الهاتفات (يا شعراوى يا مسافح ... ولى زمالك ... ولى وراح) ، ويستمر المؤتمر مزجيا الغضب في النفوس.

### وتأتي مفاجأة ثالثة !!

يقول " رماح سعد " ( في كتابه سطور من يوميات الحركة الطلابية المصرية ١٩٦٨م - ١٩٧٣ ، والذي أعود إليه لقص الأحداث ) : إن المؤتمر قد فوجئ بدخول عاطف الشاطر ( رئيس اتحاد كلية الهندسة بالإسكندرية ) ومعه حسين عبد ( رئيس اتحاد طلاب الجمهورية . . الذي جاء به الطلاب ، بعد أن عزلوا عبد الحميد حسن ، في تحد واضح وجرئ لعملية الإحتواء التي نجح فيها جمال عبد الناصر لعبد الحميد عن طريق رجله المخبراتي سامي شرف ) ليتصدى كلاهما للطلاب مدافعين عن النظام متهمين طلاب المنصورة بالعمالة لإسرائيل . . (تصوروا !!)

وتلتى مفاجأة رابعة . لكنها في هذه المرة للحكومة وليست منها!!

فوجئت حكومة المفاجآت . . بعاطف الشاطر الذي أرسلوه ليهاجم زعامات الطلاب الغاضبة - نفسه - يخرج قائدا لمظاهرة كبيرة يحمل فيها علم الكلية بعد ساعتين من النقاش العاصف في المؤتمر، تصدى له فيهما الطالب تيمور الملوقي (يرحمه الله فقد توفي مناضلا منذ سنوات) قلبا لدفة ليس على الحكومة ولكن على عهد الناصر شخصيا معتبرا إياه وراء كل ما يحدث (بعد فبراير ١٩٦٨ لم يعد الطلبة يستثنون جمال عبد الناصر من المسؤولية عما يحدث من شرسور) مفجرا غضب الموجودين في المؤتمر .

هذه المظاهرة تطرح سؤالا ملغزا (من الواضح أن الغزأ نوفمبر ١٩٦٨م لا تنتهي) هذا السؤال الملغز هو لماذا قد عاطف الشاطر الذي لحق بالمؤتمر مع رئيس اتحاد طلاب الجمهورية لوقف التحرك الطلابي للسكندري من أجل عملاء إسرائيل (!!!) من طلبة الثانوي وطلبة الاعداى في المنصورة (بنفسه مظاهرة تخرج إلى الشارع ، هل تم إقناعه لدخل المؤتمر بأن ما جاء من أجله غير عادل، فقرر أن يولجه من أرسلوه .. أن يولجهم في الشارع؟، أم أن غرضا آخر كان يكمن وراء قيادته للمظاهرة !!؟

هذا السؤال منحاول أيضا أن نبحث له عن إجابة مقنعة . . سنحاول ذلك مجتهدين؟!

والحقيقة أن البوليس المصري لم يحاول مثلما أن يسأل نفسه هذا السؤال فما أن شاهد المظاهرة، حتى بدأ التعامل معها بوحشية، وسارع بالقبض على عاطف الشاطر وآخرين بينما ( وخلق بالك من هذه أيضا ) كان عاطف الشاطر يحاول التفاهم مع رجال الأمن !!

وكان أن تراجع الطلاب إلى دلخل الجامعة أمام ضلولة ووحشية قوتل الأمن معهم . . . وفي تلك اللحظة قرر المحافظ أحمد كامل محافظ الاسكندرية

(كان من قبل أمين التنظيم الشبلي قيادة كبرى فى المخابرات العمة !!!! أن يغير من خططه ، وأن يولجه الطلبة بنفسه لدخل أسوار الجامعة، ليتقدمهم بالآ يمدوا إلى تصعيد حدة التوتر فى الموقف ( كان المحافظ قد أشرف بنفسه على وضع الترتيبات الأمنية والجامعة لمواجهة الاضطرابات فى مساء اليوم السابق - الجمعة - مؤكدا على مدير الأمن ضمان حظر خروج الطلاب إلى الشارع فى مظاهرات)، ( أنظر الطلبة والسيسة فى مصر د. أحمد عبدالله ص ١٩٥ ) . .

ولعل من الأوفق الآن أن نترك لبطل الحادثة فرصة الكلام عنها بنفسه .

فى مذكراته المنشورة بالمصور عدد ١٩٩٠/٤/٢٠م قال أحمد كامل: " ذهبت إلى الجامعة، كانت تحت حصار بوليسى مكثف ، لم لكن بعد وجها مألوا كمحافظ (!!) (كان قد عين كمحافظ منذ أيام)، ولذلك وجدت إلى جورى ضابط شرطة يطلق بندقية رش فى اتجاه الطلاب المعتمسين ، خطفت البندقية من يده ، وكانت تتشعب معركة جانبية (!!) لولا أن رأتى سيد فهمى مدير مبلعث الإسكندرية آنذاك ( وبعدها وزير للدخلية الذى ولجه مظاهرات ١٩٧٧ التى سماها أنور السادات " إنتفاضة الحرامية " . وكان الحرامية هم من كانوا ينتفضون فى عصره من الجوع !!!!) . قلت له الكلام مازال (أحمد كامل): أخرج هذا الضابط بعيدا من هنا . . . وأحضر علف الشاطر من السجن فورا (!!) . . جاعنى سيد فهمى بعلف الشاطر وهو فى نوبة بكاء حادة، قال ( علف الشاطر ) : ضربونى يا فدم قلت له : كن رجلا (!!) أدخل إلى الجامعة الآن ولجمع زملاى فى القاعة الكيرة ، وسوف أدخل وراءك ونجلس ونناقش جميعا . . جلست فى مواجهة الطلاب الفاضيين ، وقد أحضروا طابا ينزف من طلقت البندقية ، ثم قال أحدهم بصوت محرض ، أنظر ماذا يفتون !!! أى تاهم يمكن أن يكون بيننا؟ قلت أنا لا أعرف شىء (!!) ووزير للدخلية هو الذى أعطى تعليمته لمسئولى الأمن بهذا الخصوص ، وهو قرر خاطئ تماما (!!) واستمر الحوار المنفل . . بينما مسئولو الأمن خارج حرم الجامعة فى حالة ترقب وقلق (يصد خروفا على المحافظ بالطبع) ، وهكذا اتصلوا بوزير للدخلية ، واتصلوا بمكتب الرئيس ، وقالوا إن المحافظ دخل مبنى الجامعة، ونحن نخشى أن يفك به

الطلاب الغاضبون ، ماذا فعل !! هل تقدم الجامعة لإثاقه !! ونقل مسلمى شرف على الفور الموقف إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، وكان رده " لا لفتحهم.. لتركهوه يتصرف وحده " .

هذه رواية أحمد كامل لما حدث ، لكن الطلبة ورماح أسعد ود. احمد عبدالله ( فى كتابيهما المذكورين سابقا ) يجمعون على رواية أخرى تتضمن أن الطلبة احتجزوا أحمد كامل لدخل أسوار الجامعة إلى أن أمر بالإفراج عن عاطف الشاطر وزملائه المعتقلين (ولم يكن الأمر مما تتفق عنه ذهنه السيلسى) وهذه هى الرواية الحقيقية بالفعل، التى خجل أحمد كامل — رحمه الله — من إعلانها (وتلك الرواية الحقيقية تعنى أن المحافظ أمر — مرغما — بالإفراج عن عاطف الشاطر)... وأتهم قبل مغادرتهم الجامعة أرسلوا نسخة خطية من المطالب الطلابية التى تضمنت ، محاكمة شعراوى جمعة وكل من شارك فى أحداث المنصورة / حرية الصحافة والنشر / الإفراج عن المعتقلين السياسيين / قيام دولة المؤسسات محل دولة أجهزة الأمن / (ثم هذا الأمر الملفت للنظر ) تطبيق برنامج ٣٠ مارس تطبيقا صحيحا!!!، ( إن هذا يرد على من يصورون أن بيان ٣٠ مارس كان غاية المراد من المتحكم فى حرية العباد!!!).

### الطلاب يطبعون المنشورات

استمر اعتصام الطلاب واستولوا على ملكينة طباعة "رونير" خاصة بالكلية، (كلية الهندسة)، وبدلوا فى كتابة سلسلة من البيانات ، وزعت — بطريقة ما — على نطاق واسع بمدينة الإسكندرية ، وبعضها وزع بالطبع أثناء مظاهرات تلت بدء اعتصام كلية الهندسة . . . وقد ساعد الطلاب أقلية من هيئة التدريس على رأسهم الدكتور عصمت زين الدين، رئيس قسم الفيزياء النووية، الذى أسهم بدور فعال لن ينساه له التاريخ، وإن تنماه له الوطنية المصرية فى الانتفاضة الطلابية .

### ثم مفاجأة خامسة !!

فى اليوم التالى أعلنت الحكومة إغلاق الجامعة . وكانت المفاجأة الخامسة

للحكومة أيضا وليست منها . . . فقد انفجرت المظاهرات خارج الجامعة والتي يقول عنها د. أحمد عبدالله في كتابه " الطلبة والميلاد في مصر ص ١٩٧ " قى يوم الاثنين ٢٥ نوفمبر حدث إضراب بالإسكندرية كما شهدت المدينة مظاهرات على نطاق لم تشهده من قبل ، انتهت بصدام دلم مع الشرطة ، وكما توضح أرقام الخسائر فإن الطلاب لم يكونوا وحدهم فى هذه الأحداث ، إذ لقي ستة عشر شخصا مصرعهم (٣ طلاب ، ١٢ من الأهلى وتلميذ عمره ١٢ سنة - سقط تحت أقدام المتظاهرين)، بينما أبلغ عن وصول ١٦٧ مصابا من الأهلى إلى المستشفيات، وأعلنت الشرطة إصابة ٢٤٧ من رجالها (١٩ ضابطا ٢٢٨ جنديا)، ولقى القبض على ٤٦٢ شخصا، استمر جيس ٣٦٥ منهم على نمة التحقيق . . . وبالطبع حصلت خسائر فى الملكيات العامة والخاصة (أورد الأرقام ليرى حجم المظاهرات الذى نتحدث عنه هذه الأرقام).

لما الطلبة المعتمسون دخل الجامعة ، والذين قال عنهم الأهرام فى ١١/١١/١٩٦٨م ، فهم أنهم اعتصامهم بسبب " إحصائهم بلندن والأسف لما حدث من تخريب فى المدينة مؤخرا... كما أنهم شعروا " بانقضاء للشارع عنهم، ودهشته (دهشة الشارع) من موقفهم، الذى كان يبدو بدون مسوغ واضح " هؤلاء الطلبة الذين قال عنهم الأهرام ما قاله ، وروى عنهم أحمد كامل روية أخرى فى المصور (بنفس التاريخ السابق).

قال أحمد كامل : " خرجت من الجامعة بانطباع أن تجربة الحوالم (الذى أجراه مع الطلبة داخل الجامعة) لن تحقق للنتائج المنتظرة ، اتصلت بسامى شرف وقلت له : أبلغ الرئيس أننى أطلب تدخل الجيش لإنهاء الاعتصام (عند الأهرام وقتها على إخفاء هذه الحقيقة للخطيرة، عملا بحرية الصحافة!!!) . . . بعد دقائق جاء رد سامى : الرئيس أمرنى بأن أتصل بالفريق أول محمد فوزى : فقدت العام للقوات المسلحة ، وأن أبلغه بأن يتصل بك، بعد دقائق أخرى كلمنى الفريق أول محمد فوزى وقال : " لقد وضعت قائد المنطقة العسكرية الشمالية تحت قيادتك . . (قيادة أحمد كامل) " أخبره بطلبتك وسوف يقوم بتنفيذها على الفور "



(سيحاريون!!)، قلت (أحمد كامل) بعدها لقدت المنطقة العسكرية الشمالية أن يعطى أوامره لقيادة الطيران فى المنطقة ليتم إرسال عدد من طائرات الهليكوبتر فوق مواقع اعتصام الطلبة . . كما طلبت منه وضع بعض قوات الجيش لتتدخل إلى المحافظة وتمر بدباباتها وأسلحتها فى استعراض للقوة أمام كلية الهندسة . . عندما وصلت مجموعة طائرات الهليكوبتر فوق كلية الهندسة ، شاركت الطبيعة فى إخراج مسرحى للموقف فقد تزامن معها رعد وبرق ومطر ، ومع أصوات الرياح والسحب تصور الطلاب أن الطيران قد بدأ القصف والهجوم ، فى الوقت الذى مرت فيه بعض قوات الجيش أمام الجامعة ، وتمركزت بعض الوحدات فى الأستاد الرياضى المجاور . . ورن جرس التليفون فى مكتبى . . كلن المتحدث أحد قادة الاعتصام . . قال : " لقد قررنا إنهاء الاعتصام " .

هكذا انتهت الأحداث الدامية فى نوفمبر ١٩٦٨ ، وبدأ المجتمع مناقشتها والنظام أيضا ، مناقشات مستعجلة . . . لما وقد مرت تسع وعشرون سنة الآن . . فقد وجب علينا أن نناقشها نحن من زلوية لم يتطرق لها فى ظنى أحد . . وربما كانت - فى ظنى أيضا - هى للزلوية التى كان يجب أن يتجه إليها نظر المطللين .

### نتوقف لتحليل المفاجآت الخمس :

لقد عرضنا الأمر فى مفاجآت خمس . . ثلاث منها فاجأت الحكومة بها الطلاب ، واثنين فاجأ بهما الطلاب والشعب والحكومة .

للمفاجآت الثلاثة الأولى : نؤكد أن الحكومة كانت قد اتخذت قرارا، أعدت له عتتها جيدا - منذ مظاهرات فبراير التى فاجأتها - بالا تسمح لما حدث فى فبراير ١٩٦٨ بأن يتكرر . . وأن قرارها تضمن مواجهة أى تحرك شعبى إذا ما حدث بمنتهى القوة وبمنتهى الشراسة (لهذا صنعوا قوات الأمن المركزى) تحت غطاء اعلامى يخفى الحقائق يستبدلها بما يشوه الطلاب وحركتهم البريئة . . إن قرارا كهذا لا أظن أن المجال والشواهد يسمحان بأن نظن الظنون بخيره، يرد على أسئلة كثيرة غامضة أولها لماذا كررت الحكومة مأساة طوفان فى المنصورة . . وبدأت بإطلاق

الرصاص !!! بل لماذا اعتبرت مظاهرات طلبة الثانوى من أجل مطالب تعليمية مظاهرات تستحق مواجهة ساخنة على نغمة (اضرب المربوط يخلف السلايب) وأيضا يشرح الأمر لماذا لم تتردد الحكومة حينما رأت عاطف الشاطر على رأس المظاهرة فى أن تضرب . . وأن تضرب بعنف .

إن عاطف الشاطر - الذى يوحى رماح أسعد (ولديه أسبابه) بأنه متعدد الأقعة . . بل ويوحى أيضا بأنه أراد توريث الطلبة فى المظاهرات ليتم ضربهم . بينما أخذته (ولم تقبض عليه) قوت الأمن بعيدا عن الموقعة !! لا يمكن أن يكون ذلك الرجل الذى أراد رماح أسعد تصويره بهذا الموء . . والدليل على، أن عاطف الشاطر دفع ثمن ما حدث سنوات أبعد فيها إلى الحدود الجنوبية مجندا فى القوات المسلحة متأخرا عن إخوته فى سنوات تخرجه . . فقد اضطر إلى أن يكمل تعليمه فى الجامعة بعد قضاء سنوات تجنيده الذى احتسب له على أساس مؤهله المتوسط - الثانوية العامة - والذى يزيد فى حله السلم سنين عن المؤهل العادى فبالإمكان الوقت كان وقت حرب !!!... عاطف الشاطر الذى عوقب هذا العقاب القاسى . . لا يمكن أن يكون للرجل الذى يوحى به رماح أسعد . . يرغم هذا يبقى ما حدث لغزا . . فعاطف الشاطر كما رأينا . . دخل الجامعة مهاجما طلاب المنصورة واصفا إياهم بأنهم عملاء لا يستحقون أن يثور طلبة جامعة الإسكندرية من أجلهم ، ثم خرج من الجامعة على رأس مظاهرة تندد بالنظام الذى ولجّه عملاء - إسرائيل فى المنصورة - على حد زعمه - بالرصاص !! هل أقتعه للطلاب بغير ما دخل به !!! إذا كان قد أقتع فأى تقام كان يقصده مع رجال الأمن (كما علمنا) !!

### عاطف الشاطر ، بطل ترلجيدى :

فى تقديرى أن عاطف الشاطر واحد من أبطال ترلجبيين فى هذه الفترة وقعت عليهم يد النظام ، ولتقطعتهم بغرض احتواء الحركة الطلابية.. وتوزعوا ما بين الاتحاد الاشتراكى ومؤتمره القومى، وبين التنظيم اللطيعى، وبين مجموعة تستطيع أن تتصل مباشرة بالميد شعراوى جمعة الأمين العام للاتحاد الإشتراكى

(وزير الداخلية فى نفس الآن!!) ومجموعة ثلثية تتصل مباشرة بسلامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات، والرجل الثانى فى التنظيم الطليعى أو الثالث على الأكثر .. أقول أنهم أبطال ترليديون.. لماذا لأنهم كانوا - حائزين - بين التلاميذ بما تنفق عليه تنظيمات النظام، وبين موقفهم أمام الطلاب فهم إذا متجاوزوا مع الطلاب اعتبرهم للنظام خونة يجب ألا يفلتوا من العقاب، وهم إن تجاوزوا مع للنظام، اعتبرتهم للقواعد الطلابية خونة أو مباحث على كل تقدير ( لا ينغى كونهم أبطالاً ترليديين، أن بعضهم انتفع ومازال يشار موقفه للترليدي هذا، وبعضهم لم ينتفع ودفع ثمنًا غاليا لازدواجية فرضت عليه فرضا ) وخصوصا فى لحظات الصخب الطلابى المعارض .

ولقد وضع عاطف الشاطر البطل التراجيدي فى هذا الموقف ، أرادوا له أن يشارك فى إنهاء حركة الطلاب قبل أن تستمرى .. ولكنه وسط المؤتمر الصاخب عجز عن تنفيذ ما أرسل من أجله ، فتصور - وهذا تخيلى للأمر - أنه إذا خرج بمظاهرة سلمية (الأمر الذى كان يصر عليه الطلاب)، تعان رجليها، وإذا ما اتفق مع رجال الأمن على ألا يتعرضوا لها، فبئس يكون بذلك قد حقق ما يتمناه الطلاب وما لا يطاق للنظام إذ ستكون المظاهرة تحت سيطرته، سيقول الطلاب ما يريدون وينتهى الأمر عند هذا الحد.. لكنه لم يستطع أن يقنع رجال الأمن .. وقبضوا عليه .. وحسب ما كانوا قد أعدوا له أنفسهم سلفا، واجهوا المظاهرات بعنف ، بل وضربوا عاطف الشاطر كما أكد - أحمد كامل - فى مديرية الأمن لأنه تجاسر وفعل ما تجتمعت كلمتهم على حتمية ألا يحدث ، وهو خروج المظاهرات إلى الشارع .. وعندما عاد عاطف الشاطر إلى الجامعة بضبط طلابى .. لم يستطع البطل التراجيدى إلا أن يتخذ موقفا يرضى عنه من أخرجه من الاحتجاز، ولقنوه من الضرب المبرح، هكذا سيق البطل التراجيدى إلى حقه .. وإلى مفاه فى أبعاد نقطة على الحدود الجنوبية لمصر.. وإلى شك بعض أبناء الحركة الطلابية فى نواياه حتى اليوم (عاطف الشاطر الآن فى المغرب على ما أظن يعمل بالتجارة).

لما المفاجأة الثانية والتي عبرنا عنها بأن زوار الفجر هددوا القيادات

الطالبة بالويل إذا ما حدث المؤتمر الذي كانوا يزعمون إقامته ، فتحت أن نوعاً آخر من أبطال غير تراجيديين - مباحثيين - قد اخترقت بهم أجهزة الأمن للنشاط الطلابي (بينما منعت في العن حرس الجامعة من التدخل في نشاط الطلاب العباسي !!) كانوا يؤدون واجبهم على أحسن وجه ، وهو الأمر الذي أضاف إلى مطالب طلبة الإسكندرية مطلبهم ، قيام دولة المؤسسات بدلا من دولة أجهزة الأمن!!

ومرة أخرى، نتوقف عند ما وصلنا إليه قبلا

لقد فوجئت الحكومة - كما فاجأت الطلاب - بتلك المواجهة الشعبية العنيفة لإجراءاتها - العنيفة أيضا - ( أرجع إلى المفاجأتين الرابعة والخامسة ) لكن بدا - في ذلك الوقت - أن الحكومة ( وقصة تدخل الجيش الذي طالب به أحمد كامل وتدخل بالقفل كما رأينا توضح ذلك ) لن تتوانى عن التصعيد في مواجهة أى تصعيد . . الأمر الذي خشى مخيته الطلاب فهو من ناحية سيعرض البلاد لما يجب ألا له . . ومن ناحية أخرى لن يوفر مناخا لتحقيق أى مطالب ، وهكذا عندما أغلقت الحكومة الجامعات، وراح طلاب الجامعة لاعتصام كلية طب جامعة القاهرة الذي أعلنت عنه الكلية قبل يوم الإغلاق . . تفرقوا لا يعرفون ماذا يفعلون في مواجهة حكومة مصر على التصعيد !!! في مواجهة سلطة أرادت ألا تتصرف إلا كسلطة !!!!! مصممة على ألا تتغير وعلى أن تفجر الدنيا تفجيرا لا تتراجع عنه إذا ما لم لحد أنفها.. مجرد أنفها.

والحقيقة أيضا . . أن غريتنا آخر كان في الطريق إلينا . . إن مواجهة مظاهرات المنصورة بالرماس ، تلك التي ضمت أقل من ألفين ( عدد بسيط للغاية) من طلاب المعهد الدينى ، فتحت فتحا على أساقفته ( معبدون ومدرسين وأساقفة ) قد تلقفتهم المملكة العربية السعودية، مثلهم مثل الإخوان المسلمين . . وعاد إلينا منها فيمن ذهبوا غاضبين ، الشيخ عمر عبد الرحمن ومعارنوه الذين أصبحوا فيما بعد أعمدة للإرهاب ، يتخذون حجة في مواجهتنا تكرر إرهابهم بأن

إرهاقا قد وقع عليهم في المظاهرات . . وفي السجون، وفي حياة الملايين غير المحتملة أيضا.

### النور في جنازة عبد المنعم رياض

لكن - برغم هذا السواد - فلن نورا باهرا قد سطع وهذا النفوس . . هذا النور هو حرب الاستنزاف العظيمة . . تلك الحرب التي لولاهما لتبعثر الوطن شظايا ، ولعل جنازة العظيم عبد المنعم رياض . . رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية، البطل الذي مات شهيدا في أقرب النقاط إلى العدو ( المعنية رقم ٦ ) والتي ضمت الألوف المؤلفة، توحى بأن التحاما بين الشعب وقيادته لن يتم إلا في طريق بذل كل ما هو غال في سبيل حرية هذا الوطن ، وليس أعلى على الوطن من أبنائه الذين يقدونه بحياتهم ، لييقروا أحياء ، ولكن البعض لا يعلمون . .

في جنازة عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة وصاحب اليد للبيضاء في إعادة بنائها . . والوصول بها إلى مستوى بدأ يقلق العدو ويسعى لاستنزافه ، وجد جمال عبد الناصر نفسه والجماهير تنفعه من الخلف - فطيا - في مأقيها نمو، وفي قلبها نشوة بأن القيادات تستشهد في مواقع شديدة القرب من العدو، تستشهد حيث يجب أن تكون الوقفة وأن يكون الاستشهاد . . نشوة إلى جانب الحزن الشامخ لفقدان رجل عظيم . .

وجد عبد الناصر للجماهير تنفعه في اندفاعها وراء الجثمان.

وفهم جمال عبد الناصر الذي كان يفهم نبض الجماهير.. أن الجماهير لا تنفعه إلى جامع للكخيا . . فهم أن الجماهير تنفعه إلى مسيئاء، وأن دفعها له يرضيها ويهدئ خواطرها ويؤجل خلافتها لحين تحقيق الأمر الأهم . . وبين هذه الجماهير كان الطلاب.

### الطلبة تعد لميثاق وطني جديد :

فى أثناء اشتعال حرب الاستنزاف، ذلك الاشتعال المقدس ، اكتفى الطلاب بمجلات الحائط فى كلياتهم يعبرون فيها عن قناعتهم .. يقول عادل بدوى ، (طالب كلية للتجارة جامعة عين شمس وقتها والمحاسب الآن) : منذ أوائل ١٩٦٩م، ظهر الخلاف جليا بين أعضاء التنظيم الطليعى الثنائى ( بعض الأبطال السترايديين ) ، وبين كتلة كبيرة من الشباب الوطنى، الذى تسعت شقة الخلاف بينه وبين رجال النظام للقاء (لكن حرب الاستنزاف كانت - كما قلنا - تلقى الثلج المدمم على الغليان الغضوب ) وقد تمحور الخلاف، حول قضيتين أساسيتين أولاهما : ضرورة الجدية فى تغيير نية وأساليب الحكم فى إطار حرب التحرير الوطنية، وثانيتهما ضرورة إرساء قواعد الديمقراطية وحرية التعبير .. ورحلت المجالات تتجه بهذين الهمين إلى مناقشات غاية فى العمق، حول الأوضاع السياسية لمصر والعالم (بالطبع كان أعضاء التنظيم الطليعى يرون أن للسلطة مبررات لموقفها الرافض أو فى أحسن الأحوال المؤجل للتغيير، تكمن فى خطورة المواجهة مع العدو الصهيونى، وإن التغيير المطلوب - جزء كبير منه قد تم بالفعل من وجهة نظرهم وحدهم!!! يجب أن ينتظر التحرير الذى يجب أن يكون - بكل معنى الكلمة - لهم الذى لاهم قبله ولا بعده، وكان بعض الأساتذة - ولعلمهم أيضا كانوا أعضاء فى التنظيم الطليعى - يساعدونهم على هذه التحليلات ويوفرون ظروفًا معاكسة لمجلات الحائط المعارضة).

ويقول عادل بدوى أيضا (محاسب الآن) : أنه فى أوائل عام ١٩٧٠م، أصدر طلاب كلية التجارة جامعة عين شمس ثلاثة أعداد متتالية من مجلة التجارة إقام على إصدارها محمد لطفى حصونة (استاذ فى كلية للتجارة الآن) وهانى الحسينى (محاسب الآن) وعادل بدوى، لم تكلف أو تطلب من اتحاد الطلبة مليما ولحدا . فقد تم تمويلها من الإعلانات ..

كانت الأعداد الثلاثة من المجلة تحتوى على مقالات مناهضة لما طرحه

هيكل من أن ٩٩% من أوراق اللجة في يد أمريكا (في ذلك الوقت المبكر!!، بينما للجميع يظنون أن هذه الأطروحة المدمرة كانت اكتشافا مدافيا) وتؤكد على الدور الشعبي الوطني في مقاومة العدوان ، عارضة للتجارب الثورية العالمية ، وكيفية مقاومتها للتسلط الأمريكي المباشر . .

وفي عدد من هذه الأعداد الثلاثة تم عرض برنامج عمل وطني جديد ( ذلك أن موعد تعديل الميثاق الوطني كان سيحل بعد سنتين ، كما أوضح جمال عبد الناصر وقت إعلانه مؤكدا أن الميثاق الوطني سيتم تعديله بعد عشر سنوات) لتبدأ المناقشات حول البرنامج الجديد ومازال ألام الشعب فحة من الوقت تمكنه من المناقشة . . والحققة أن هذه الدعوة وجدت استجابة في الحركة الطلابية الأمر الذي جعل الأستاذ الدكتور محمد فتحي محمد علي (أستاذ الإحصاء والذي أصبح وزيرا للتعليم في وقت لاحق) يحذر القائلين على العجلة من خوفه بأن اعتقالهم سيتم قريبا (فقد كان على حد تعبير عادل بدوي "واصل") في نفس الوقت الذي كان الدكتور مصطفى زهير عميد الكلية يقف مع الطلاب مؤكدا على حقهم في التعبير عن إرادتهم المستقلة.

وفي يونيو ١٩٧٠م يقول عادل بدوي : تقدم وإيام روجرز بمبادرته الشهيرة بليقاف إطلاق النار تمهيدا للتسوية بين مصر وإسرائيل . . تلك المبادرة التي رفضها السادات !! نائب رئيس الجمهورية !!!! ووافق عليها جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية، ليتمكن من إقامة حائط الصواريخ "سلم" لحماية العمق، المصري من غارات العدو "الديموقراطي!!)، على الأطفال في مدارسهم، والعمال في مصانعهم والذين عند جسوره ، وبينها المد العالي، وأيضا ليتمكن الجيش من العبور في ظلها).

يقول عادل بدوي : كانت لدينا قناعة كبرى في أن جمال عبد الناصر سوف يرفضها ، لما لها من تأثير سيئ على المقتل المصري، والوضع العربي الساخن والمؤهل لحرب التحرير الوطنية ، وفوجئنا بقول جمال عبد الناصر لها وقمنا

بإعداد بيان في منشور يوزع على شعب مصر، مؤكدين أن قبول المبادرة (فى رأيهم) بداية للتنازل عن اللاءات الثلاث التى اتفقت عليها الأمة العربية كلها فى الخرطوم . . . وقبل توزيعهم للبيان فوجئوا بالقبض عليهم ظهر ٥ أغسطس ١٩٧٠ لـ محمد عبد ، عادل بدوى ، صلاح زين الدين ، عادل عبد العظيم ، محمد عبد الظفار " كان عاملا بكلية الزراعة " رواية عبد العظيم ( ناشرة الآن ) فاطمة الديسوى ) ، وسمية على ، وزينب عبد العظيم ( كان قرانها معقودا على محمد عبد ) واقتيدوا من مزرعة بالهرم كانوا يطبعون فيها البيان إلى سجن المخابرات العامة لمدة خمسة أيام ، ثم إلى سجنى الاستئناف والقناطر (للنساء) ليقتضوا تسعة شهور حتى إبريل ١٩٧١م ، حين أخرج عنهم أنور السادات فى الإقراج الشامل الذى أراد أن يزيد به حجم شعبيته قبل حركة مايو ١٩٧١ .

إن كلمة عادل بدوى تؤكد ما وصلنا إليه . . . من أن الهدوء الظاهرى لحركة الطلاب لم يكن إلا نتيجة لحرب الاستنزاف العظيمة وأن بداية السخونة فى حركة الطلاب جاءت مع وقف إطلاق النار (برغم أن أسباب عبد الناصر لوقف النار كانت مقنعة ودور حائط الصورىخ المصرية العظيم وأبطاله الأعظم خير شاهد على كون أسباب عبد الناصر مقنعة) لأن حلم التحرير لم يكن يحتمل أى تلكؤ أيضا كان سببه !!

نقول : إن الهدوء كان ظاهريا ذلك أن الجماعات الدينية فى الكليات المختلفة وعلى قماتها كليات الطب والهندسة كانتا تعدان لشيء . . . وكانت جماعة أنصار الثورة الفلسطينية بكلية الهندسة ، والجمعية العلمية بكلية الطب جامعة القاهرة تعدان - علوما لم لم يطموا - لحركة ١٩٧٢ العظيمة . .



(٨٢)

على مسؤولية قائد سلاح  
الطيران في ١٩٦٨ عبدالناصر  
قال: إضربوا الطلبة بالطيران !!!



عندما كتبت في بداية مقال الحدد الماضي: "لا يخطيء نظام عاقل الخطأ مرتين، لكن نظام عبدالناصر فعلها!! لدغ من حجر واحد مرتين! ولأن النظام كان وقتها عاقلًا، فلا بد لنا الآن لكي نقرب من حقيقة ما حدث، أن نتصور أن نظام عبدالناصر لم يخطيء عن جهالة، لكنه أخطأ متعمداً عندما كتبت ذلك، كنت استقرئ أحداث نوفمبر ١٩٦٨، ودلني الاستقراء على أن مظاهرات المنصورة في اليوم الأول لم تكن تستاهل كل هذه المواجهة الساخنة، وأن مظاهرة للمعهد الديني في اليوم التالي لم يتعد عددها الألفين ما كان يجب أن تخيف أحداً، ولا أن تتم مواجهتهم بالرصاص! ليسقط أربعة من الشهداء، وتشتعل المدينة، ويمتد الأوار إلى الإسكندرية مع الطلبة النقهلاويين، لوفاجاً الطلاب في الإسكندرية بشراسة أشد، وبشهداء أكثر وصل عددهم إلى ستة عشر!!

كنت أقصد أن السلطة كانت قد بيّنت لنية لمواجهة أي تظاهرات بمنتهى العنف، ومنذ اللحظة الأولى .. حتى بعد أن تعلمت درس حلوان في فبراير ١٩٦٨، عندما أطلقت الرصاص، فأطلقت الغيظ المكبوت، والحناجر ضد الظلم والديكتاتورية، كانت قد بيّنت النية على أن تلدغ من نفس الحجر مرتين، لكي تسوي للمعارضين عينها الحمراء!!.

والحقيقة أنني كنت أتوقع ردود فعل عنيفة لهذا المقال .. فالذين يحبون عبدالناصر — ولست بعيداً عنهم — أن يقبلوا بسهولة هذا الاستقراء الذي كان اجتهداً بسيطاً في متابعة أحداث شديدة الوضوح ناصعة الدلالة .. ولقد حدث ما توقعت وليس هذا هو المهم .. المهم أن حدث ما لم أتوقع.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة مساءً بقليل حين دق جرس التليفون في منزلي .. رفعت السماعة .. وجاعني الصوت من الناحية الأخرى قتلًا:

— أنا اللواء متقاعد مصطفى الحناوى.

ولابد أن الرجل لاحظ ارتبكي .. وأن نكاهه ألهمه سبب الارتباك .. فبادرنى قتلًا:

— لقد كنت قائد سلاح الطيران فيما تلى نكسة يونيو ١٩٦٧ وحتى يونيو

١٩٦٩.

وقال لى الرجل الكريم: إنه تابع المقالات الفاتنة، وأن لديه ما يريد أن يقوله، وأن هذا الكلام على حد تعبيره، يرسم تفاصيل الصورة على الجانب غير المرئى من الجبل .. (تعبير طائر!) ثم قال للرجل الكريم كلاماً أذهلنى .. أذهلنى حقيقة.

تخلصت من ذهولى واتصلت باللواء مصطفى الحناوى .. أطلب ميعاداً لمقابلته وللتسجيل له .. وأشهد أن كان الرجل للشرقاوى كريماً للغاية .. كريماً فى دعوته، وكريماً فى إسهابه أيضاً عندما جلست إليه فى منزله وبيننا شريط التسجيل دتراً فى الجهاز وحولنا الكرم للشرقاوى الشهير.

قال الرجل:

— نقطتان أثرتهما فى مقالاتك، استغرتانى، جطتانى لفرر أن أنفس بخاراً مكتوماً عذبى لسنوات طوال .. الأولى: أن الفساد هو الذى هزمنا فى يونيو ١٩٦٧ وليست إسرائيل .. الجبل، وليس جيش الدفاع الإسرائيلى، لقد كنت محقاً عندما قلت إن قيادات حرب ٦٧ بكل مستوياتها ظلمت الجيش المصرى .. حقيقة .. للجيش كان مظلوماً .. مظلوماً .. مظلوماً.

راغت عينا الرجل وترغغت .. فأنشاح ناظراً إلى السقف .. ولما عاد .. كان يبيلج فى ريقه غصة ويقول:

— النقطة الثانية كانت هي العنف الذي قررت السلطة — وقتها — أن تواجه به الطلاب المتظاهرين في نوفمبر ١٩٦٨، ولم يكن تبريرها للعنف مقبولاً ولا مقنعاً.

تهدد الرجل نفسه بعض بخاره المكتوم .. وأردف والغضب يرجه:

— للأسف الشديد .. لقد كنت شاهد عيان على اللقطتين .. وإن يريحني إلا أن ألقى بشهادتي كاملة.

لاحظتها أدركت أن الرجل أن يكون في حاجة إلى أسئلة تفرد الحديث .. لقد أيقنت أن الرجل — كما قال تماماً — لا يريد إلا أن ينفس بخاراً قرر ألا يظل مكتوماً .. ولأنه أن يكون على — بعد — إلا أن ألقط بعض البخار ونقله لكم:

في أول مايو ١٩٦٧ خطب جمال عبدالناصر قتلًا: إن أحدًا أن يفرض عليه أن يحارب إسرائيل، فنحن من يختار الزمان والمكان للمعركة المقبلة، وقال: أما لبنى مصنع أبقى بأحارب إسرائيل، لما أعمل مشروع أبقى بأحاربها" برغم هذا أعلن عبدالناصر للتعينة العامة في منتصف مايو لأن إسرائيل تهدد الجولان بحشود عسكرية!!

وفي الأسبوع الأخير من شهر مايو طلب عبدالناصر من عبد المنعم رياض تقريراً عن حالة الجبهات العربية لدول المواجهة، أرسلني عبد المنعم رياض إلى الأردن .. هناك قابلت الشريف ناصر بن جميل خال الملك حسين .. وآخرين تربطني بهم جميعاً صداقة من العمل المشترك .. قال الشريف ناصر: إن إسرائيل لم تحشد حشوداً في مواجهة السوريين .. وليس لديها نية للهجوم على سوريا .. وما يحدث تكبير من المخابرات المركزية الأمريكية، لاستنفار مصر وخروج قواتها إلى العراق في ميناء لتصبح صيداً سهلاً، ويتم تدميرها .. (نفس الكلام قلله الملك حسين لعبد المنعم رياض) وذهبت إلى سوريا .. في سوريا قالوا إن هناك حشوداً .. لكنهم لم يقولوها بشكل قاطع، ولم يؤيدوا كلامهم لا بصور ولا تقارير استطلاع ولا حتى بإخباريات من العملاء المزروعين في إسرائيل.

هذا الكلام نقل لعبد الناصر .. برغم هذا أغلق خليج العقبة، وإغلاق خليج العقبة يعني إعلان الحرب!!.

برغم إغلاق الخليج (إعلان الحرب) فإن قوتنا في سيناء لم تعرف لها مهمة محددة .. " راحت ومغيش مهمة"، لا تعرف هل سنهاجم، هل سندافع ، هل هى تستعرض وحسب، نحن الذين درسنا خطة القتال مع إسرائيل في موسكو .. (٤٢ ضابطاً) لم نكن نفهم .. إذا كنا سندافع .. فلماذا تجاوزنا خط الممرات، خط الدفاع عن مصر والقناة كما كنا قد خططنا .. إذا كنا سنهاجم .. فالهجوم له ترتيبات لم نتخذ!! إذا كنا نستعرض فلماذا أغلقنا خليج العقبة .. بعد ذلك أكد جمال عبدالنصر أننا لن نهاجم إسرائيل، إلا إذا هاجمتنا وهكذا لمأمنت إسرائيل وراحت تسعى لمخططاتها ونحن في هذا التخيبط.

جاء الملك حسين إلى مصر ليقول إنه مع العرب إذا حاربوا وطلب قيادة مصرية لجيشه الأردني حتى لا تكون هناك شبهة خيانة لو ما شابه، وما أتيح عن أبيه في حرب فلسطين كان الرجل يريد أن يتجنبه .. وهكذا أرسل عبد المنعم رياض إلى الأردن، وذهبت معه قلة للطيران .. وصلنا قبل الحرب بثلاثة أيام، لم نجد لدى الأردنيين ما يمكن أن نحارب به حرباً حقيقية .. بالنسبة للطيران كان عندهم اثنتا عشرة طائرة (هنتر) فقط ولم نجد مطاراً حربياً مجهزاً، برغم أنه فى القيادة العربية الموحدة كانت هناك خطط، وكان هناك تمويل، لكن لم يتم شيء .. مطار عمان مطار مدنى .. وبينه وبين المطارات الإسرائيلية سلسلة الجبال التى تفصل بين الأردن وإسرائيل .. لو طلعت إسرائيل من مطاراتها .. مش ح نلحق نعمل حاجة .. والجبال ح تخلى الرادار ما يلقطش طياراتها، حملت تقدير الموقف تانى يوم .. (قبل الحرب ببومين) إلى الملك حسين ضمن القادة جميعاً .. طلبت أن ننقل الطائرات إلى مطار عراقي أعرفه جيداً، وقلت إن مدى الطائرات يسمح بالذهاب والعودة من العراق إلى إسرائيل وبالعكس .. رفض الملك حسين لأن للشعب الأردني سيئس أن طاقته هربت إذا ما ذهب إلى العراق .. الشيء الوحيد الممتاز في الأردن كان محطة رادار عجلون .. محطة جديدة، موقعها عال

وممتاز، ويشعرك بأنك تطل على إسرائيل كلها من شرفة .. بالنسبة للقوات البرية الأردنية كانت متركزة عند الحدود من ١٩٤٨ ولا شيء يحدث، فالضباط جاءوا بعائلاتهم، وكذلك الجنود .. أى أن العائلات تسكن في الجبهة!! وهذا كان من شأنه أن يربك القوات بالخوف على الأهل إذا ما نشب قتال.

جاء خمسة يونيو ولم تكن قد استطلعنا بما فيه الكفاية، ولا عرفنا وضع القوات بما يمكننا من تحريكها .. وجاءنا من محطة عجّلون أن الطائرات الإسرائيلية قد تركت مطاراتها للهجوم على مصر .. وهنا حدثت المصيبة التي ما بعدها مصيبة .. كنا متقنين مع القيادة في مصر على أن نصيح في اللاسلكي، عذب .. عذب .. عذب .. (ثلاث مرات) إذا ما غادرت الطائرات الإسرائيلية مطاراتها إلى مصر لتبدأ الحرب .. صحنا في اللاسلكي ولا حياة لمن تتادى .. بعد الحرب وكنت واحداً من ثلاثة اختارهم محمد فوزي كلجنة لتقصي الحقائق عما حدث في القوات المسلحة أثناء الحرب، طمت أنهم كانوا قد غيروا التردد حتى لا تتكشف رسائلنا .. لكننا في الأردن لم نخبر ولم يعطونا جنود تغيير الترددات الذي هو على السرية.. وأقول إنها المصيبة التي ما بعدها مصيبة، لأنهم لو سمعونا في مصر كانوا سيجدون أمامهم نصف ساعة يرتبون فيها لصد الهجوم الجوي، وكان مسار التاريخ قد تغير ١٨٠ درجة .. وحتى يوجعنا قلبنا ويوجع أكثر ما هو موجود. علمنا فيما بعد من الأسرى الإسرائيليين أن التعليمات التي أخذوها من قيادتهم كانت تؤكد عليهم بعدم إتمام الهجوم البديء للحرب إذا وجهتهم لوبة مقاومة!!

لم تكن حرب سبعة وستين حرب الأيام الستة كما قالت إسرائيل، لقد انتهت للحرب - بالفعل - لحظة بدأت بتدمير الطائرات فوق ممرات المطارات، وما بعد ذلك كان تخبطاً، ولم يكن حرباً، على الجبهة الأردنية أُمّرت الطائرات الانتصبي عشرة بالطلوع، عشر منها تهاجم المطارات الإسرائيلية .. واثنين لحماية العشر عند الإقلاع وعند العودة، ولقد عادت الطائرات سليمة ليتم تدميرها فوق أرض

المطار بمجرد نزولها ومغادرة الطيارين لطائراتهم، وعلمنا أن إسرائيل كانت أخذت مطاراتها إلا مطارين لتركز الحماية عليهما .. ومن هذين المطارين طلعت الطلعات كلها على ارتفاع قريب جداً من سطح البحر مستهدية ببضات الكترونية كانت تطلقها السفينة ليبرتي الأمريكية. مقر قيادتي في مطار عمان، مكان من الطوب الذين ضرب وسوى بالأرض، واعتبروني استشهدت لولا أن جاء قائد القوات البرية ليتفقد الموقف فوجدني حياً لا أريد مغادرة موقعي المدمر.

كنت قد طلبت من الطيارات السورية أن تضرب مطارات إسرائيل بين الطلعات التي بدأت الحرب .. لكن السوريين أجلبوا بأنهم لم يستطيعوا ترتيب أمورهم في الوقت المناسب .. طلبت من العراق فترتبت ثلاث طائرات تي يو ١٦، واحدة تعطلت قبل الإقلاع، وواحدة تاهت، والثالثة دخلت المجال الجوي الإسرائيلي وفقرغت حمولتها من القنابل، لكن لم يأت لنا تقرير بأنها نمرت شيئاً .. وقطع الطيار العراقي إسرائيل من الشمال إلى الجنوب قبل أن يعود لا أعرف لم ؟! لكن المهم أن أحداً لم يعترضه، ولم تطلق عليه طلقة واحدة .. إسرائيل ليست كما تتصورون .. المشكلة فينا نحن، والحقيقة أن إسرائيل لم تواجه جيوشاً عربية .. لم نرها ولم نرنا .. لقد ولجعت مهزلة عربية بكل المقاييس .. إنسى حزين على البطولات التي أبداها البعض لأن جهل القيادات كان قد حسم الأمر منذ البداية والإهمال كان قد تكفل بالهزيمة المرعبة مع التخبط والـ .. تقول إيه بس .. القوات البرية العربية لم تكن أحسن حالاً، موضوع سكنى للعائلات في الجبهة .. تكفل بآرباك القوات خوفاً على ذويهم وشقتهم في محاولات مستميتة لإنقاذ زوجاتهم والأولاد !! برغم هذا سخر العرب منا ومما حدث .. فهم كانوا ينظرون لمصر على أنها لم الدنيا .. وأنها كانت - حسب التوقع - قادرة على إسرائيل، سخرتهم كانت تمزق قلوبنا .. بل ونظرات جنودنا أيضاً .. كنا نخجل حتى من زوجاتنا.

عدنا إلى القاهرة والغضب والخجل يفئكان بنا .. كنا قيادة وضباط وجنوداً نريد أن نعرف حقيقة ما حدث .. وذات يوم استدعاني محمد فوزي القائد العام ..



قلت سيقبض على .. فقد كان محمد فوزى يستدعى قادة الطيران ويقول لهم اذهبوا إلى الكلية الحربية وخذوا من قللدها للتعليمات .. وكانوا يذهبون ويتم سجنهم هناك، لكن محمد فوزى قال لى : تم اختيارك عضواً فى لجنة تقصى الحقائق .. فى اللجنة عرفنا الهول كله .. لكن أهم شيء عرفناه .. أن القيادات التى لا تعلم شيئاً عن فنون القتال الحديثة، على كل المستويات .. والتى كانت تتمتع بـ"جنسية" أنا الأقدم" و"كلامي يمشى" كانت وراء ما أصابنا كله، هكذا العسكريون فى كل موقع .. كنا نتندر ونحن بعد صغار فى القوات المسلحة .. فيقول الواحد منا لزميله : اسمع بولاد ياقلان .. أنا أقدم منك، نلعب تنس .. أنا شوط وأنت ما تصدش .. نلعب طاولة أنا يجلى فى الزهر "شيش" (ستة) وأنت يجيك "يك" (واحد)، أنا ما أعرفش إيه أنت إيه .. وفوجئنا ونحن كبار بأن الأمور على مستوى الدولة تدار هكذا .. ليس المهم من يعرف .. المهم أن أمرك فتطيع .. وهكذا كما قلت، إننا هزمتنا جهل قيادتنا على كل المستويات .. المهم .. أعدنا تقريرنا وقلنا إن عبدالناصر لا يمكن أن يقرأ هذه الآلاف من الأوراق .. لابد لنا من أن نلخص له الأمور فى صفحة أو اثنتين .. وهكذا أضفنا بلداً سابعاً لمحاضر التحقيقات التى قامت بها لجنة تقصى الحقائق .. وضعنا فيه كل شيء .. من أول الخطأ فى إغلاق خليج العقبة وإخراج قوات الطوارئ للدولة .. إلى سوء وضع قواتنا فى سيناء الذى أدى إلى تدميرها بسهولة ، إلى .. إلى .. إلى .. وأرسلنا التقرير لجمال عبدالناصر .. وأرسلت نسخ منه إلى المدعى العسكرى .. طبعاً المحامون الذين جاء بهم المتهمون .. ما إن قرأوا الباب السابع حتى صاحوا، هذا هو دفاعنا عن المتهمين .. ثم فوجئوا بعد ذلك بأن الباب السابع تم نزعـه من ملف التحقيقات .. والسبب واضح.

بعد ذلك استدعنى أمين هويدى وقال : إن قراراً جمهورياً صدر بأن أتولى الطيران .. والحقيقة أن الطيران كان مشكلة فى ذلك الوقت بعد الانكسار مباشرة، فائدته كلهم فى السجن، وهيكـل قال لى فيما بعد ذلك بسنوات، إن عبدالناصر كـاد يفرج عن واحد من المسجونين ليتولى قيادة الطيران .. إلى أن اهتدى إلى أن يوكل

المهمة إلى الفريق أول مدكور أبو العز .. وكان محافظاً لأسوارى فى ذلك الوقت .. الحقيقة الفريق مدكور أخلاق وحسن إدارة وانضباط مغيث بعد كده وأنا شخصياً كنت معجباً به .. وعمل لثيابه عظيمه فى الطيران، جاء بالسادة الجامعة لكى بصمموا له دشماً تحمى الطائرات .. وضع خطة .. لكن معلومات الطيران بتتغير كل يوم، العلم ما بيفضلش على حال .. كل لحظة لكشاف جديد.. جئت بعد الفريق مدكور الذى كان بعيداً لفترة عن القوات الجوية لأنه كان مختلفاً مع الفريق أول صدقى محمود، جئت لأكمل ملهده .. ولبدأ مله يبدأ بعد.. والحقيقة عملنا حاجات كثيرة لدرجة أن أحد القادة الروس الذين كانوا يعاونونا .. زارنى فى مكتبى وأخبر أنه قال لى: إنه لم يزر أحداً غيرى، وأن ما فعلته فى الطيران فى عشرين شهراً لم يكن من الممكن أن يتم فى عشرين سنة .. الحمد لله .. كنت أعمل ليل نهار وننجز، وكان عبدالناصر قد استقبلنى فى البدء .. والحقيقة صعب على وهو يشرح لى أنه لم تكن له يد فيما حدث، فلم يكن يستطيع أن ينقل لمباشياً إلا بمعرفة المشير .. وإن المشير كان يعتبر الجيش إقطاعه .. وكان قد وجه مدافع فى المأظلة لتقف ببيت عبدالناصر - كما قال عبدالناصر - بالقبائل إذا ما حدث شيء استلزم ذلك من وجهة نظر المشير و و و وكنت أقول له ربنا يخليك لينا يا فندم .. وكنا نصمى جاهدین لإصلاح الأمور حتى قمتم أنتم بمظاهراتكم !!

قال سيادة اللواء مصطفى الحناوى :

- هكذا نكون قد تكلمنا باختصار مغل .. عن شهادتى فى النقطة الأولى، وقيمت لنا النقطة الثانية لألقى بشهادتى فيها .. شهادتى بالنسبة لمظاهرات الطلبة .. قلت :

- إنها للشهادة القليلة التى لا أكاد أصدقها ..

قال فى تواضع شديد :

- ولا يمكن لأحد أن يصدقها لولا أن شهودها أحياء .. لاحظتها نظرت للجهاز لأتأكد أنه مازال يسجل.

قال اللواء مصطفى الحناوى :

كانت المظاهرات فى الإسكندرية على قدم وساق فى نوفمبر ١٩٦٨، وكنت أنا فى مقر قيادة القوات الجوية. اشتغل على .. بامضى أوراق مهمة .. رن جرس التليفون، وكان على الخط للفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة .. (كان أستاذى فى الكلية وكان فيه جانب كبير من العنف .. ولا أقصد بالعنف الشدة .. فالشدة ممكنة دون عنف) قال محمد فوزى :

- اللواء المراسى فى إسكندرية طلع بالقوات بتاعته عشان يفرق مظاهرات الطلبة ماقدرش، أنا بأديك أمر أنك تفرق المظاهرات دى بضوب النار من طائرات الهليكوبتر .. "الفريق فوزى قال كده وأنا الم على فسى دماغى ماخسيتش بنفسى.." قلت:

- يا نهار أسود .. ميلانك بتقول إيه .. نضرب الطلبة بالرشاشات المثبتة فى الهليكوبتر (تحيل لنا أجريناه فى الهليكوبتر وعاوننا فيه أحمد فهمم الريان) أنت عارف ميلانك للنتيجة ح تبقى إيه .. ح تبقى مجزرة .. حبقى سلخانة ..

الطلقة ٣٧ ملليمتر .. مش ح تصيب واحد .. فى الزحمة ممكن تصيب عشرة ورا بعض .. دقيقتين أمشيهم فوق شارع أبو قير وشريط واحد أخلصه (ألف طلقة هى الحد الأدنى) وتبقى محتاجين الجيش الثالث عشان يشيل الجثث .. إحنا جاييين الطائرات نحارب بيها إسرائيل وإلا نضرب بيها ولاننا.

قال محمد فوزى :

- دى أوامر السيد الرئيس جمال عبدالناصر .. السيد الرئيس بيقول إن مظاهرات الطلبة الغرض منها إسقاطه .. ويطلب منا مساندته.

قلت وأنا ما زلت مذهولاً :

- ياغندم دى ح تنكتب فى التاريخ .. زياها زى منيحة القلعة .. منيحة كوبرى عباس .. التاريخ ح يكتب أننا قتلة، والشعب مش ح يسمح .. وفرض

ياقندم أديت أنا أمر لضباط الهايوكوير بضرب الطلبة ورفضوا .. ح نحاكمهم !!  
ح نحاكم السنة وتسعين ضابطا ح نحاكمهم ياقندم !! لا ياقندم أنا مش منفذ، وأنا  
جاهز ياقندم تعملوا في إلى افتوا عليزينة .. أنا عاضى ومش منفذ .. قال محمد  
فوزى :

- ح نقول ليه لعبد الناصر.

قلت :

- قول له يختار السجن اللى لوجه له .. وأنا جاهز ياقندم .. أنا عاضى  
ومش منفذ .. أنا لالى فيهم ابن ولا أخ وبرضه ما لندرش لضربهم.

قال محمد فوزى :

- لضرب فى المية.

قلت :

- لو ضربت فى المية .. ما هو ضرب نار برضه ياقندم .. لا ياقندم.

قال :

- تصرف بأى طريقة مقرر على جمال عبد الناصر.

- وتصرفت .. وغضب جمال عبد الناصر .. وأمرها فى نفسه .. قلت لقلند

لهايوكوير فى الإسكندرية .. كل لالى ح عمله .. أنا كنا بنطلع الطيارات من  
للخيلة، تطير على البحر لحد ما توصل أبو قير .. خوفاً من أن تقع على مناطق  
سكنية إذا وقعت لا قدر الله .. قلت له ما تمشي على البحر أمشى فوق البيوت ..

وما تحملش ذخيرة نهائياً، وتأكد بنفسك أن مغيث أى ذخيرة على الطائرات ..  
تأكد بنفسك .. كنت أخشى أن حد خسيم يحمل الطيارات فى السر .. عشان يرضى  
أسيداه، وطبعاً أسيداه ح بجموه .. وده لالى حصل .. وأبلغته لمحمد فوزى، فقال :  
ماشى.

- وطبعاً فوزى بلغ جمال عبد الناصر.

وسألت اللواء الحناوى :

♦ كيف عرفت أن جمال عبدالناصر غاضب منك ؟

قال :

عبد الناصر ما كناش بيتكلم .. لُتَرها في نفسه .. لكني عرفت بعد ذلك ما حدث من الأستاذ هيكل .. كنت باسجل للأستاذ هيكل في مكتبه ما حدث في حرب ٦٧، وقال لي الأستاذ هيكل : (عبد الناصر بعد المظاهرات قال لي: أنا ح لُشيل الحناوى .. قلت له ياغندم ده عمل حاجات كويسة كثيرة في الطيران .. قال ح لُشيله لأنه كان يعلم أن الهدف من مظاهرات الطلبة هو إسقاطي ولم يرد أن يساعدي!! هل كان يدور في خلدي وأنا لُستقري حواش نوفمبر ١٩٦٨ أن هذا هو ما حدث .. بالطبع لم يدور في خيالي حتى ثُمىء من هذا .. لكن شهود الواقعة لُحياء..الفريق فوزى حى، الأستاذ هيكل حى، واللواء نبيل كمل الذى تلقى الأمر ونفذه .. حى .. وأنا ولُتم لُحياء، ومن يحيا يلما يشوف وللى يكتب ويقرأ 'يشوف' أكثر !!

مد الله في أعمار الجميع



(١٢)

وشرحت الأمر لشباب  
الناصريين





أول ما جلست إلى اللواء الحناوى — أمد الله في عمره — فى بيته الجميل  
بالمأظة وبيننا جهاز التسجيل يدور، بإدريته بالسؤال :

— هل هناك شهود للواقعة التى سترونها حضرتك لى ...

وبمنتهى الثقة رد على الرجل الكريم:

— نعم هناك شهود أحياء ..

— من هم ؟ .

— اللواء طيار د. جبر على جبر وكان ضمن قيادة الطيران بين ٩٨  
و ١٩٧٤، واللواء نبيل كامل ، قائد فرقة الهليكبتر بالقوات الجوية من تاريخ  
الواقعة وحتى إحاقته إلى التقاعد.

— وهل هما مستعدان للشهادة فى أمر خطير كهذا ؟ .

وقال الرجل منتصراً لرجال سلاحه:

— كل اللي فى سلاح الطيران رجالة ، ولا يمكن أن يتراجعوا عن شهادة  
حق.

طلبت ساعتها من اللواء الحناوى يقبل أن نبدأ التسجيل أن يعطيني أرقام  
التليفونات الخاصة بالشاهدين.

فهم الرجل الحصيف ما أرمى إليه ... فقام من فورهِ قاتلاً:

— سأعطيك أرقام تليفونتهما ... وسأقصل بهما الآن لتكلمهما بنفسك.

وكان أن اتصل اللواء الحناوى بهما ... وكان أن أكدا لى أن الواقعة حقيقية، وكان أيضا أن نساء لا: ما الذي ذكرَ اللواء الحناوى بهذا الأمر الآن؟. (أى أنه لم يكن بين الرجل الثلاثة أى اتفاق مسبق)، وكان أن سألتهما هل هما مستعدان للإدلاء بشهادتهما إذا جدّ الجد، وكان أن رد كل منهما غاضبا من سؤالى.

— نحن لا نستطيع أن نخفى شهادة حق.

وبللتناء المكالمتين، قلت لسيدة اللواء الحناوى ..و قد غمرني إحساس بأننى سأحصل على كل ما أريد :

— نبدأ بالتسجيل الآن ...

وبدأ اللواء الحناوى التسجيل (الذي مازلت احتفظ به إلى الآن) بسؤال.

— هل نبدأ بأن نتكلم عن الواقعة ؟

ساعتها ففزت إلى عظمى فكرة ، رأيت أنها الصواب ، قلت لنفسي اسأل الرجل أولاً عما أعرف ، وأرى وأقرب قدرته على التذكر . وكان أن فعلت ، وكان أن أذهلني الرجل بذكرته القوية التي ما زالت تحتفظ بالتفاصيل ، بل بالتواريخ الخاصة بكل حلثة وتوقيتاتها الدقيقة، وكمثال كان يقول لي "صبح علينا للثلاث ٣٠ مايو واحنا بنعمل كذا وكيت ،و دخل علينا فلان السلعة حدشربو ... وبسرعة كنت أروح أحسبها، ٥ يونيو كان يوم اثنين، فيكون الثلاثاء قبله بالفعل ٣٠ مايو (لأن شهر مايو ٣١ يوماً)، أي أن شيئاً لم يسقط من ذاكرة الرجل حتى التفاصيل الدقيقة.

والحقيقة أنني سجلت له قبل أن يتكلم عن الواقعة أكثر من ثلاث ساعات، وأدهشتني الساعات الثلاث كلها بدقة الحكي، وانضباط التمسلم، بل وبراعة العين التي تحتفظ فى لمحة موكدة، بالصورة بكل تفاصيلها، "من كان على يمين من، ومن الذى دخل فى اللحظة الفلانية، وماذا كان يلبس، وما الكلام الذى قاله بالضبط".

ولقد أصررت بعدها على أن تنشر ملخصا وإفيا للساعات الثلاث التي تكلمنا فيها عن النكسة وأسبابها، والفرص الضائعة التي كان من شأن انتهازها أن يغير النتائج التي أسفرت عنها الحرب، أصررت على نشره، لا شيء، إلا لكى أعطى القارئ فكرة عن قوة ذكورة الرجل ... حتى يصدق القارئ أن الرجل يتذكر بدقة فى حادثة أمر جمال عبد الناصر الذى نقله الفريق فوزى إليه، بضرب الطلاب فى الاسكندرية فى مظاهرات نوفمبر ١٩٦٨ بالرشاشات من الطائرات الهليكوبتر التى كانوا يجهزونها لأعداء الوطن ... اليهود !!.

ولقد صدق القارئ ما جاء على لسان اللواء مصطفى الحناوى .

لهذا المنى جداً أن يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل فى رأيه الذى لملى نقاطه للأستاذ عادل حمودة "ليس لدى تفسير سوى أن اللواء الحناوى يعيش الآن فى عزلة (لم أر الرجل فى عزله، رأيته يعيش مع زوجة ولولاده ولحفاده، فى فيلا جميلة بالمناظرة، ودعائى إلى بيته الكبير فى بلده وسط الأرض الزراعية التى ورثها عن أبيه ، والذى تنتقل عائلته معه إليه حين يذهب إلى هناك .. وإن كنت شكرته مخلصا ولم أذهب، أى عزلة هذه التى يتكلم عنها الأستاذ هيكل بلهجة الرجل الذى يعرف الأسرار كلها؟) ، بل وألمنى أن يستطرد الأستاذ هيكل فيقول "وبدلاً من أن يحلق بالطائرات فهو - اللواء الحناوى - يحلق فى الأوهام " !!.

والحقيقة أن الرجل كان فى غاية من الموضوعية، سواء فى الأسرار التى نقلتها عنه إلى صفحات المجلة، أو تلك الأسرار التى احتفظت بها لنفسى والتى ربما اعلنتها فى أوقات أخرى ...

المهم ... لنتهى حديثى مع الرجل ... وذهبت به إلى منزلى .. ورحلت لبيده مرة أخرى ، وأنا أسأل نفسى :

— هل مستشر هذا الكلام عن جمال عبد الناصر؟

الحقيقة أن قلبى لم يكن يريد أن يطاوعنى أن أقول عن جمال عبد الناصر

علنا هذا الكلام !.

لجأت إلى زوجتى، وابنتى الكبيرة، وحكيت لهما ما كان ، واسمعتهما التسجيل الذى حصلت عليه من اللواء الحناوى ..

قالت زوجتى (الناصرية) :

— ما الذى مستفيد من تشويه الرجل (جمال عبد الناصر) إلى هذا الحد ..  
المستفيد من هذا التشويه، سيكون هو القوى المضادة لكل شئ جميل فى المرحلة  
الثورية المصرية وأهدافها ..

وقالت ابنتى (وكانت لحظتها فى الثانوية العامة) :

— ما دلم حصل .. حضرتك نشره ..

لكن ابنتى لم تكن مرتاحة لما قلته.

وقررت لحظتها ألا تنشر شيئاً مما قيل لى ... ورحت أعلل نفسى بأن سوء  
تفاهم قد يكون وراء فهم اللواء الحناوى للواقعة التى أوردتها بهذا الشكل .. وقلت  
لنفسى، إن حادثة خطيرة كهذه كان لابد وأن يرد لها نكر ولو بالتلميح فى منكرات  
الذين كتبوا عن تلك الفترة ...

هكذا نبئت فى ذهنى فكرة أخرى ... قلت لنفسي: لماذا لا أعود إلى  
المذكرات المكتوبة عن تلك الفترة، لأرى إذا ما كان فيها أى تلميح عن الأمر ، فإن  
لم أجد، سيكون هذا إعفاء لى من تحمل همّ الكتابة فى موضوع شائك كهذا.

الفريب لئنى رأيت فى مذكرات أحمد كامل، ليس تلميحاً ولكن إثباتاً لصحة  
الواقعة ! ( كنت قد نقلت عنها فى المقال السابق لخدثني مع سيادة اللواء).

وعاد السؤال يلح على :

— الواقعة صحيحة، والرجل كان يقطر صدقاً وهو يكلمك، والشهود أكدوا  
كل حرف قاله ... والمذكرات التى كتبها أحمد كامل تثبت هى الأخرى صحة

لواقعة، ومع كل هذا، هل ستشر هذا الكلام ...؟ ولمصلحة من ؟.

وفجأة لم أصبح متردداً على الإطلاق ، فجأة أحسست أن لزماً على أن أنشر الواقعة كما عرفتها ، وكما تكذبت من حدوثها. لقد كانت كلمة "لمصلحة من" هي مفتاح تغير موقعي من التردد الحائر إلى التصميم الحاسم.

وجدت نفسي أقول لنفسي .. "سأكتبها لمصلحة الوطن، ليعرف الوطن أن العسكريين إذا حكموه لا يتورعون عن أي أمر إذا ضاقت بهم المبل في السيطرة على الناس سيطرة لا تعترف بالمشاركة، سأكتبها ممن أجل دم زملائي الطلبة الذي أهدره جمال عبد الناصر في شارع رمسيس والعباسية والمنصورة والاسكندرية. ولأنه كان مستعداً لأهدار دم المزيد منهم، دون ذنب جنوه.

ساعتها بدأت لكتب الموضوع

وأنا لكتب الموضوع قررت ألا ألقى بأورقي كلها من المرة الأولى، قورت أن ألقى ببعض الأوراق في مقالتي ، وأن احتفظ ببقية الأوراق، وأن أنشر الأوراق تباعاً إذا حاول أحد أن يكذب الواقعة، وكنت واثقا من أن لأورقي مستطيع أن تقدم كل مكذب ...

ولقد حاول البعض تكذيب ما كتبه ...(\*)

حاول الأستاذ محمود الجيار سكرتير جمال عبد الناصر للتكذيب ..

وأصر الناصريون على ضرورة أن يكذب الفريق فوزى الواقعة.

وقال بعضهم إن يستطيع تكذيبها رجل أفضل مما يستطيع الأستاذ محمد حسنين هيكل أن يفعل ( خصوصاً و أنني ذكرت الأستاذ هيكل في مقالي... )

---

(\*) محاولات التكذيب موجودة في الملاحق تحت عنوان "شهود النفي والإثبات يتحدثون عن ضرب المظاهرات بالطائرات. وكذلك ردى على جريدة الحرية.

ثم بعد هؤلاء، ألقى الأستاذ عبد الله إمام بطلوه في محاولة للتكذيب .

الأول نشرنا تكذيبهم في روز اليوسف في العدد ١٤١٨ بتاريخ ١٢ مايو ١٩٩٧.

والأخير نشر تكذيب الفريق أول محمد فوزي ( الذي كان قد أرسله إلى روز اليوسف ، قبل أن تنشره المجلة المعنية !! ) في جريدة "العربي" لسان حال الحزب لناصرى ( في صفحتها الأولى ، بالتصاع للنصف الأعلى من الصفحة ، تحت اسم الجريدة )، ثم نشر مقالاً مطولاً كله هجوم على اللواء الحناوى وعلى شخصى فى العدد التالى من جريدته العربى التى يرأس تحريرها .

آخرون أيضا حاولوا الهجوم على ما كتبتّه وعلى شخصى لكنى لم أر أهمية فيما كتبوه ...

قررت أن أكتفى بردى على الأستاذ هيكل والفريق أول محمد فوزى، وإظهار شهادة شاعدى الإثبات فى الواقعة فى روز اليوسف، لكن محاولة الاستاذ عبد الله إمام لأن يثبت أن الكلام الذى لوردته محض تخريف من اللواء الحناوى، استفزتنى، فكتبت رداً لجريدة العربى وذهبت به إلى مقر الجريدة لأسلمه .. وبالفعل سلمته للأستاذ "وائل قنديل"، ولم ينشر الرد .. وقيل لى إن على أن أرسله إلى الجريدة على يد محضر، لكننى لم أرد أن أفعل هذا، إذ تأكد لى أن ما كتبه الأستاذ عبد الله إمام لم يحدث للتأثير الذى أرادّه.

موقف آخر أظن أن من الضروري أن أرويّه ..

عندما ذهبت إلى منزل اللواء طيار د. جبر على جبر ، لأسجل له شهادته ، لتي نشرتها في روز اليوسف قال لى سيادته إن الفريق أول محمد فوزي اتصل به بشأن ما نشرته .. قلت :

— غريبة .. إننى لم أت بسيرتك في الموضوع المكتوب .. !!

( من فضلك ارجع إلى الهامش في نهاية الفصل الثالث ) .

قال سيلته :

— للفريق أول فوزي يعرف أنني من شهود الواقعة ..

سألت مقرجاً :

— ماذا قال لك الفريق أول فوزي بالضبط ؟ .

— قال لي شفت التخاريف اللي نشرها صاحبك في روز اليوسف .. قلت له ..لواقعه اللي تكلم عنها اللواء الحناوي حقيقة يا فندم .. قال انت كمان بتتكلم زي صاحبك

وقال لي اللواء د. جبر ..:

— سيادة الفريق أول زعل منى ... ويرغم إني با اصل معاه أبحاث خاصة بالاحتفالية لجمال عبد الناصر بتشرف عليها السيدة هدى عبد الناصر — وممكن يزعلوا كلهم من اللي ح أقوله .. إلا إن الحق ... حق.

وبدأت أسجل مع الرجل (بحق).

ولما عدت لمنزلى... فوجئت بمكالمة تليفونية من السيد اللواء قال لي فيها...

— أقرأ لي اللي انا قلته من فضلك في الشريط ...

وراح يتفق معي على ما ينشر منه وما لا يريد له أن ينشر الآن. وقد نفخت كل ما أراده للرجل.. إذ كان ما بقى من الكلام يفى بالغرض تماماً.

وأقول للقارئ : الحق أنني بعد جلستي هذه مع السيد اللواء د. جبر أصبحت متأكدًا ١٠٠% من صحة الواقعة.

## — المهم الآن ..

عندما ذهبت إلى جريدة العربى، التفت حولى بعض من المحررين الناصريين للشباب (وقد حدث نفس الأمر لى مع رفاق ناصريين فى أماكن أخرى) القمباب .. يعتبوننى على ما كتبت، ويعلمون أنهم لم يصدقوا أن جمال عبد الناصر من الممكن أن يفعل شيئاً كهذا.

قلت لهم:

— لقد كتبت ما تأكلت من أنه حقيقة ...

ردوا فى حدة تخفيها دماثة أخلاقهم وبتسامات ترتعش حول الشفاه:

قلت :

وماذا لو أوضحت لكم الآن وجهة نظرى ...

وكان أن سمحوا لى :

قلت لهم، إذا رجعت لمنكرات الأستاذ أحمد كامل التى نشرت أجزاء منها قيل أن نشر مقالى عن حديثى مع اللواء الحناوى ستجدون الأستاذ أحمد كامل يقول الآتى:

١ — خرجت من الجامعة بانطباع أن تجريبه الحوار، لن تحقق النتائج المنتظرة، اتصلت بسامى شرف وقلت له أبلغ الرئيس أننى أطلب تدخل الجيش لإنهاء الاعتصام (أى أن كان هناك طلاب لتدخل الجيش ضد الاعتصام).

٢ — بعد دقائق جاء رد سامى: الرئيس أمرنى بأن اتصل بالفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة، وأن أبلغه أن يتصل بك (أى أن عبد الناصر لم يقل لا لتدخل القوات المسلحة).

٣ — بعد دقائق كلمنى الفريق أول محمد فوزى وقال:



ووضعت قائد المنطقة العسكرية الشمالية تحت قيادتك. أخبره بطلباتك وسوف يقوم بتنفيذها على الفور (ماذا كان يطلب أحمد كامل إلا تدخل القوات المسلحة ضد الطلبة. أى أن القوات المسلحة كانت موافقة على ما يريده أحمد كامل، وأن جمال عبد الناصر كان موافقاً، فهذا أمر لا يستطيع الفريق فوزى أن ينفذه دون العودة إلى القائد الأعلى للقوات المسلحة).

٤ - قلت بعدها لقائد المنطقة الشمالية أن يعطى أوامره لقيادة الطيران (هذا كلام لأحمد كامل - تذكر) فى المنطقة ليتم إرسال عدد من طائرات الهليكوبتر فوق موقع اعتصام الطلبة (إن كان فى الأمر طيران).

٥ - كما طلبت منه (من قائد المنطقة لشمالية) وضع بعض قوات الجيش لتدخل إلى المحافظة وتمر بدياباتها وأسلحتها أمام طلبة الهندسة (أى أن القوات المسلحة شاركت بالفعل وليس كما يتصل الفريق أول فوزى من الأمر).

٦ - شاركت الطبيعة فى إخراج مسرحى للموقف، فقد تزامن رعد وبرق ومطر، ومع أصوات الرياح والسحب تصور الطلاب أن الطيران قد بدأ القصف والهجوم، (أى أن الطيران كان متولجداً وبشكل يوحي بأنه سيبدأ القصف والهجوم) فى الوقت الذى مرت فيه بعض قوات الجيش أمام الجامعة وتمركزت بعض الوحدات فى الأستاد الرياضى المجاور، ورن جرس التليفون فى مكتبى .. كان المتحدث أحد قادة الاعتصام، قال: لقد قررنا إنهاء الاعتصام.

هذه هى النقاط التى جاءت بعضها فى مذكرات الأستاد أحمد كامل (ويمكن الرجوع إلى مذكراته).

وقلت للناصريين للشباب الأعزاء ...

ما الذى قاله اللواء الحناوى ولا يستقيم مع رواية أحمد كامل محافظ الاسكندرية وقت اندلاع مظاهرات نوفمبر؟.

إن الأستاذ أحمد كامل أقر بأنه طلب تدخل القوات المسلحة وأن عبدالناصر لم يمانع، وأن الفريق أول محمد فوزى قد سهل له كل الأمور لتدخل القوات المسلحة، وأن الأستاذ أحمد كامل طلب من قائد المنطقة الشمالية تدخل طائرات الهليكوبتر.

— لم يقل الأستاذ أحمد كامل كل هذا ؟

قال شباب الناصريين ..

— قلله.

قلت :

— لننظر الآن فيما لم يقله الأستاذ أحمد كامل .. الأستاذ أحمد كامل لم يقل أن خروج الطيران لا يتم بأوامر من قائد منطقة عسكرية، الطيران قرار القائد الأعلى والقائد العام وقائد الطيران ..

وما دلم أحمد كامل قد أقر بأن الطيران قد جاء، وظن الطلبة أنه سيضربهم، فإن الأمر لا يد احتاج إلى أن يتم الطلب في هذا الشأن من قائد الطيران. والسدى يستطيع أن يعطى أوامر لقائد الطيران بهذا الخصوص واحد من اثنين .. جمال عبد الناصر أو محمد فوزى.

وهكذا يكون للفاعل جمال عبد الناصر.

لو أن الفريق أول محمد فوزى قطعها من دماغه، ولا أظن أن هذا الأمر صحيح، ذلك أن جمال عبد الناصر لم يمانع في تدخل القوات المسلحة بل وفي وضع كل إمكانياتها في خدمة إنهاء الاعتصام وتفريق الطلاب.

ثم سألت الناصريين الشباب ...

— كيف تطالبون منى بعد كل ذلك ألا أصدق ما قلله اللواء الحساوى وبه تكتمل الصورة التي رسمها أحمد كامل.

وايتموا ... قلت :

— وكيف تطلبون مني ألا أنشر هذا الكلام ملامت صدقته.

الحقيقة أن الواقعة صادقة. ولا أظن إلا أن عبد الناصر قطعها لأسباب شرحتها قبلا ...

فهل يمكن بعد كل هذا أن يقول الفريق أول محمد فوزي في رده على الأمر أن القوات المسلحة لم تتدخل نهائيا ..

وهل يمكن بعد كل هذا أن يقول الأستاذ هيكل أنه لم يطلق رصاص على الأرض ليطلق من السماء. (بينما الأهرام تحت رئاسته قد أشار عدة مرات إلى إطلاق الرصاص واستخدام القوات المسلحة<sup>(\*)</sup>).

وهل نصدق الأستاذ محمود الجبار إذا قال لنا أن جمال عبد الناصر لا يفعلها

لم ينشر ردى في "العربي" كما قلت، وكان من حقى أن ينشر وانتظرت للعربي سنة كاملة لتشر (بعد العيد الذى لا يفشل فيه كحك بسنة كاملة!!) حديثا من بعض المشاركين في الحركة الطلابية حاولت فيه أن تنفى أمر استعمال الرصاص ضد المظاهرين وأن تعفى جمال عبد الناصر من المسؤولية، سنة كاملة جطلتني أفهم أن كانت قد قررت أن تنهرب من المواجهة الساخرة، وأن تتسلب بعد ذلك بسنة فى محاولة لمحو الفكرة.

والآن ماذا ستقول العربى .. إذا قلت لهما أفنى اخفيت آخر أوراقى وهى دفاع عبد الناصر عما حدث من إطلاق الرصاص، فى المؤتمر القومى للقوى الشعبية بعد الأحداث ...

ماذا ستقول العربى ...

وماذا سيقول الناس؟.

---

(\*) راجع الملاحق.





[Redacted line of text]

## خاتمة

[Redacted line of text]



فى جنازة عبدالناصر، خرجت الملايين تيكى تيكى فتاهاء، تشق عليه كما قال يوسف أدريس (نور العين المصرية) جليلها الوحيد الذى يستر عريها .. كان حزن الناس صادقاً وعظيماً، بقدر ما كانت الفجيرة هائلة، ولشد ضراروة من أن تحتمل .. لقد كان عبدالناصر فرصة الملايين للتاريخية، وبين هؤلاء الذين كان عبدالناصر فرصتهم، كنا نحن الجيل الذى واجهه .

إن مشاعر الجماهير لا يمكن تزييفها .. أرلؤها تزييف .. أصواتها الانتخيلية حتى بعد الموت تزييف !! لكن المشاعر كالأفكار، حكر على أصحابها فى حصن من الأجساد حصين لا يمكن أن يطل .. وما لا يطل لا يمكن تزييفه ..

لقد بكى الناس جمال عبدالناصر بدموع صادقة .. حارقة .. كلنت تسيل وما زالت من قلوب صادقة .. محروقة .

لقد قيل الكثير عن بكوا جمال عبدالناصر .. ولا لظن إلا أن أكثر الكثير الذى قيل لم يمس الحقيقة !!

قالوا أننا شعوب عاطفية لا تحكم المنطق !!! وقالوا أننا متخلفون نيكى أبامات .. لأننا غير ناضجين لم نعظم بعد على الفارق بين الأسوة وبين الزعامة (ورئاسة الجمهورية)، وقيل إن الدعاية الموهلة استطاعت أن تخدعنا وقيل وقيل وكل ما قيل لم يستطع أن يشرح صدق الدموع .. وتغجر للمشاعر فى لحظة لا تحتمل إلا البراءة .

فى مثل هذه اللحظة تيكى الشعوب فرصتها التاريخية .

الذين تكلموا عن أننا شعوب عاطفية لا تحكم المنطق .. لا أظنهم بقوا على

رأيهم بعد أن رأوا جنازة الرئيس السادات .

الذين قالوا أننا متخفون نبيكي أباً مات .. لا أراهم قد وضعوا في اعتبارهم أن هذا الشعب كان أباً لجمال عبدالناصر في لحظات لا يمكن إنكارها (العنوان الثلاثي الانفصال ١٠،٩ يونيو ١٩٦٧) عندما رأى عبدالناصر أبنا تهزه الحوادث المفاجعات .. ولا أراهم أيضاً وضعوا في اعتبارهم تلك المعارضة التي لاقاها عبدالناصر في حياته من اتجاهات مختلفة، أكثرها كان يعارض من باب الحفاظ على الفرصة التاريخية حتى لا تفلت .

الذين يريدون أن الدعاية الموهولة استطاعت أن نخدعنا .. لا أخالهم يقدرّون حجم الدعاية المضادة التي حملتها رياح يونيو ١٩٦٧ وما بعدها لهذا الشعب .. مرة أخرى نقول أن الشعوب تحب .. وتغفر .. وتبكي .. من أجل فرصتها التاريخية ..

لقد هزم عربي .. هزيمة مروعة، وبكى الشعب المصري عليه فرصته التاريخية الضائعة ..

ولقد مات سعد زغلول بعد أن أكد بنفسه أن تصريح فبراير ١٩٢٢ ليس إلا استقلاً سورياً، وأن الديمقراطية وهم في ظل حراب الإنجليز، وعطايا ولي النعم، مات ولم يحقق ما خرج من أجله .. وبكت الجماهير المصرية عليه فرصتها التاريخية الضائعة .

ومات وسميوت الكثيرون، ولم ولن تبكي عليهم الجماهير لأنهم لم ولن يكونوا فرصتها التاريخية، الجماهير تبكي من يقول لها حسها المصلحي أنهم كانوا لها ..

لجماهير لا تبكي أباًها .. تبكي فتاها ..

لقد كانت الجماهير أباً لأحمد عربي، وهو في التل الكبير، كانت أباً له لأنه كان فتاهاً حتى وهو في التل الكبير !!! وكانت أباً لسعد زغلول وهو في المنفى،



وفى لحظات رأيت أن قامته أقصر من حراب الإنجليز، ومن برج ولى النعم الذى يتغيا كآبته ظل الحراب الإنجليزية، ذلك لأن سعد زغول كان فتاهاً، حتى وهو فى المنفى، وحتى وهى التى ترفعه لتطول قامته حراب العدو، وفوقية لص النعم ..

ثم ألم تيكى الجماهير مصطفى النحاس فتاهاً فى عهد فتاهها جمال عبدالناصر لتثبت لكل ذى غرض، ولكل قصير النظر أن فتى لها لا يلغى فتى عندها .. فالكل أبناؤها الفتيان .

بهذا المنطق بكى الطلاب الذين ولجوهوا جمال عبدالناصر جمال عبدالناصر، لقد أرادوا برغم صغر سنهم أن يكونوا آباءه، لكى يكون لمستقبلهم .. بكوه هم الذين لم يتوقفوا عن مولجته كما أوضحنا بكوا عليه فرصتهم التاريخية لتى ولجوهوا من أجلها، إلى أن تبرى لهم من لا طاقة لهم على مولجته.. الموت !!!

إن حسابات الجماهير جدلية .. أكثر تعقيداً عما يبحث عنه الكتائب غربيين ومستغربين وغرباء من سبب ونتيجة .





الملاحق





## ملحق رقم (١)

### شهادة الصديق "معتز الحفناوي" رئيس اتحاد جامعة عين شمس في فترة مظاهرات ١٩٦٨ الأولى والثانية : ماذا حدث في جامعة عين شمس

تطبيقا على حلقات "جيل الهزيمة" الذي واجه رمضان عبد الناصر  
والسادات" نقول:

تعتبر هزيمة ١٩٦٧ هي نقطة الفصل الأساسية بين مشاركة جماهير الشباب عامة والطلاب خاصة في العمل السياسي من خلال الأشكال والمنظمات التي تكونها وتقومها سلطة عبد الناصر، وبين العمل السياسي خارج هذه الأشكال والمنظمات لرفع الشعارات الوطنية والديمقراطية وتحقيقها. وقد ظهر جليا داخل جامعة عين شمس منذ بداية العام الدراسي ٦٧ - ٦٨ ثورة الطلاب على الأوضاع غير الديمقراطية والفسادة، والتي لم تتغير رغم الهزيمة. وظل حوار الطلاب خلال مجلاتهم وندواتهم الصغيرة تعبر عن رفض هذه الأوضاع، وتزيد اشتعال ثورة الطلاب سواء أعضاء منظمة الشباب الذين كانوا متعودين على الاتحادات الطلابية أو غير المنتسبين لهذه التنظيمات. وعند ظهور أحكام قادة الطيران في فبراير ٦٨ ثم نكث الجامعة بفتح أبوابها في الصباح حتى تجمع مئات الطلاب ليعبروا عن سخطهم على هذه الأحكام ومجمل الأوضاع غير الديمقراطية حيث عقد في كليات الجامعة. وفي مقدمتها هندسة عين شمس مؤتمر طلابي كبير غاضب حضره آلاف الطلاب بعد أن أوقفوا الدراسة مطالبين بإلغاء هذه الأحكام ومحاسبة المسؤولين الحقيقيين عن النكسة وطرد العناصر الفاسدة في الحكومة والاتحاد الاشتراكي.

وعندما قابل الوفد السيد / محمد أحمد مكرتير عبد الناصر وسلمه مطالب

الطلاب، استأذن خارجا، ليعود بعد عشر دقائق، ليخبرنا بأن عبد الناصر سيبدأ على هذه المطالب ف خطبة جماهيرية علمة، وإنه يعرف أن وطنية الطلاب هي التي دفعتهم إلى تقديم هذه المطالب له، كما يطلب أن نعود إلى الطلاب، ونخبرهم بذلك وننهي الاعتصام فاستجبنا لطلبه، وعدنا لمنزلنا ليقبض علينا في الفجر، بعد أقل من ١٢ ساعة من لقاء سكرتير عبد الناصر. وفي الصباح التالي تغلق الجامعة أبوابها فيتجمع الطلاب بعد أن علموا بالقبض على وفدهم ويخرجون بمظاهرة كبيرة من هتاف إلى حرم الجامعة فتتصدى لهم قوات الشرطة في أول صدام منذ أحداث ١٩٥٤، وتطلق الرصاص (الأستاذ وحده يقول لم يكن هناك رصاص!!) ليسقط عدد من الطلاب الجرحى وقتل واحد، وتستمر المظاهرة الكبيرة حتى ميدان العباسية، لتزداد شراسة قوات الشرطة في محاولة منع المظاهرة من الوصول إلى قلب القاهرة، فتتفرق المظاهرة إلى عدة مظاهرات صغيرة، تسلك الشوارع الجانبية والحواري. ويصل جزء كبير منها إلى مجلس الأمة، ويلتقون بمظاهرات جامعة القاهرة ويزداد ضرب الشرطة قسوة، ليتفرقوا ثانية، وفي ضمير وعقل كل منهم بأنه لايدل عن الديمقراطية لتحقيق آمال هذا الوطن في تحرير أرضه المحتلة وبناء مجتمعه الحضارى.

## ملحق (٢)

جزء من شهادة هاتى الحسينى، القائد الطلابى البارز فى تجارة عين شمس، والمحاسب الآن ورفيق الكفاح الطويل الذى لم ولن يهدأ

## يسقط الخونة

عزيزتى روز اليوسف

سوف أروى لكم مشهداً مما حدث فى علم ١٩٦٨ :

● الساعة الحادية عشرة صباحاً .. مدرج السنة الثانية كلية تجارة عين شمس، طالب بالسنة الثانية (ليس عضواً بالمنظمة) يقف أعلى لحد صفوف المدرج ويعلن الاحتجاج على أحكام الطيران الهزيلة. ويهتف .. يسقط الخونة.

إنفداع لا يستطيع أحد إيقافه.. الكل فى الساحة.. رتشت .. أغرورقت عيناي بالدموع.. اندفع إلى الفصول "السكن" .. أخرجت جميع الطلاب.. إلى ساحة الكلية ... جريت مخترقاً المبنى.. وعادل بنوى يقف عند مدرج "سبعة الإدارة" .. ينظم الصفوف.. وينتقى الشعارات.

د. عبد العزيز حجازى يمانى :

— ما الذى يحدث ؟!

— أخيراً منخرج لتقول لي أنا !! .. طب القاهرة على أبواب الكلية .. منخرج جميعاً.

— د. عبد العزيز حجازى.

فلتخرجوا جميعاً .. لا يبقى طلاب فى الكلية..!

اندفعت مرتعشاً من الفرحة.. ها هو عميد الكلية يؤيدنا.

د. على لطفى.. "رائد الطلاب"!

— ما هذا الشعب ؟ سوف تحال إلى مجلس تأديب! صرخت فى وجهة:

د. حجازى يؤيدنا.. لا شأن لك..

خرجنا إلى النور .. شارع قصر العيني الجميل.. الذى كان شديد الكأبة  
منذ تسعة شهور .. حملنا إلى التحرير، إلى شارع رمسيس وقنايل الدخان..  
وطلقات البنلق، وطلقات حناجرنا تهتف للحرية.. الديمقراطية..

وصلنا جامعة عين شمس.. يطالبنا بعض الأساتذة باحترام "الشرعية"..  
نصرخ :

"لا شرعية بدون ديمقراطية".

ونلتهم فى الجامعة، وخلفنا طب عين شمس، وهناك فى عبـه باشا الهندسة،  
ولا نتوقف حتى للمساء.

فى مساء ٢٤ فبراير عدت إلى تجارة عين شمس.. وحفل لعشيرة الجوالـة،  
يحضره د. حجازى ... ويسألنى:

— كيف تقول لعلـى لطفى لئنـى لؤيـكم؟، لم يكن مطلوباً أن تقول له ذلك!!

هاتى الحسينى



ملحق (٣)  
بين ٣٠ مارس  
(١٩٦٨)  
الأهرام

أيها الأخوة المواطنين

الآن يصبح فى إمكاننا أن نتطلع إلى المستقبل.

وقبل الآن فإن مثل ذلك لم يكن ممكنا إلا بالاستغراق فى الأحلام أو الأوهام وكلاهما لا تستلزم له الشعوب المناضلة، فضلا عن أن تقع فيه، بينما هى عند مفترق الطرق الحليمة وأمام تحديات المصير.

قبل الآن لم يكن فى مقدورنا أن ننظر إلى أبعد من مواقع قدمنا، فقد كنا بعد النكسة مباشرة على حافة جرف معرض للإنتهار فى أى وقت.. وكان واجبنا فى ذلك الظرف يحتم علينا قبل أى شئ آخر أن نتحسس طريقنا إلى أرض أصعب نتحمل وقفنا.. وأرض أرحب تتسع لحركتنا.

ولقد كانت جماهير الشعب بموقفها يومى ٩ و ١٠ يونيو هى التى جعلت ذلك قبلا للتحقيق بفضل ما أظهرته من تصميم يرفض الهزيمة ويقف فى النصر.

إن الموقف المؤمن والبطولى الذى اتخذته جماهير شعبنا فى ذلك الظرف العصيب هو وحده الذى مكن للتحولات الهامة التى وقعت منذ ذلك الوقت من أن تحدث فطما وأنزها بحيث يكون فى مقدورنا اليوم أن نقول — بأمل من الله — عظيم أنه الآن يصبح فى إمكاننا أن نتطلع إلى المستقبل.

ومن دلائل الخير أن يكون ذلك فى مقدورنا اليوم، فى ذكرى عيد الهجرة بما تحمله إلى المؤمنين من معانى للتضحية فداء المبدأ والنضال المستمر من أجل الحق، والصبر على المشاق فى سبيل نصر الله عزيرنا وصالحنا.

\* قدمته الأهرام وقها هدية مع الجريدة.

## أيها الأخوة المواطنين

أن الموقف البطولي المؤمن لجمهور شعبنا يومى ٩ و ١٠ يونيو هو وحده الذى صنع عددا من التحولات الهامة مكنت لعلنا من أن يتعد عن الحلقة الخطرة، التى كان عليها فى أعقاب النكسة، ليقف على الأرض الأصب.. وليستشراف الأفق الأوسع الذى يستطيع أن يتحرك عليه نحو أهداف نضاله الشريفة والغالية.

وأبرز هذه التحولات كما يلى:

أولا - أننا استطعنا إعادة بناء القوات المسلحة.. وكانت تلك بداية ضرورية - وبغير بديل - إذا كنا نريد جدا وحقا أن نصحح آثار النكسة.. وإن نزيل العدوان وإن نمسرد ما ضاع منا فيه.

بغير إعادة بناء القوات المسلحة لم يكن أمامنا غير تقبل الهزيمة مهما كانت آمالنا.. ومهما كان إيماننا. ذلك أن منطق هذا العصر - ولطه منطق كل العصور - أن الحق بغير القوة ضائع.. وإن أمل السلام بغير لمكانية الدفاع عنه استسلام.. وإن المبادئ بغير مقدرة على حمايتها لحام مثالية مكانها السماء.. وليس لها على الأرض مكان..  
ثانيا - إننا استطعنا تحقيق مطلب الصمود الاقتصادى فى وقت كانت الأشياء كلها تميز فى اتجاه معاكس لفرصة تحقيقه.

ولقد ساعد على ذلك رضا الشعب بالمزيد من التوضيحات.. وساعد عليه موقف عربى أصيل فى مؤتمر الخرطوم.. وساعد عليه أصدقاء لنا على اتساع للعالم كله.. وقفنا معهم فوقوا معنا.

ولقد كان محتما أن يميز مطلب الصمود الاقتصادى جنباً لجنب مع عملية إعادة بناء القوات المسلحة، فلم يكن فى استطاعتنا بغير اقتصاد سليم أن نوفر لاحتمال الحرب.. ولا كان مجدياً أن نفق رايضين على خطوط النار.. بينما مقررنا على الانتاج معطلة وراء للخطوط وشبح للجوع يهددنا بأسرع من تهديد العدو لنا.

ثالثاً - إننا استطعنا تصفية مراكز القوى التى ظهرت.. وكان من طبيعة الأمور

وطبيعة النفوس أن تظهر في مراحل مختلفة من نضالنا.

أن العمل السيلسي لا يقوم به الملائكة.. وإنما يقوم به البشر والقيادة السياسية ليست سيفا بئرا قطعاً.. وإنما هي عملية موازنة.. وعملية لاختيار بعد الموازنة.. والموازنة دائماً بين احتمالات مختلفة.. والاختيار في كثير من الظروف يبين مخاطر محسوبة..

ولقد تجاوزت الأمور حد ما يمكن قبوله بعد النكسة.. لأن مركز القوى وقتت في طريق عملية التصحيح خوفاً من ضياع نفوذها ومن انكشاف ما كان خلفها من تصرفاتها. وكان ذلك لو ترك وشأنه.. كخيلا بتهديم جبهة الصمود الشعبي.. ولذلك فقد كان واجباً - بصرف النظر عن أي اعتبار - تصفية مركز القوى.. ولم تكن تلك بالمسألة المسهلة إزاء المواقف التي كان يعيشها الوطن.

رابعاً - أننا استطعنا - وهذه مسألة أخلاقية ومعنوية أعلق عليها قيمة كبيرة - أن نضع أمام الجماهير بوسطة المحاكمات العلنية.. صورة كاملة لآخرات وأخطاء مرحلة سابقة..

وكان رأيي أن هذه مسئولية يجب أن يتحملها نظامنا الثوري بأمانة وشجاعة..

وكان رأيي أيضاً أن الضمير الوطني الذي أحس بأن انحرافات ولخطاء قد وقعت - من حقه ومن مصلحته أن يعرف الحقيقة.. وأن يخلص وجدانه من ألقائها.. وأن ينفذ عن نفسه كل رواسب الماضي لكي يدخل إلى المستقبل بصفحة نية وطاره.

ومع كل العذاب الذي تحملته شخصياً - وتحمله المواطنون معي - خلال هذه العملية.. فلقد بقي إيماني بضرورتها كإيماني بطب الجراحة يقطع لينظف ويتر ليند..

خامساً - أننا استطعنا أن نقوم بجهد سيلسي واسع على جبهات عربية.. وجبهات دولية..

وتوعدت جهودنا تحدثت على هذه الجبهات بالاتصال المباشر مع الأصدقاء في الدول الاشتراكية.. وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي.. الذي أكدت لنا ظروف النكسة صدقته

المخلصه وتعلونه الصادق ووقوفه الصلب في جبهة الثورة العالمية المعادية للاستعمار.. وكذلك مع الدول غير المنحازة.. ومع الدول الآسيوية والأفريقية.. ومع الدول الإسلامية.. ومع كل الشعوب الراغبة في سلام قائم على العدل.. ومع كل الساسة السالميين الذين يستطيع بعد نظرهم أن يتجاوز نكسة عارضة في تاريخ لمة كان لها دورها العظيم في التاريخ.. وسوف يكون لها الدور العظيم في مصير الإنسانية. إن هذه التحولات كلها قادها ودعمها إحسان عميق بالولجب لدى كثيرين من رجالنا في كل مجالات المسؤولية.. في القوات المسلحة.. ومن خبراء الاقتصاد والعلماء في وحدات الإنتاج.. ومن الملتزمين بأهداف النضال الشعبي.. والقادرين على خدمتها.. ومن المشتغلين بالسياسة والفكر والدبلوماسية.

كل هؤلاء ساهموا في قيادة ودعم هذه التحولات التي تقارب المعجزة والتي نستطيع بعدها أن نقول اليوم.

الآن يصبح في إمكاننا أن نتطلع إلى المستقبل.

### أبها الأخوة المواطنون

والآن ونحن نتطلع إلى المستقبل.. فإن اعتقادي الأكيد أن خير ما نستطيع أن نسلح به لمواجهة مسؤولياتنا المقبلة.. هو أن يكون في بدنا برنامج عمل محدد ندرسه معا.. ونقره معا.. ونثق عليه أرادتنا جميعا..

برنامج عمل يكفل وصولنا إلى الأهداف القريبة لنضالنا.. ويقرب منا يوم الوصول إلى الأهداف البعيدة لهذا النضال.

برنامج عمل لا تختلف فيه الاجتهادات ولا تتصارع الآراء ولا تتصادم القوى.

برنامج عمل نمسك به في أيدينا.. وبعد أن يتحقق لقاء فكرنا عليه.. ثم نمضي على طريق الكفاح الطويل.. وفي بدنا خريطة للاتق الصريح لأمننا وخطة عمل لنقدمنا على هذا الاتق..

برنامج للتغيير يستجيب للامال العريضة التي حركت جماهير شعبنا إلى وقتئها

للخالد يومى ٩ و ١٠ يونيو.. وهى الوقفة التى سألنا دقما.. وإلى آخر لحظة فى العمر.. مؤمنا بأنها كانت بعا للثورة وتجديدا لشبابها.. والهاما لا يخيب وضوءا لا يخبو لملم طريق للمستقبل.

ولقد بذلت التغيير — كما تعرفون — بإعادة تشكيل الوزارة.. والذى يعينى فى تشكيل الوزارة الجديد أنه جاء إلى مواقع الحكم بصفوة من شباب هذا الوطن.. لا يدين أحد منهم بمنصبه لاي اعتبار سوى اعتبار علمه وتجربته فى العمل السياسى.. وهم على أى حال يمثلون جيلا جديدا يتقدم نحو قمة المسؤولية.

وإلى جانب ذلك.. فهناك تغييرات أخرى قادمة فى قيادات الإنتاج.. وفى المسالك الدبلوماسية وفى المحافظين وفى رؤساء المدن..

إن للكثيرين ممن يشغلون هذه المناصب أدوا مسؤوليتهم بجدارة واستحقاق.. ولكن بعضهم لم يكن على مستوى المسؤولية سياسيا وتنفيذيا.. ومن الضروري عليهم وعظيما أصحاب المجال للأفكار والأجدر..

لكن التغيير يبقى بعد ذلك لكبر من أن يكون مسألة أشخاص.. وإنما التغيير الذى نريده يجب أن يكون أكثر بعدا وأكثر صفا من مجرد استبدال شخص بشخص.

أن التغيير المطلوب لابد له أن يكون تنويرا فى الظروف وفى المناخ. والا فإن أى شخص جدد.. فى نفس الظروف.. وفى نفس المناخ.. سوف يسير فى نفس الطريق الذى سبقه إليه غيرهم.

إن للتغيير المطلوب يجب أن يكون فكرا أوضح وحشدا أقوى وتخطيطا أدق.. وبذلك يكون التصميم معنى.. وتكون للأرادة الشعبية مقرة اجتياح كل العوائق والسدود نافذة وصاله إلى هدفها.

### أيها الأخوة المواطنين

أن المسؤولية التاريخية للأيلام العصرية — والمجيدة — التى نعيش فيها.. ونعيش لها.. تطرح بنفها علينا برنامج عمل له جفتان:

**الجانب الأول** — حشد كل قواتا العسكرية والاقتصادية والفكرية على خطوطنا مع العدو لتحرير الأرض وتحقيق النصر.

**والجانب الثانى** — تعبئة كل جماهيرنا بما لها من امكانيات وطاقات كامنة من أجل ولجيات التحرير والنصر.. ومن أجل آمال ما بعد التحرير والنصر.

### **أيها الأخوة المواطنين**

سوف أبدأ بالجانب الأول من برنامج عملنا المقترح.. وهو للحد..

وإنى لأرجو أن يكون اتفاقنا كاملا على أنه ليس هناك الآن — ولا ينبغي أن يكون هناك الآن — صوت أعلى من صوت المعركة ولا نداء أقدم من نداءها..

أن أى تفكير أو حساب لا يضع المعركة وضرورتها أولا وقبل كل شيء.. لا يستحق أن يكون تفكيراً ولا يزيد نتيجته عن الصفر.

إن المعركة لها الأولوية على كل ما عداها.. وفى سبيلها وعلى طريق تحقيق النصر فيها يهون كل شيء ويرخص كل بذل، مالا كان.. أو جهداً أو دماً..

ومهما كان السبيل الذى نسلكه إلى تحرير الأرض وتحقيق للنصر.. فإنه يصبح سبيلاً مسدوداً بغير استعداد للمعركة..

وسواء بنسنا من العمل السياسى وتركناه.. ولجئنا لعدواننا فى ميدان القتال.. فإن النتيجة معلقة على استعدادنا للمعركة..

ولقد ابدينا استعدادنا ولا نزال للعمل السياسى عن طريق الأمم المتحدة أو غيره من الطرق..

ونحن نضع مع اتفاقنا العرب كل وسيلتنا.. سواء بواسطة مؤتمرات القمة.. أو بواسطة التنسيق الثنائى المباشر..

ونحن نتعاون مع كل القوى الشعبية العربية.. من أجل المقاومة المسلحة للعدو.. وكافة أشكال المقاومة الأخرى..

ونحن نفتح عقولنا وقلوبنا للعالم كله من نص المنطق الذي حكم نضالنا الطويل..  
وهو أننا نصالح من يصالحنا.. ونعادي من يعادينا

نحن نفعل ذلك كله عن تقدير واع لنتائج الواقعة والمحتملة.. لكننا بعده يجب أن  
نكون مستعدين للمعركة مهما كلفتنا.. وحتى إذا وقفنا فيها وحنا..

أن الأرض أرضنا.. والحق حقنا.. والمصير مصيرنا.. ولا نستطيع أمام أنفسنا  
ولأمم لمقا العربية.. ولأمم الأجيال القادمة.. من لبناتنا ولحافنا.. إلى الأبد.. أن نتردد أو  
نتخاذل أو نوزع التبعات على الآخرين.. مهما اقتضينا ذلك من التكاليف على مواردنا  
وعلى أصصنا وعلى أرواحنا..

هذا هو الجانب الأول من برنامج عملنا.. ولا أظنه بيننا موضع خلاف.. ذلك لأن  
الخيار فيه هو: النصر أو الهزيمة.. الشرف أو العار.. الحياة أو الموت..

وليس هناك خيار حقيقي في ذلك كله.. لأن القرار حتمي وهو أننا نختار النصر،  
ونختار الشرف، ونختار الحياة..

### أيها الأخوة المواطنين

لننتقل الآن إلى الجانب الآخر من برنامج عملنا المقترح وهو تعبئة كل جماهيرنا  
بما لها من طاقات وإمكانات من أجل ولجبات التحرير والنصر ومن أجل آمال ما بعد  
التحرير والنصر..

وفي هذا الصدد فإنني أطرح النقاط التالية:

١- إنه من الضروري والحيوي حشد كل القوى الشعبية وبوسيلة الديمقراطية  
وعلى أساسها وراء أهداف نضالنا القريبه والبعيدة أي وراء ولجب المعركة، ووراء أمل  
تمام بناء المجتمع الاشتراكي الذي حققنا منه كثيرا وينبغي أن نحقق منه أكثر.

٢- أن صيغة الاتحاد الاشتراكي هي أكثر الصيغ ملائمة لحشد القوى الشعبية  
بوسيلة الديمقراطية وعلى أساسها وهي تجسّد حتى وصحى لمعنى أن تكون الثورة

للشعب وبالشعب ثم أنها لضمان بعد ذلك لتجنب نموية الصراع الطبقي وكفالة فتح أسرع الطرق وأكثرها أماناً إلى التقدم.

والإتحاد الاشتراكي كما تتكرون وفقاً للميثاق هو واجهة عريضة تضم تحالف قوى الشعب العاملة كلها، ثم تنظيم سياسي يقوم وسطها من الطلائع للقدرة على قيادة التفاعل السياسي نحو هدف تنوير الفوارق بين الطبقات.

ولم تكن للمشاكل التي عفاها الإتحاد الاشتراكي ترجع إلى قصور أو عيوب في صيغته العامة، وإنما كانت أسباب القصور والعيوب ترجع إلى التطبيق ولأول هذه الأسباب هو أن عملية إقامة الإتحاد الاشتراكي لم تبين على الانتخاب الحر من القاعدة إلى القمة.

٣ - إن علينا الآن أن نعيد بناء الإتحاد الاشتراكي عن طريق الانتخاب من القاعدة إلى القمة أي من اللجان التأسيسية في القرية والحى والمصنع والوحدة إلى المؤتمر القومي للإتحاد الاشتراكي، وإلى لجنته المركزية، وإلى اللجنة للتنفيذ العليا.

وتتكررون إنني كنت قد أشرت في خطابي يوم ٢٣ يوليو الماضي إلى تكوين اللجنة المركزية للإتحاد الاشتراكي وكان التصور في ذلك الوقت أن تكون بالتعيين ولقد اجلست ذلك خلافاً لما قلته ووعدت به عن اقتناع بأن أسلوب التعيين ليس أفضل الأساليب وأن التعيين في النهاية قد لا يعطينا إلا ما نرزه مركز القوى أو ما تقممه المجموعات المختلفة والشلل.

وليس ذلك هو المرجو وليس هو ما يحقق لنا الهدف من الدور الذي كنا نطلبه للجنة المركزية.

إن طريق الانتخاب سوف يعطينا الحل الأفضل.

أن يتم بناء الإتحاد الاشتراكي بالإرادة الشعبية وحدها.

أن تقوم قوى الشعب العاملة باختيار قياداتها المعبرة عنها، والمستوعبة لأمالها الثورية ثم تدفعها إلى مواقع القيادة السياسية.



## أيها الأخوة المواطنين

من هذه النقط الثلاث فيأتي القترح البرنامج للتنفيذ التالي:

١- تجرى الانتخابات للوحدات التأسيسية للاتحاد الاشتراكي العربي وتُستخرج الانتخابات حتى تصل إلى المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي الذي ينتخب بدوره للجنة المركزية التي تنتخب بدورها رئاستها وهي اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي.

٢- يظل المؤتمر القومي المنتخب للاتحاد الاشتراكي العربي قائما إلى ما بعد إزالة آثار العدوان ويعد دورة عامة بكامل هيئته مرة كل ثلاثة شهور لكي يتابع مراحل النضال ويوجهها ويصدر في شأنها ما يراه.

٣- تظل اللجنة المركزية المنتخبة من المؤتمر القومي في حالة انعقاد دائم وتقوم لجانها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية برسم سياسات العمل في جميع المجالات استهدافا لتحقيق النصر وإعادة البناء للدخلى.

٤- إن مجلس الأمة الحالي قد قارب على استيفاء مدته الدستورية، وهو لم يفرغ بعد من المهمة الأساسية التي أوكلت إليه وهي وضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة.

وإذا كان المجلس لم يتمكن من أداء هذه المهمة فيبقى للانصاف أن ننكر دورَه الكبير وما قام به من عمل يستحق التقدير.

والمؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي العربي وهو أعلى سلطة ممثلة لتحالف قوى الشعب العاملة قد يرى أن يقوم بنفسه بعملية وضع مشروع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة، وقد يرى في الأمر رأيا آخر ومهما يكن فإنه من المهم أن يكون مشروع الدستور الدائم معدا بحيث يمكن فور انتهاء عملية إزالة آثار العدوان أن يطرح للاستفتاء الشعبي العام وأن تتلوه مباشرة انتخابات لمجلس أمة جديدة على أساس الدستور الدائم وانتخابات لرئاسة الجمهورية.

٥- أن اللجنة المركزية للمؤتمر القومي سوف يكون عليها غير ولجبتها المحددة في قانون الاتحاد الاشتراكي وغير مسؤوليات الظروف الخاصة للنضال الوطني في مرحلته للحضرة عدة مهام إضافية هي:

بناء للتنظيم السياسي لطلّاح الاتحاد الاشتراكي.

وتحديد مهام العمل الوطني للمرحلة الجديدة والتنسيق بينها. ثم المشاركة في وضع لخطوط العريضة للدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة.

### أبها الأخوة المواطنين

لكي يكون هناك ضوء كاف على طريقنا فقلني أريد من الآن أن أضع أمامكم تصوّري لبعض المهام الرئيسية في المرحلة القادمة من نضالنا:

١- تأكيد وتثبيت دور قوى الشعب العاملة وتحالفها وقبالاتها في تحقيق سيّطرتها بالديموقراطية على العمل الوطني في كافة مجالاته.

٢- تدعيم عملية بناء الدولة الحديثة في مصر والدولة الحديثة لا تقوم بعد الديموقراطية إلا استنادا على العلم والتكنولوجيا ولذلك فله من المحتم لأشياء المجالس المتخصصة على المستوى القومي سياسيا وفنيا لكي تساعد على الحكم وإلى جانب مجلس الدفاع القومي فإنه لا بد من مجلس اقتصادي قومي يضم شعبا للصناعة والزراعة والمال والعلوم والتكنولوجيا، ولا بد من مجلس اجتماعي قومي يضم شعبا للتعليم والصحة وغيرها مما يتصل بالخدمات المختلفة، ولا بد أيضا من مجلس ثقافي قومي يضم شعبا للفنون والأدب وللإعلام.

٣- إعطاء للتنمية الشاملة دفعة أكبر في الصناعة والزراعة لتحقيق رفع مستوى الانتاج والصالّة الكاملة مع الضغط على أهمية إدارة المشروعات العلمية لإدارة اقتصادية وعلمية.

٤- العمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية والاهتمام بالشباب وتاحة الفرصة أمامه للتجربة.

٥- إطلاق القوى الخلاقة للحركة النقابية سواء في نقابات العمال أو نقابات المهنيين.

٦- تعميق للتلاحم بين جماهير الشعب وبين القوت المسلحة.

٧- توجيه جهد مركز نحو عمليات البحث عن البترول لما لكتته الشواهد العلمية من احتمالات بترولية واسعة في مصر ولما يستطيع البترول أن يعطيه لجهد التنمية الشاملة من إمكانات ضخمة.

٨- توفير الحافز الفردي تكريما لقيمة العمل من ناحية ولحفاظنا للوطن بطقته البشرية القادرة والفاسح فرصة الأمل أملها.

٩- تحقيق وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

١٠- ضمان حماية الثروة في ظل سيادة القانون ولعله يكون مناسبا أن تقوم اللجنة المركزية بتشكيل لجنة خاصة ويكون لهذه اللجنة حق نظر كل الإجراءات التي ترى السلطة اتخاذها لدواعي الأمن الوطني في الظروف الراهنة.

### أيها المواطنين

طلبا لمزيد من الضوء والوضوح أمد البصر - أيضا - إلى بعض خطوط العامة التي يجب - في تقديري - أن يتضمنها الدستور لكي تكون من الآن تحت معنا وبصرنا دليلا ومرشدا.

أن الدستور الجديد يجب أن يكون حقيقة عملية وسياسية تعيش في وقتنا وتبعب منه.

ولهذا فيلني أقتراح من الآن أن تتضمن مواد الدستور الخطوط الأساسية العامة التالية:

١- أن ينص الدستور على تحقيق وتأكيد الإنتماء المصري إلى الأمة العربية تاريخيا ونضاليا ومصريا، وحدة عضوية، فوق أي فرد وبعد أي مرحلة.

٢- أن ينص الدستور على حماية كل المكتسبات الاشتراكية وتدعيمها بما في ذلك النسبة المقررة للميثاق للفلاحين والعمال في كل المجالس الشعبية المنتخبة، واشتراك العمال في إدارة المشروعات وأرباحها، وحقوق التعليم المجاني والتأمينات الصحية والاجتماعية، وتحرير المرأة وحماية حقوق الأمومة والطفولة والأسرة.

٣- أن ينص الدستور على الصلة الوثيقة بين الحرية الاجتماعية والحرية السياسية وأن تتوفر كل الضمانات للحرية الشخصية والأمن بالنسبة لجميع المواطنين وفي كل الظروف.

وأن تتوفر أيضا كل الضمانات لحرية التفكير والتعبير والنشر والرأى والبحث العلمي والصحافة.

٤- أن ينص الدستور على قيام الدولة المصرية وأدائها لأن الدولة المصرية لم تعد مسألة فرد ولم تعد بالتنظيم السياسي وحده وإنما أصبح للعلوم والتكنولوجيا دورها الحيوي ولهذا فإنه يجب أن يكون واضحا أن رئيس الجمهورية يباشر مسؤولية الحكم بواسطة الوزراء وبواسطة المجالس المتخصصة التي تضم خلاصة الكفاءة والخبرة الوطنية بما يحقق إدارة الحكومة عن طريق التخصص واللامركزية.

٥- أن ينص الدستور على تحديد وضح لمؤسسات الدولة ولختصاصاتها بما في ذلك رئيس الدولة والهيئة التشريعية والهيئة التنفيذية.

ومن المرغوب فيه أن تتأكد سلطة مجلس الأمة باعتباره الهيئة التي تتولى الوظيفة التشريعية والرقابية على أعمال الحكومة والمشاركة في وضع ومتابعة الخطة العامة للبناء السياسي والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

كذلك فإن من المرغوب فيه إضاح الفرصة لوسائل الرقابة البرلمانية والشعبية لتحقيق حسن الأداء وكفاءة لملكته.

٦- أن ينص في الدستور عل تأكيد أهمية العمل باعتباره المعيار الوحيد للقيمة الإنسانية.

٧- أن ينص في الدستور على ضمانات حماية الملكية العامة والملكية للتعاونية والملكية الخاصة وحدود كل منها ودوره الاجتماعي.

٨- أن ينص في الدستور على حصانة القضاء وأن يكتل حق التقاضي ولا ينص في أي إجراء الملطلة على عدم جواز الطعن فيه أمام القضاء ذلك أن القضاء هو الميزان الذي يحقق العدل ويعطي لكل ذي حق حقه ويرد أي اعتداء على الحقوق أو الحريات.

٩- أن ينص في الدستور على إنشاء محكمة دستورية عليا يكون لها الحق في تقرير دستورية القوانين وتطبيقها مع الميثاق ومع الدستور.

١٠- أن ينص في الدستور على حد زمني معين لتولى الوظائف السياسية التنفيذية الكبرى وذلك ضمانا للتجديد وللتجديد باستمرار.

### أيها الأخوة المواطنين

لقد قصدت أن أتناول أكبر قدر ممكن من رؤوس المسائل وتفاصيلها ويكون برنامج العمل الذي نسمك به أيدينا في المرحلة القادمة قادرا على الوفاء وعلى التحقيق. وبعد ذلك فإني أرى طرح هذا البرنامج الذي أقتراح أن نسميه اختصارا بتاريخ هذا اليوم ٣٠ مارس - للاستفتاء العام.

وبطرح برنامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ لاستفتاء العام فإني أقصد بذلك أن يكون واضحا لنا جميعا ما نريد وأن يكون موضع اتفاقنا. كذلك أريده أن يكون واضحا أمام امتنا العربية ومدعاة لتفاتها في وحدة النضال واستمراره.

وأريده أيضا أن يكون واضحا أمام الصديق وأمام العدو على حد سواء وموضع اعتبار كل الذين يقفون معنا وكل الذي يقفون ضدنا.

إن الدستور المؤقت الصادر سنة ١٩٦٤ يعطي الرئيس الجمهورية حق أن يستقضى لشعب في المسائل الهامة المتصلة بمصالح البلاد العليا وذلك وفقا للمادة ١٢٩ منه.

وإذا كان هناك من تصور صعوبة الاستفتاء العام في مثل الظروف التي نعيش

فيها فلنأنا نرى أن ذلك وقته وظروف المعركة ليست حقلًا دونه بل إننا نراه ضرورة من ضرورات المعركة.

إن المعركة ليست معركة فرد وليست معركة جيش وإنما هي معركة شعب ومعركة لمة بأسرها، وهي في نفس الوقت معركة حياة أو موت.

إن قوى الشعب العاملة هي وحدها التي تستطيع توفير كل ضرورات النصر وحشد كل الطاقات اللازمة لتحقيقه واعطاء أكبر قدر من لادة الصمود بجهة ميدان القتال.

أن أي نظام ثوري يستند على الجماهير وحدها لا يكتفي أن يكون الشعب وراءه راضيا ومؤيدا وإنما هو يحتاج إلى كثير من ذلك... يحتاج إلى أن يكون الشعب لأمه موجهًا وقلادًا.

### أيها الأخوة المواطنين

إذا كان هذا البرنامج تمثيلا صحيحا لا تكارنا جميعا فإني أرى الخطوات التنفيذية التالية:

١- أن يجرى الاستفتاء العام على برنامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ في يوم الخميس ٢ مايو سنة ١٩٦٨.

٢- بعد ظهور نتيجة الاستفتاء وإذا كانت النتيجة بنعم فسوف أصدر قرارا بتشكيل لجنة مؤقتة للاشراف على انتخابات المؤتمر القومي ويحق لها أن تتضمن إلى عضويته العاملة بعد انتهاء عملية انتخابات المؤتمر.

٣- على هذا الأساس فإنه يمكن للمؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي العربي أن يجتمع يوم الثلاثاء ٢٣ يوليو ١٩٦٨ ويعقد دورة افتتاحية ينتخب في نهايتها لجنته المركزية.

### أيها الأخوة المواطنين

إن سجل نضالنا يشهد نشعبنا.

إن الشعب الذي غير بكفاحه خريطة الشرق الأوسط ولزال من فوقها سيطرة  
الامبراطوريات الاستعمارية القديمة، وتصدى في وسطها لمحاولات الاستعمار  
الجديد. وتحمل تبعات الوحدة العربية سلما وحربا وفجر عصر للثورة الاجتماعية  
وينى وعظم السدود وقهر الصحراء وأقلم أول قاعدة عربية للصناعة المتقدمة.. هذا  
الشعب يملك المقدرة ويملك التجربة لتجاوز هزيمة عارضة في تاريخه وتاريخ أمته.

إننا سوف نحقق كما حققنا، وسوف ننتصر كما انتصرنا. ولتعمل إرادة الحق فوق  
كل إرادة لائها جزء من إرادة الله.

## ملحق رقم (٤)

تكذيب الفريق أول محمد فوزي لمقالتي الذي تضمن حديثاً مع السيد اللواء الحناوي... والذي نشرته العربي بعرض الصفحة الأولى تحت عنوان الجريدة وكلمة موحية لجمال عبد الناصر، (دون أن تنتظر هل مستشره روزاليوسف أم لن تنشره... ولقد نشرته روزاليوسف ... أما العربي فلم تنشر الرد الذي أرسلته إليها!!!).

إن الأمل الحقيقي هو في استمرار النضال. ويتأكد الاستمرار حين يكون هناك في كل وقت جيل جديد على أتم استعداد للقيادة ولحمل الأمانة ومواصلة التقدم بها.. أكثر وعياً من جيل سبق.. أكثر صلابة من جيل سبق.. أكثر طموحاً من جيل سبق. إن علينا بالصبر لن نستكشفه دون من عليه ولا وصاية.

جمال عبد الناصر

ما جاء على لسان قائد القوات الجوية تخاريف

الفريق أول فوزي: عبد الناصر أمر بعدم التعرض لمظاهرات الطلبة

نفى الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية الأسبق ما جاء في شهادة اللواء مصطفى الحناوي قائد القوات الجوية الأسبق حول ما حدث أثناء مظاهرات الطلبة بالاسكندرية عام ١٩٦٨. ووصف الفريق أول فوزي ما جاء على لسان الحناوي ونشرته مجلة "روزاليوسف" من أن عبد الناصر أمر بإطلاق النار على المظاهرات باستخدام طائرات الهايكوبتر بأنه محض تخاريف، وأكد أن تعليمات عبد الناصر المباشرة في تلك الأحداث شددت على عدم التعرض للمظاهرات.

وكان الفريق أول فوزي قد أرسل رداً إلى "روزاليوسف" بشأن هذه الواقعة

وهذا نصه:

تلغفت كثيراً عندما اطلعت على ادعاءات لواء طيار متقاعد مصطفى



للحناوى قائد القوات الجوية الأسبق. عندما سجل حديثاً لمجلة "روز اليوسف" نشر بالعدد ٣٥٩٤ بتاريخ ٢٨ إبريل ١٩٩٧، نسب فيه إلى الرئيس عبد الناصر بعد ربع قرن ضرورة تفريق مظاهرات الطلبة بضرب النار بواسطة طائرات الهليكوبتر. بالاسكندرية فى نوفمبر ١٩٦٨. هذه التخاريف التى صدرت من قائد القوات الجوية الأسبق فى حديث منتصف الليل، ولحب أن لوكد أن التوجيهات السياسية بالنسبة لمظاهرات الطلبة والموضحة فى أذهان القيادات العسكرية هى عدم تدخل القوات المسلحة فى شأن هذه المظاهرات وإن مسئولية فضها يقع على كاهل التنظيم السياسى.

وكان تأكيدى لنائب رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وهى الهيئة المسئولة عن جميع تحركات القوات المسلحة - اللواء محمود جاد تهاى واللواء طلعت مسلم\* - بعدم التعرض لمظاهرات الطلبة حتى لو وصلت هذه المظاهرات إلى مبنى هيئة العمليات نفسها\*\*، وذلك طبقاً للتوجيهات السياسية الصادرة من الرئيس جمال عبد الناصر.

إن الطلاب هم فلاة كبدنا ومستقبل مصر والذين تطوع الآلاف منهم لخدمة الجبهة أثناء حرب الاستنزاف فى فصائل خدمة الجبهة والذين شكلوا العمود الفقري للقوات المسلحة فى حرب أكتوبر المجيدة.

\* اللواء طلعت مسلم كان فى هيئة عمليات القوات المسلحة لم كان قال عن نفسه فى المقال الذى تلا هذا التكتيب بأسبوع "رئيساً لفرقة العمليات بإحدى فرق القوات المسلحة (متمركزة فى دهب) فى هذه وسائل الفريق أول فوزى (!!!)، ورأى أن سيادة الفريق أول كان قد جهز كلاماً ويقول مع سيادة اللواء طلعت مسلم (الذى وجدته أيشهد) وأراد أن يرفقه هنا بأثر رجعى (!!) لى يجعل لكلامه مصداقية.

\*\* اللواء طلعت مسلم قال فى رده حتى لو وصلت إلى "التكتات" ذلك أنه لم يكن فى هيئة العمليات.

الجل الذي ولجه رصاص جمال عبد الناصر والسمات

إن كيف يتصور ويتخيل قائد القوات الجوية الأسبق أن تمس شعرة منهم..  
وهم الذين قال عنهم جمال عبد الناصر:

"الشباب موضع الصدارة.. لا يمكن أن يحدث تناقض بين الثورة وشبابها.

والمعروف أن الفريق أول محمد فوزي كان يشغل منصب وزير الحربية  
وقائد العام للقوات المسلحة في ذلك الوقت.

## ملحق رقم (٥)

### هجوم "جريدة العربي" على المقالات ... وعلى كاتبها

عفوًا: تخاريف اللواء الحناوى.. وحقيقة أحداث مظاهرات الطلبة!

- هل أصبحت مواجهة الصهيونية ورفض التطبيع جريمة للناصرين.
- عبد الناصر احتضن رفض شباب الثورة وأيده.
- كيف يلتكى اللوى الصهيونى مع قائد أسبق.
- كل الشهود أجمعوا على كذب ما نشر عن المظاهرات.
- تعليمات القيادة كانت تشدد على عدم التعرض للطلبة حتى لو وصلوا الثكنات العسكرية.
- اللواء الحناوى خرج من الخدمة بشكل غير مرض له شخصيا.. والسمن له أحكمه.
- عبد الناصر كان يعتبر نفسه واحدا من جماهير الشعب فكيف يأمر بقصف الطلبة بالطيران!؟

يحاول الذكرات أن يصنعوا لأنفسهم تاريخا ودورا وطنيا، ولا يجدون فى ذلك غضاضة، بعد أن كتب المقولون مذكراتهم السياسية، وتحول المؤرخون إلى كتبه ينقلون عن حوايت الصحفيين، وانتشرت مهاجمة الوطنيين، وتحول رفض إقامة علاقات مع الصهاينة إلى جريمة، وارتفعت أصوات أتباع الأعداء وأنصارهم، يدافعون عن علاقاتهم المشبوهة والمأجورة تحت ستار الدفاع عن الآخرين. وأصبحت جريمة للناصرين هى رفض الاحتلال والوجود الصهيونى على الأرض العربية، ويقوم موظفو المركز الثقافى الصهيونى بتكثيف جهوده لهم

صورة عبد الناصر وتشويه نضال الشعب لحساب أعدائه ووصل بهم الأمر إلى حد الدفاع صراحة، وبلا خجل عن الجواسيس وعملاء المخابرات المركزية.

ولقد أصيبوا بفرع من بقطة مصر وانتفاضة شعبها ضد التطبيع وضد إقامة علاقات مع الصهيونية، وراحوا يستعجون السلطة التي أبرمت اتفاقيات ضد رافضى إقامة هذه العلاقات التي يرفضها ويقاومها الشعب العربى ليس فى مصر وحدها بل وفى جميع البلاد والتي رفضتها فى بلادنا الجمعيات العمومية للهيئات وال نقابات وهذه الجمعيات العمومية تمثل جموع الأعضاء المنضمين إليها، ويعرف الصغار قبل الكبار أن عدم تنفيذ قراراتها أو العصف بها يعنى رفضها لراى الأغلبية لحساب الصهيونية وحدها الإرهاب.

هؤلاء الذين يقتلون بكل أسلحتهم ضد الديمقراطية حتى لا تتخذ مواقف من المطبوعين تنفيذاً لراى الأغلبية هم بكل أسف من المصريين.. الذين تناسوا للدماء التي سالت والشهداء الذين سقطوا، ومذابح الأعداء البعيدة والقريبة وتناسوا فوق ذلك احتلال فلسطين، ومحاولات تهويد القدس، ولا يخجلون من أن يصدموا بهذه الآراء للشارع العربى خصوصاً فى هذه الظروف، وبعد أن قرر وزراء الخارجية للعرب ضرورة إعادة إحياء المقاطعة.

فى الوقت الذى يضيق فيه الرسميون الخناق على الصهيونية، ويقررون المقاطعة، وتعيد الجامعة العربية إحياء مكتب المقاطعة، يظهر من يدافعون عن إقامة علاقات شعبية مع العدو، وهو خيط يتشبث به الصهيونية، ويدفعون رجالهم إلى تبنيه والدعوة له.

اختلفت الأمور، حتى أصبح للذين يخضعون لراى الأغلبية ديكتاتوريين، والذين يطبقون قرارات الجمعيات العمومية للنقابات إرهابيين وفاتنيين فكانت هذه

القرارات بالاجماع وليس بالأغلبية وكأنها دعوة سافرة لإقامة علاقات شعبية مع الصهيونية في هذا الوقت بالذات - وأن علينا معاقبة اتحاد نقابات المهن الفنية واتحاد الكتّاب، وغيرهما لمسيهما للخضوع لرغبة الأعضاء بإيقاف التطبيع، وأن على هذه الهيئات أن تحشد أعضائها ليسافروا إلى القدس المحتلة وإلى تل أبيب لينتقلوا الأحضان مع الصهيونية - بينما مازالوا يحتلون الأرض، ومسيرة السلام تنتشر، وهوية فلسطين تضع.. بل وإن علينا سلفاً أن ننسى مذابح الصهيونية، وقيام الدولة العبرية العنصرية غصباً وبالاحتلال على الأرض العربية.

وذلك هو منطق دعاة الصهيونية، وأتباعها والمتعاملين معها.. وهذا هو رأيهم الذي يحولون بمساليب مكتوبة ومستفزة أن يفرضوه بالغصب حتى إنهم يرون الخضوع للأغلبية الساحقة هو ديكتاتورية، وأى طفل صغير مازال يتعلم فى كتاب للقراءة الرشيدة سوف يضحك لهذا المنطق وربما يزول عنه العجب لو فهم الدوافع، والأهداف، ووقف على حقيقة الذين يحملون هذا الرأى ومن هم وراءهم.

كانت هذه مقدمة مريضة عن اللوبي الصهيونى الذى تكون فى مصر تحت لافتة الاستعادة فباع شرف أمته، وتاريخها، ونضالها، وفرد فى القدس قضايها.

وهناك لوبي آخر يلتقى معه فى نفس الهدف بالهجوم على جمال عبد الناصر، يضم أقصى اليمين، مع أقصى اليسار.

وقد ظهر ذلك واضحا بواسطة شخص مجهول، لم يسمع عنه أحد ولا يعرفه حتى زملاؤه، يكتب سلسلة مقالات عن مظاهرات الطلبة التى قامت سنة ٦٨ احتجاجاً على الأحكام الهينة التى صدرت ضد قيادة الطيران، وهو يرى أن هذه المظاهرات قادها يساريون متطرفون، ويمينيون متخفون جميعاً وراء مظلة منظمة للشباب.

وكل الذين شاركوا في منظمة الشباب والذين قلدوا حقيقة هذه المظاهرات من منطلق وطني غير مدفوع، يستكبرون الأكاذيب والإدعاءات التي طفحت على سطح كل ما نشر، ويمكن أن نلتصم العذر لشاب مجهول يريد أن يصنع لنفسه تاريخاً، ودوراً وطنياً، وكان ذلك ممكناً دون اللجوء إلى التشويه، والتجسّي على الحقيقة..

لقد أخرج قائد القوات الجوية الأسبق — وإن أنكر اسمه حتى أقصت عليه فرصة للشهرة التي سعى لها — هذا القائد من مرقدّه، ليقول كلاماً عيباً تلفها لا يصدق أحد.

وهذا القائد لم يسمع به أحد، ولا يذكره أحد، فلا هو ترك بصمة أو أثراً، ونسبه للناس، ولعله — وقد وجد ضجة أثّرت حوله، واسمه بدأ يفكر\* أن يواصل افتراءاته، ويخترع أكاذيب جديدة، بل لعله يفكر أن يكتب مذكراته ليصنع لنفسه تاريخاً أو ليصبح موضع حديث الناس.. قال قائد القوات الجوية الأسبق إن عبد الناصر أصدر أمراً بضرب مظاهرات الطلبة بالمدافع من الطائرات.. ويعرف الجميع أن عبد الناصر كان ضد إراقة الدماء العربية، ورحل بينما يسعى لوقف الاقتتال العربي، وكان موقفه بارزاً عملاً وفكراً بحم استخدام السلاح العربي ضد العرب في الكويت، وفي سوريا، في ظل ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد، هذا الرجل يقول عنه قائد الطيران الأسبق بعد ثلاثين عاماً أنه أمر بضرب الطلبة المصريين بالطائرات، ولكن قائد القوات الجوية رفض..!

وليس منطقياً أنه بعد رفض الأمر، أن يستمر في موقفه بعد ذلك ثمانية أشهر.. ولكنه استمر، حتى لحيل للتقاعد في يونيو من العام التالي.. ولقد استشهد الرجل بمحمد حسنين هيكل.. ولكن هيكل كذب الواقعة تماماً، وقال إنها غير صحيحة وأن الرجل يخلق في لوهم وكان قائد الطيران قد قال أنه تحدث مع هيكل

\* هكذا في الأصل ولظنها ينكر.

فى هذا الأمر إلا أن الاستاذ هيكىل رد بأنه لم يتحدث معه أبداً فى الموضوع، وأن ما يدعيه مخالف للتعليمات التى أصدرها عبد الناصر وتساءل كيف لم تطلق رصاصة ضد الطلاب من الأرض، وأن يضرب الطلاب بالطيران فى الشوارع!

وقال الفريق أول محمد فوزى قائد الجيش أن ما ذكره القائد النكرة غير صحيح أى أن كل الأطراف قالت إنه كذاب فيما عدا اثنين من شلته وأصدقائه وزملائه..

تكتسب شهادة اللواء طلعت مسلم، حول أحداث مظاهرات الطلبة عام ١٩٦٨ أهمية خاصة لأكثر من سبب.. الأول هو أن الرجل كان واحداً من القليلين جدا الذين عاصروا أحداث مظاهرات الطلبة عن قرب بحكم موقعه كرئيس لغرفة العمليات باحدى فرق القوات المسلحة فى ذلك الوقت، والثانى أن الرجل — متعنه الله بالصحة والوعى دائماً — لا يزال يواصل عمله السياسى داخل تنظيمات حزب العمل المصرى اليسارية، وفوق ذلك كله موقفه الوطنية لا تخفى على أحد.

أن يدلى اللواء طلعت مسلم بشهادته الآن حول أحداث انتفاضة الطلبة فى ٦٨ فإنه — كما قال للزميل أحمد أبو المعطى فى حوار طويل فى رحاب جامعة القاهرة — فإنه يدلى بها للأجيال القادمة، ولتصحيح رؤية حاول البعض — معذورا — أن يجعلها ضبابية وباهتة.. ومغفيرة للواقع والحقيقة.

• بداية ما هو تعليقك على ما جاء على لسان اللواء مصطفى الحناوى رئيس القوات الجوية الأسبق فيما يتعلق بأحداث ١٩٦٨؟

شهادة اللواء الحناوى كانت مفاجئة بالنسبة لى ولمدد كبير من الذين عاصروا الأحداث عن قرب، ومازالت حتى الآن مدهوشا من هذه الرواية الغريبة،

ولنكر أنى كنت مع بدليات علم ٦٨ فى فرقة بمنطقة دهشور واستمرت\* فى هذه المنطقة حتى قامت لحدث مارس ٦٨ والتي كانت تتركز فى القاهرة وحدها، يومها صدرت الأوامر لجميع فرق القوات المسلحة بعدم التعرض للمظاهرات وكلفت التعليمات واضحة للجميع حتى وصلت للمظاهرات إلى منطقة دهشور وهو الأمر للمستبعد..\*\*

بل وحتى لو حلول المتظاهرون الاعتداء علينا لدخل تكتلتنا العسكرية.

- وهل ينطبق ذلك أيضا على أحداث مظاهرات الاسكندرية فى نوفمبر ١٩٦٨؟! بالطبع لم يتغير فى الأمر شيء، وكنت بصفتى رئيسا لغرفة العمليات\*\*\* فى ذلك الوقت ملما بجميع الأحداث والأوامر التى تصدر من القيادة العليا، وما لنكره جيدا فى تلك الفترة أن الأوامر جاءت مشددة هذه المرة من القيادة العليا بالابتعاد تماما عن الاحتكاك - مجرد الاحتكاك - بالمتظاهرين حتى لو تعرضنا لاستنزافات من خارج تكتلتنا العسكرية.

- إن لمماذا يحول اللواء الحناوى الآن تشويه للتاريخ ولى عنق الحقيقة!؟

استطيع أن أقول إن المن له أحكامه فى كثير من الحالات، وبعيدا عما تعرض له لحد الكتاب فى الحوار مع اللواء الحناوى فإنه فى شهادته لم يكن منصفاً

• هكذا هى فى الأصل.

\*\* الجملة هكذا فى الأصل ولا معنى لها فى السياق إلا إذا كان يريد أن يطول، أن التعليمات كانت بعدم التعرض للمظاهرات حتى لو وصلت إلى دهشور (!!!)، ولطها محاولة من الأستاذ عبد الله إمام أن يجعل لثقت من قراء القوات المسلحة كان فى دهشور مصداقية لحديثه عن مظاهرات جرت فى القاهرة.

\*\*\* هكذا فى الأصل، وأظن بتر الجملة كان مقصودا فلمقال قال قبل ذلك عن اللواء طلعت مسلم أنه كان رئيسا لغرفة عمليات بلحدى فرق القوات المسلحة فى ذلك الوقت، إن هذا البتر يوحي بأنه كان فى غرفة عمليات القوات المسلحة شخصيا وليس فى فرقة فى دهشور.



إذا استبعدنا مسألة السن، فقد خرج من القيادة — قيادة القوات الجوية — بشكل غير مرض، ومن يومها أصبح لديه ميل واضح لمهالمة كل من تصور أنهم كانوا وراء خروجه من الخدمة، ولو كان اللواء الحناوى قد هاجم الفريق فوزى مثلاً لأصبح الخلاف بين فردين على قيد الحياة يستطيع كل منهما أن يرد على الآخر، لكن أن تمتد "تخاريف" اللواء الحناوى إلى عبد الناصر شخصياً فالأمر يختلف.

ربما حسبها اللواء الحناوى فى رأسه بأنه إذا وقف بشهادته تلك لملم عبد الناصر فإنه يكون قد رد اعتباره من نظام الحكم فى مصر فى تلك الفترة ومن الزعيم أيضاً وبالتالي فقد يشفى ذلك شينا من غليله، ووفقاً لما قاله أحد الكتاب على لسان اللواء الحناوى لم يحدث بينه وبين عبد الناصر أى حديث حول هذا الموضوع أما إذا كان ما جرى قد تم بينه وبين الفريق فوزى فالأمر يختلف لأنه يصبح هنا بعيداً عن عبد الناصر.. اعتقد أن اللواء الحناوى — بهذا الكلام — يريد أن يأخذ حجماً كبير من حجمه.

- بحكم موقعه.. وقربه من الأحداث هل كان يمكن لعبد الناصر أن يصدر أمراً بالتصدي للطلبة هكذا؟!

مستحيل لأكثر من سبب، أولاً لقد قبلت عبد الناصر، وحسب معرفتى به كان يرفض تماماً أن يكون بينه وبين الشعب أى تناقض مهما كان حجمه، ولعل الجميع يذكر أحاديث الزعيم فى العديد من المناسبات لقد كان حديث عبد الناصر ينصب حول جُمْل بعينها عندما كان يقول "الشعب يطلب بكذا وأنا معه".. لقد كان للزعيم يضع نفسه دائماً فى صفوف الجماهير، وبالتالي فالكلام حول وقوف عبد الناصر أمام الشعب وفى القلب منه طلابه هو أمر غير منطقي بالمرّة.

- لكن اللواء الحناوى يؤكد أن الأوامر صدرت من عبد الناصر شخصياً؟!
- هذا غير صحيح على الإطلاق.. لقد كنا نتابع أحداث الإسكندرية بقلق بالغ،

لكن القوات المسلحة كانت بعيدة كل البعد عن هذه القصة\*، وانكر أنني كنت قد سألت السيد أمين هويدي - وكان وقتها رئيساً للمخابرات - حول الموضوع\*\* ووفقاً لكلامه قد رفض عبد الناصر وقتها تدخل القوات المسلحة لفض المظاهرات وبالتالي فالكلام حول هذا الموضوع الآن ليس له أى معنى.

• ما هو المر إن في تعجير مثل هذه الروايات الآن؟!

بالقطع وقبل كل شيء الإعداء قبل الأصدقاء لا يختلفون على أن شخصية مثل شخصية لازيم جمال عبد الناصر لا تزال باقية حتى الآن رغم مرور أكثر من ٢٧ عاماً على رحيله.. وسوف تظل شخصية جمال عبد الناصر مثيرة للجدل على مر السنين.. الناس الآن لم تعد تذكر السادات وغيره من الرؤساء المصريين مثلما تذكر عبد الناصر، كما أن اسم عبد الناصر ظل مثلاً للاختلاف والتأييد الماضوية وسيظل مثلاً للمعارضة أيضاً فقد كانت ثورة يوليو هي بداية طوفان التغيير الجذرى فى المجتمع المصرى، فغيرت العلاقات بين الطبقات، وأصبح وطن الأقلية وطناً للأغلبية وبالتالي فكل من شعر بأنه قد أضير من هذا النظام سوف يظل فى نفسه شيء.. هذه هي القصة.

• راجع منكرف أمد كامل الذى كان محافظاً للاسكندرية والتي يؤكد فيها أنه طلب من مسامى شرف موافقة عبد الناصر على تدخل القوات المسلحة لإنهاء اعتصام الطلاب، وجاءه الرد من مسامى شرف بأن الرئيس موافقة، وأنه قد وضع محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة فى خدمته... وتؤكد بنفسك أن كان أحمد كامل ما طلبه من جمال عبد الناصر لتعرف القيمة الحقيقية لشهادة اللواء طلعت مسلم.

•• عن أى شيء سألت السيد أمين هويدي؟ هل سأله عن موضوع الطيران .. هل توقع إن أن كان الموضوع حقيقاً وأن كاد اللواء أن يقول خذونى!!، أم سأله فى ذلك الوقت عن تدخل القوات المسلحة عموماً وهو الذى يؤكد أنه كان فى غرفة الصليات ويعرف كل شيء.. هل يسأل من يعرف كل شيء؟

لقد احتضن عبد الناصر غضب الثياب، واستوعبه وأيده وتحدث عنه في خطب علنية وشرحه، ورآه مشروعا من جبل الثورة "ويمكن أن نعود إلى هذه القضية بتفاصيل أوسع، وشهادات أوثق من الذين عاشوا الحقيقة على أرض الواقع، ولا يسعون لشهرة، أو لتصفية حسابات تافهة، ولم تبرد جراحهم بعد كل هذه السنوات الطويلة، فما زال الحد يمزقهم، ويمر تفكيرهم.. فيخرجون بين الحين والآخر تخاريف لا يحترمون فيها أنفسهم، ولا أحوالهم بحثا عن شهرة أو سطر في جريدة قبل أن تنشر أسماؤهم في صفحة الوفيات.

أوردنا مجرد عينات من الذين يهاجمون جمال عبد الناصر..

لوبي صهيوني يهيل التراب على نماء الشهداء العرب، ولا يهمه أن إسرائيل مازالت تحتل أرضا عربية، وتهود القدس، وأنها اغتصبت فلسطين ويطالب بتطبيع العلاقات معها ويهاجم لإجماع الذين يتخذون موقفا وطنيا مع جماهير الشعب العربي ومع الفلسطينيين الذين مازالوا يتساقطون كل يوم برصاص الإرهاب الصهيوني. ولوبي آخر يضم أقصى اليمين وأقصى اليسار، ليس معروفا سب اختصاره هذا التوقيت بالذات ليعزف مع المتصهينين نفس النغمة!

عسكري سابق وصل إلى موقع قيادة القوات الجوية لا كفاءة، ولا عملا، وإنما بعلاقات شخصية كانت تربطه بالشهيد عبد المنعم رياض.. ومن يرى ماذا سيخرج علينا من تخاريف جديدة.. من هؤلاء هؤلاء.. أو من آخرين من دونهم.. لا يخفون على جماهير شعبنا.. كما أن\*

\* انتهى الأصل عند هذه الكلمة - في الجريدة - ولم يكن للمقال تكلمة !!

### ملحق رقم (٦)

## صورة للرندود التى وردت إلى مجلة روزاليوسف تعقيباً على ما طرحه اللواء الحناوى

شهود التفتى والإثبات يتحدثون :

ضرب المظاهرات بالطائرات

الفريق فوزى : أمرت الجيش ألا يقترب من الطلبة حتى لو هاجموا مبنى  
الصلوات.

محمد حسنين هيكل : اللواء الحناوى يخلق فى الأوهام بعد أن توقف عن  
التحقيق بالطائرات.

اللواء نبيل كامل : فى القاهرة والاسكندرية طرنا فوق الطلبة  
بالبهيكوبتر.

اللواء جبر على جبر : الطائرات كانت فوق الطلبة ولم يكن هذا هو خط  
سيرها.

اللواء الحناوى : تحركات الطائرات محفوظة فى غرفة العمليات  
بالجيش... اقرأوها !

محمود الجيار : تطيبت لشعراوى جمعة بالآ يطلق النار على الطلبة.

كنا نتوقع بالطبع أن ما أثاره اللواء الحناوى سوف يقيم الدنيا ولا يقدها.

إن اللواء الحنوى كان قائداً لسلاح الطيران فى عام ١٩٦٨، وقد قال لهشام السلامونى فى حلقته عن مظاهرات الطلبة عام ١٩٦٨ و ١٩٧٢: إن عبد الناصر أمر بتفريق هذه المظاهرات بنيران الطائرات الهليكوبتر\*.

والمطومة خطيرة بالطبع وخاصة أن سلاح الطيران فى ذلك الوقت كان رمزاً لهزيمة ١٩٦٧، قبل أن يصبح رمزاً للنصر.. وفوق كل هذا فإن لمرأ من ذلك النوع ليس متوقفاً على الإطلاق من زعيم كان يتوجه أساساً ببرنامجه إلى الشباب.

ومن هنا لم يكن غريباً أن تتوالى ردود الفعل من أطراف مختلفة تحدثت عنها القصة.

ولنبداً بالفريق أول محمد فوزى، وزير الحرية الأسبق الذى قال:

تألفت كثير أ عندما أطلقت على ادعاءات لواء طيار متقاعد مصطفى الحنوى، قائد القوات الجوية الأسبق، عندما سجل حديثاً لمجلة روز اليوسف نشر بالعدد ٣٥٩٤ بتاريخ ٢٨ أبريل ١٩٩٩، نسب فيه إلى الرئيس عبد الناصر بعد ربع قرن ضرورة تفريق مظاهرة الطلبة بضرب النار بواسطة طائرات الهليكوبتر بالإسكندرية فى نوفمبر ١٩٦٨، هذه التخاريف التى صدرت من قائد القوات الجوية الأسبق فى حديث منتصف الليل، ولحب أن تؤكد أن التوجيهات السليسية بالنسبة لمظاهرات الطلبة، والموضحة فى لذهان القيادات العسكرية، هى عدم تدخل القوات المسلحة فى شأن هذه المظاهرة، وأن مسئولية فضها يقع على كاهل التنظيم الميسلى.

وكان تأكيدى لانتاب رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، وهى الهيئة المسئولة عن جميع تحركات القوات المسلحة — اللواء محمود جاد تهاى، واللواء

---

\* اللواء الحنوى قال لى إن الفريق فوزى قال له أن عبد الناصر يريد ضرب مظاهرات الطلبة بالرشاشات من عيار كبير، ولم يقل لى أن المطلوب كان تفريقها فقط.

طلعت مسلم بعدم التعرض لمظاهرات الطلبة حتى لو وصلت هذه المظاهرات إلى مبنى هيئة العمليات نفسها، وذلك طبقاً للتوجيهات المياسية الصادرة من الرئيس جمال عبد الناصر.

إن الطلاب هم فلذة كبدانا ومستقبل مصر، والذين تطوع الآلاف منهم لخدمة الجبهة أثناء حرب الاستنزاف في فصول خدمة الجبهة، والذين شكلوا العمود الفقري للقوات المسلحة في حرب أكتوبر المجيدة.

إن كيف يتصور ويتخيل قائد القوات الجوية الأسبق أن تمس شعرة منهم.. وهم الذين قال عنهم جمال عبد الناصر :

"لشباب موضع الصدارة لا يمكن أن يحدث تنقل بين الثورة وشبابها".

أما الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل فلم يرسل رداً، لكنه قابل بعض زملاء الصحفيين من روز اليوسف في عزاء والد عادل إمام، فتحدث معهم عن عدة نقاط :

١- أنه لم يعرف شيئاً عن هذه الواقعة على الإطلاق، وأنه لا يعتقد أن جمال عبد الناصر، أعطى هذا الأمر إبدأ، وأنه لم يسبق له أن تحدث في هذا الموضوع مع اللواء الحناوى.

٢- إن ذلك مخالف للتعليمات التي كانت موجودة لدى شعرلوى جمعة، بالآ يتجاوز رجال الشرطة مهما كان نوع الاستفزاز، وفي هذا السياق كان عدد الضحايا في الشرطة أكثر من عدد ضحايا الطلبة\*.

\* لم يقتل أحد من رجال الشرطة، لكن ضحايا الطلاب والشعب قاربت الثلاثين شهيداً !!!.

٣- وفوق هذا هل يعقل أنه في الوقت الذي لم تطلق فيه رصاصة ضد الطلاب على الأرض، أن يضرب الطلبة بالطيران في الشوارع.

٤- كان سلاح الطيران في ذلك الوقت مشغولاً ببناء نفسه، بعد أن أصبح رمزاً لهزيمة ١٩٦٧، وكان الهدف استعادة سمعة هذا السلاح الهام، فجاء مذکور أبو العز، ثم اللواء الحناوى، وعلى بغدادى.. ثم استقر الأمر عند اللواء طيار حصى مبارك.. فى هذا الوقت كنا نبحث عن بناء الطيران، فكيف يمكن أن يتم توريطة فى هذه المهمة الغريبة.

٥- ليس لدى تفسير سوى أن اللواء الحناوى يعيش الآن فى عزله، وبدلاً من أن يحلق بالطائرات فهو يحلق فى الأوهام.

وبخلاف هذا قال اللواء نبيل كامل، قائد فرقة الهليكوبتر بالقوات الجوية حتى الإحالة إلى التقاعد (فى مكالمة تليفونية) :

ما قاله اللواء الحناوى فى روزاليوسف هو الذى حصل فعلاً، لقد اتصل بى اللواء الحناوى قبل فجر يوم الواقعة الساعة الثالثة صباحاً، وكانت هناك مظاهرات "جامدة" عاملها الطلبة، وسيادته قال لى: أطلع وقود التشكيل بنفسك يا نبيل، وتؤكد بنفسك قبل الطيران إن الطائرات ليس فيها ذخيرة (ولا طلقة)، وفطنت تماماً ما أمرنى به سيادته. وتكلمت من أن المدافع والرشاشات والطائرات لا توجد بها أى نوع من الذخيرة تنفيذاً للتعليمات، وقدمت التشكيل بنفسى، ولم نقم بأى عمل هجومى أو دفاعى بالنسبة للطلبة فى المظاهرات فقط، وهذا الأمر حدث فى مظاهرات الإسكندرية، وأيضاً فى القاهرة.

وقال اللواء طيار جبر على جبر، الذي كان ضمن قيادة الطيران بين ٦٨ ، ١٩٧٤، وشارك في اعداد التاريخي الرسمي لحرب أكتوبر:

'بداية أرى.. أنني لا أوافق — بمنتهى الأمانة — على نشر هذه الواقعة الآن، فليس كل ما يعرف يتم نشره، وهناك دائماً توقيتات ملائمة للنشر. ولعلني أقرر أيضاً أنني لكن للفريق أول فوزى كل تقدير واحترام وحب ومودة. وأنني على اتصال وثيق به حتى الآن برغم اختلاف الرتبة والفارق في العمر والخبرة، بالإضافة إلى أنني أرى في دوره الذي قام به في إعادة بناء القوات المسلحة المصرية بعد نكسة يونيو ١٩٦٧، دور خالد عظيم لا يستطيع أحد نكرانه، وأنا شخصياً دافعت عنه — بما يستحقه — في دراسات عديدة ضد من أردوا التقليل من حجم هذا الدور الكبير، والإنجاز الخالد.

بالنسبة للواء الحناوى، فلعلي أقرر أيضاً، أنه كان من أفضل قادة القوات الجوية الذين خدمت معهم سواء من ناحية أدائه كقائد أو من ناحية خبرته ومعلوماته العسكرية في الطيران، ولتني يجب أن نتوافر لمن يتولون قيادة هذا السلاح للخطير، كان قائداً مميزاً بمعنى الكلمة، ولم يكن أدلوه في رأيي سبب خروجه من الخدمة، إذ كان موضع تقدير من الرئيس جمال عبد الناصر، حتى بعد انتهاء خدمته، وهذا الكلام كرره على مسامعي من أسبوعين فقط لأحد معاوني الرئيس جمال عبد الناصر، الزعيم الخالد.

لما الواقعة التي ذكرها اللواء الحناوى لروز اليوسف في العدد (٣٥٩٤)، فقرر أنني كنت موجوداً بالخدمة في ذلك الوقت، أعمل رئيساً لفرع التدريب للتجوى (تدريب العمليات)، مما يجعل العلاقة بيني وبين اللواء الحناوى متصلة



ومتواصلة، وهناك جانب لا يمكن لى أن أنكره فى الواقعة، وهو أن اللواء الخاوى قال لى ولزملاء آخرين مضمون الواقعة، ونحن بعد فى الخدمة ولقد تدهشت لجرأته، ذلك أن ما قاله فى وقتها كان من الممكن أن يسبب له الكثير من المشكل، فالمعروف أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يمتلك من الأجهزة ما يجعله يعرف ديبب القملة إذا دبّت، أما نص الحديث للتليفونى كما نكر، فإنا لا نستطيع أن نؤكد، لأننى ما كان لى أن أسمع.. لكن الطائرات خرجت بالفعل. ومرت فى طريق تدريبها فوق تجمعات الطلاب، علماً بأن ذلك لم يكن مسارها اليومى العادى.

وفى السياق نفسه أرسل لنا محمود الجيار، سكرتير عبد الناصر يقول معلقاً على الواقعة: بعد اندلاع المظاهرات لم يكن أمام عبد الناصر ساعته وقت التقدير هذا الموقف الجديد الذى نشب فى الداخل، لكنه أصدر أمراً واحداً وحاسماً هو : سحب ذخيرة قوات الأمن التى تولجہ المظاهرات بعد الذى حدث فى المنصورة والاسكندرية وحلوان\*، وقد قالها الرئيس الراحل أمامى لشعراوى جمعة: مافيش عسكرى واحد ينزل وفى أيده طلقة واحدة يا شعراوى.

وكانت النتيجة أنه فى الاشتباك بين المتظاهرين وقوات الأمن، كانت خسائر قوات الأمن أكبر، ولم يسق حدوث ذلك فى تاريخ المظاهرات فى مصر\*\*. ولكن المفاجأة الحقيقة كانت لعبد الناصر نفسه أن الشرارة الأولى لهذه المظاهرات كانت من تكبير الحكومة على يد شعراوى جمعة، وعلى صبرى\*\*.

\* نحن نتكلم عما حدث فى المنصورة والاسكندرية وحلوان، ولا يتكلم عما بعده.

\*\* راجع ملاحظتنا عما قاله الأستاذ هيك.

\*\* معقول هذا الكلام يا أستاذ جيار !!!!.

وكانت الشرارة الأولى التي أطلقت المظاهرات برقية مفتوحة موجهة من منظمة الشباب إلى جمال عبدالناصر تحث على أحكام قضية الطيران، وموقعة باسم أمين المنظمة في ذلك الوقت أحمد كامل، ولم أصدق عيني عندما قرأت الاسم، وقد كنت ممثلاً عن مكتب للرئيس للشئون الداخلية، فأحمد كامل من المجموعة للحكمة، مسئول معها، وليس معقولاً أن يتزعم الاحتجاج علناً، وأسرت اتصال بأحمد كامل الذي قال لي : أنا فعلاً أرسلتها، فذهلت، وعدت لأسأله: هل فكرت قبل أن ترسلها؟ وما هي الحكمة؟ وإذا به يرد ببساطة، وأنا مالى أسأل سامي شرف، هو الذي طلب مني إرسالها هو وشعراوى جمعة.

وفي تقديري أن أحد دوافعهم كان لتجربة نفوذ هذه المجموعة، ومدى سيطرته على الشارع، وكفاءة أوتاتها!! رغم إعلانهم في ذلك الوقت أن بعض المنظمات العميلة كانت المحرك للمظاهرات.

وقد علت هذه المجموعة التي لتحول مرة أخرى في حلوان من نفس العام واشرف على المظاهرات بنفسه شعراوى جمعة، وعبد المجيد فريد، وعبد اللطيف بطلية، ورغم أن شعراوى كان وزيراً للداخلية، إلا أنه لم يبلغ الشرطة بتكبيره، وكانت النتيجة أنه ما كانت تبدأ المظاهرات حتى تصدى لها مأمور حلوان بمنتهى للقوة والعنف، وأُلفت الموقف من أيدي شعراوى للمرة الثانية.

وأذكر في هذه الأونة خطاب عبد الناصر بمناسبة افتتاح مجمع الحديد والصلب في نفس العلم، حينما غلبت على عبد الناصر روح الفكاهة، وهو يتناول قصة المظاهرات وهو على الهواء في الإذاعة: 'أعمل أية إذا كان اللى مطلع المظاهرات هو نفسه بتاع الأمن، ونسى يقول للمأمور بتاعه'.

وضحك الذين سمعوا هذه للنكتة، لكن بالنسبة لرجال الكواليس في الحكم، فلم تكن

مجرد فكاكة، إنما كنت إعلاناً عن أن الرجل الذى كان منصرفاً بكل نذرة فى كياحه إلى مهمة بناء الجيش قد بدأ ينتبه إلى الدخول أيضاً، ويستعد لمعالجة ما يجرى فيه.

وأخيراً وحديثى موجه للشباب والطلاب الذين عاصروا أحداث ١٩٦٨ وللأجيال الجديدة، أقول كيف يعقل أن الذى أصدر أوامره بعدم حمل جنود الشرطة للذخيرة، يأمر بضربهم بالهليكوبتر بالذخيرة الحية لأنه يخشى أن يسقطه للطلاب، بل ويسرها فى نفسه اللواء الحناوى، ويقصيه من موقعه لأنه لم ينفذ أوامره بضرب المظاهرات!!! ثم لماذا سككت اللواء الحناوى طوال هذه المدة؟ وما هو دافعه للكلام، خاصة أن شهود كلامه فى الأحياء، ومنهم الفريق محمد فوزى، والكاظم الكبير محمد حسين هيكل، وبالمناسبة اللواء الحناوى ليس شرقاوى كما جاء بالمجلة، فهو من نكلا لعب - يتأى البارود - بحيرة، ولكن الذى تعلمه للحركة الطلابية أن عبد الناصر دعاهم إلى منزلة ولجتمع معهم، وتحذثوا طويلاً بمنتهى الصدق، وأمر عبد الناصر بإصدار جريدة الطلاب لتعبر عن فكر هذا الجيل، الذى نجح بعد وفاة عبد الناصر فى الدفاع عنه وعن الثورة فى وجه أعدائها فى الدخول والخارج.

الآن .. ما هو رد اللواء الحناوى - القائد الأسبق للقوات الجوية المصرية

- على كل هذا :

إنه يقول : أطلعت على رد الفريق أول متقاعد محمد فوزى القائد العام الأسبق للقوات المسلحة، وقد خاب ظنى فى استاذى بالكلية الحربية، وقادى العام

وقبض فى الليل على من اجتمع معهم سكرتير عبد الناصر السيد محمد أحمد واپس عبد الناصر نفسه، راجع شهادة معتز الحناوى.

إن تشرى في بقيادة القوات الجوية، فما كنت اعتقد أن كبر السن ينسبه واقعة لا تنسى، ويجعله يبعد الشبهة عن نفسه قاتلا أنني نسبت إلى الرئيس عبد الناصر الأمر بضرب المظاهرات بالهليكوبتر، الأمر الذي لم يحدث، وأرجو أن يعيد قراءة ما جاء في روز اليوسف على لساني، وهو يؤكد أن الأمر صدر من الفريق فوزي، وأنه من ذكر أن الأمر لجمال عبد الناصر. فهل استخدم اسم الرئيس جمال عبد الناصر ليرهنى بعد أن رفضت تنفيذه أمره. إن الفريق فوزي يحاول للتوصل من إصداره للأمر باستخدام الطائرات في تفريق المظاهرات، وقد حملها على الرئيس جمال عبد الناصر في ذلك الوقت، وذلك بنفي الواقعة من أسلمها .. واسأله بدوري : هل خرجت الطائرات الهليكوبتر الاثنتا عشرة لم لم تخرج؟! وهل خرجت بدون علمه وهو القائد العام ؟ فلماذا لم يرفع التليفون ليرسل عن ماهية هذه الطائرات التي خرجت، علما بأن اليوم لم يكن شم النسيم، ولا عيد الثورة، ثم ليست هذه التحركات مسجلة كغيرها بغرفة العمليات الرئيسية بالجيش.

إنني أعطى الفريق فوزي العذر في أن يتخيل الأوهام بسبب سنه، وأننى أسف إذ اضرت لأن أشتد في الرد على من يكبرنى سنا، لكن لمن بالسن، وللعين بالعين واللباءة أنظلم.

لقد مضت ثلاثون سنة تقريبا على الحدث، وما ذكرت هذا إلا لأكمل للتاريخ موضوعا أنا أعلم الوجه الآخر منه، عبرة للأجيال القادمة، وحتى يعلموا عقليات قتلنا في الحروب من ٤٨ إلى نكسة ٦٧، والتي استشهد فيها ١٠٠ ألف شهيد، كانت أرواحهم في يد القائد العام للقوات المسلحة، والذي يحاول أن يتصل الآن من تبعاته، معذرة باسمه القائد العام، ألم تكن رئيسا لهيئة أركان حرب القوات المسلحة في حرب ٦٧، ومسئولا عما جرى، إن في قلبى جرحا إن ينمل من تصرفاتك فى

نكسة ١٩٦٧، ومما نشر قبلا من تخاريف الشعوذة فيما يخص تلك الحرب المأساة .. وأرجو لك كامل الصحة والعافية فيما تبقى لك من عمر مديد إن شاء الله.

إما الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل، فاقول له : يامن كنت موضع تقصى وآخرين غيرى، وكنا نكن لك كل شعور طيب .. لم يكن للعمم بالاستاذ، أرجو أن تعيد قراءة ملف الجبهة الشرقية والاستماع إلى الـ ١٢ ساعة تسجيلات بصوتى فى الاهرام لتعلم لئننى لا أخلق فى الأوهام، كانت تقضى بك كبيرة، ولكن بعد ذلك .. ماذا أقول غير أن كبارنا وقت المواجهة يتهربون .. هذا قدرنا.

وعلى الرغم من أن هشام السلاّمونى، كتب الحلقات غير مسئول تاريخياً عما ورد على لسان اللواء الحناوى، لكنه عقب قتلًا : لا أظن أن الفريق أول محمد فوزى، أو الاستاذ محمد حسنين هيكل، أو الاستاذ محمود الجبار يستطيعون أن ينفوا الواقعة محل النزاع. يمثل هذه السهولة، ولا أن يغفوا جمال عبد الناصر من المسؤولية يمثل ما قالوه من كلمات.

دعنا من الكتب التى كتبها الطلبة الذين عاصروا الأحداث، وذكروا مرارتها ورصاصاتها (المنكورة) وكل هذه الكتب ذكرت وقائع إطلاق الرصاص وتدخل القوات المسلحة لفض الاعتصام والطائرات الهليكوبتر لإرهاب الطلاب .. بل دعنا من أن الطلاب وأهل الإسكندرية المعاصرين للأحداث رلوا مارلوا وذكروا ماذكروا وإن لم يكتبوا معاناتهم.

إن الفريق أول محمد فوزى على خلاف ما أرسل لنا يقول شيئاً آخر فى شهادة الاستاذ أحمد كامل، محافظ الإسكندرية فى ذلك الوقت، التى نشرت بمجلة المصور، ولم يعترض عليها أحد، وهى تؤكد على الآتى :

- أنه طلب بنفسه أى الفريق فوزى    تدخل القوات الجيش لفض  
الاعتصام.

- أن الرئيس جمال عبد الناصر وافق على تدخل القوات المسلحة وأحال  
الأمر للفريق أول فوزى.

- أن الفريق أول فوزى وضع قائد المنطقة الشمالية تحت قيادة أحمد كامل  
ليطلب منه ما يشاء، وأن الفريق أول فوزى أعلم قائد المنطقة العسكرية  
الشمالية بأوامره بتنفيذ ما يريده أحمد كامل على الفور (هل كان أحمد  
كامل يريد شيئا غير فض الاعتصام بالقوات المسلحة؟).

- ماذا يقول الفريق أول فوزى فى أن أحمد كامل نكر الطيران  
(الهليكوبتر) ضمن ماذكر من دبابات وأسلحة .. وأن كتيبة مدفعية  
احتلت مواقعها فى استاد الرياضى المجاور.

- ماذا يقول الفريق أول فى التعبير ذى المغزى الذى لا يفوت الأنكباء  
من القراء، والذي جاء على لسان أحمد كامل تصور الطلاب أن  
الطيران قد بدا القصف والهجوم!!

هل يكفى مع كل ذلك أن يقول الفريق أول محمد فوزى الذى نقدر دوره فى  
إعادة بناء القوات المسلحة بعد النكسة (بانضباطه الذى لم يكن يستطيع اختراقه  
أحدا!) أن التوجيهات السياسية بالنسبة لمظاهرات الطلبة، والموضحة فى أذهان  
القيادات العسكرية هى عدم تدخل القوات المسلحة فى شأن هذه المظاهرات، وإن  
مسئولية فضها تقع على كاهل التنظيم السياسى (وليس حتى وزارة الداخلية!!).

\* الصحيح أن الذى طلب هو أحمد كامل، والخطأ ورد فى اعداد الردود.

لما الأستاذ هيكل .. فإننا تلذبا نطلب منه أن يرجع أمره، ومناشره في ظل رئاسته لتحريره. وعلى أقرر أيضا أن تعبير قد خان الأستاذ محمود الجيسار في كل ما يريد أن يقوله، فأوصل لنا عكس ما يريد قوله .. فضمن ما قلناه أن للرئيس جمال عبد الناصر "أسدر أمرا حاسما هو سحب نخيرة قوات الأمن التي تواجه المظاهرات بعد الذي حدث في المنصورة والإسكندرية وحلوان"!!

صورة مما أوردته الأهرام تحت رخصة الأستاذ هيكل لتحريره ويرد على ما يقوله الأستاذ :

تحت عنوان النقيب العلم يشرح قرار الاتهام (في أحداث نوفمبر ١٩٦٨) ويضمره... نشر الأهرام بتاريخ ١٩٦٨/١٢/٣١.

"إنه رغم تدخل المسؤولين وعلى رأسهم السيد محافظ الاسكندرية (أحمد كامل) والسيد مدير الجامعة، وعميد الكلية (كلية الهندسة)، وبعض اساتذة الجامعة، ينصح الطلبة المعتصمين لإنهاء هذا الموقف الخطير حرصا على سلامة الوطن، إلا أن عوامل الإثارة والتحريض قد اعتمدت عن المصلحة العليا للوطن، فاستمر اعتصامهم طوال الأيام الثلاثة، حتى اضطرت السلطات إلى التهديد باستخدام القوة إلى إنهاء اعتصامهم.

وفي تحقيق اعده مكرم محمد أحمد بعنوان تلاميذ المنصورة لماذا كتلت غضبتهم من قرار وزير التعليم ؟!!" نشر بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٦٨ بالأهرام.. جاء فيه:

لقد أكد التحقيق وقرار الطبيب الشرعي أن ٣ من القتلى قد أسببوا نتيجة طلق نارى من بندقية لما القتل الرابع (المصري لوى عبد الحليم) فتمة احتمالان

الرجل الذي ولجه رصاص جمال عبد الناصر والساعات

وردا بشأنه، أما أن يكون قد أصيب بطلقة من بندقية بعيدة أو مسدس قريب.. والأرجح في ظل التقرير أن يكون سبب الإصابة رصاصة البندقية أيضا.

وجاء به أيضا: وقال عبد النعم (يقصد جمال عبد النعم طالب الاعداية ذا المسترة البرتقالية اللون، والذي قنمه البوليس إلى التحقيق باعتباره هو الذي قاد المتظاهرين إلى مبنى مديرية الأمن وبدأ أعمال العنف) إنه شاهد القتل الأربعة في الحديقة المواجهة لمبنى مديرية الأمن، أثناء أمام الباب الجانبى، بينهم رجل فى السبعين، مزارع فى إحدى القرى المجاورة، سكن المنصورة للإشراف على تعليم أولاده.. وهبط الشارع ساعة المظاهرة فاصابته الرصاصة.

فى هذا النطاق المضطرب (مهاجمة طلبة الإعدادى لحديقة مديرية الأمن!!) جرى إطلاق الرصاص وسقط ٤ وأصيب ٥ آخرون من الطلبة.



## فهرس الكتاب

- قبل أن تقرأ ... محاولة للفهم ..... ٧
- ١ : قالت أمى : عيناہ زائغتان ... سيعلن مصيبة ..... ٥٥
- ٢ : يا أمريكا لى قلوبك .. عبد الناصر بكرة يدوسك ..... ٧١
- ٣ : وقال المتهم الأول ..... ٩٥
- ٤ : اخطأ النظام .. وسوف يكرر غلطته !! ..... ١١٥
- ٥ : هوہ سيلانك مباحث ؟! ..... ١٣١
- ٦ : السادات يدخن الـ "كنت فى مجلس الأمة" ..... ١٤٣
- ٧ : غلطة عُمر جمال عبد الناصر ..... ١٦٣
- ٨ : عندما بكى جمال عبد الناصر !! ..... ١٨٥
- ٩ : بيان تأجيل الأحلام الجماهيرية إلى أجل غير مسمى ..... ٢١١
- ١٠ : تنظيم عبد الناصر "الطليعى" !! ..... ٢٢٣
- ١١ : المظاهرات التى صنعت من الشيخ عبد الرحمن  
زعيماً للمتطرفين ..... ٢٥١
- ١٢ : على مسئولية قائد سلاح الطيران  
فى ١٩٦٨ عبد الناصر قال : اضربوا الطلبة بالطيران ..... ٢٧١
- ١٣ : وشرحت الأمر لشباب الناصريين ..... ٢٨٧
- الخاتمة ..... ٢٩٩
- ملحق الكتاب ..... ٣٠٥

فى الجزء الثانى ....

الحركة الطلابية (١٩٧٣-٧٢)



# الجيل الذي واجه عبد الناصر والسادات

اختلف جيلنا مع جمال عبد الناصر على الديمقراطية ، فقد كان جمال عبد الناصر يتمسك بكل ثوابت الوطن عداها .. كان يتمسك بالتححرر من التبعية أيًا كان شكلها ، وبالعدالة الاجتماعية ، وبالوحدة العربية .. ثم اختلف جيلنا مع انور السادات على ثوابت الوطن جميعاً . وفي الخلاف .. واجه الجيل جمال عبد الناصر والسادات .

والآن .. لا نستطيع القول أن الحركة الطلابية ١٩٧٧/٦٨ كانت حركة بلا آباء ..

الكثيرون .. الكثيرون .. الذين تعلمنا منهم - بطريق مباشر وغير مباشر - من الممكن أن نعتبرهم أخوة كباراً لتحركنا ، لكن أحداً منهم - برغم كونهم مصابيحنا الهادية - لا يستطيع أن يزعم أبوته للحركة (القول ذلك بينما اعترف بأنهم كانوا مهيين لأن يكونوا آباء لها ، فمنهم الكتاب الكبار الذين نجلهم ، ومنهم المناضلون السياسيون - في كافة الاتجاهات الفكرية - الذين نحترم تضحياتهم ، ومنهم الزعماء الحركيون للطبقة العاملة المصرية ، الذين دفعوا المجتمع إلى التقدم والعدالة الاجتماعية ، وإن لم يعترف العسكريون).

ومع هذا .. لا نستطيع القول أن الحركة الطلابية ١٩٧٧/٦٨ كانت حركة بلا آباء !!

ذلك أن على الحركة أن تعترف ببنتوها لأب خلفها ، ورأيها ، وحماتها ، وحوط عليها برعايته ، هذا الأب هو الطالب العادي .. (غير المصنف فكرياً ، غير الحركي ظاهرياً).

كانت الحركة الطلابية ١٩٧٧/٦٨ معجزة الطالب العادي ، وتعالوا لنرى.

